

عَلَامَةُ الظَّاهِرِ

فِي الْمُسْتَقْبَلِ الْمُنْظُورِ

تَأَلَّفَ
حَسَنُ بْنُ الْحَجَفِيِّ

الْمُسْتَقْبَلُ
بَلْ وَكَلَّكَ الظَّاهِرُ
الْمَوْجِدُ وَالْمَعْدِلُ الْمُنْظَرُ وَنَحْوَهُ
فَالْأَنْبِيَاءُ الْقَرِيبِينَ وَأَبْدَانَهُ رُوحُ
الْعَشْقِ يَأْتِي الْعَالَمِينَ اللَّهُ أَكْبَرُ
بِهِ دِيكَ وَسُنَّةُ نَبِيِّكَ حَتَّى لَا تَقْبَلُ
بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ عِوَاذَهُ
بِحَسَنٍ مِنْ
الْحَقِيقِ

عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ
يَا مُحَمَّدُ

عَلَامَةُ الظَّاهِرِ

فِي الْمُسْتَقْبَلِ الْمَنْظُورِ

تَأَلَّفَ

حَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للشاعر " الطبعة الأولى "

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

مؤسسة بيت الإبداع

للطباعة والنشر والتوزيع



الكتب : بئر العبد سنتر الإنماء، ١ - ط ٣ - المستودع : صفيح - جانب فون الأمراء،
ص.ب ١١٠ - ٢٤٥٢ بيروت ٢٢٥٠ - ١١٠٧ - هاتف : ٠١/٥٥٣١١٩ - ٠٢/٥١٤٩٠٥ - لبنان

الإهداء

إلى

مُعزِّ الأُولياء .. ومُذِلِّ الأَعْداء

والسبب المتصلُ بين الأرض والسما

إلى

الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء

والطالب بدم المقتول بكربلاء

إليك سيدي

يا ناشر راية الهدى ويا قائم آل المصطفى

أهدي كتابي فتقبل مني

المؤلف



والصلاة والسلام على النبي محمد وآله

الطاهرين

المقدمة

يبدو أنه قد أن الأوان لتغيير مسار البحث في موضوع المهدي (ع) ، فقد نحت بعض البحوث المتأخرة نحواً جديداً ، من حيث أنها لم تعد تتعرض لذات المسائل التي درج القدماء على التعرض لها والإفاضة فيها ، وهي من قبيل : إثبات وجود الامام المهدي (ارواحنا فداه) ، وسوق الأدلة التاريخية على تولده ، وكونه ابن الإمام العسكري(ع) ، أو رفع الغرابة فيما يتعلق بالغيبة بذكر غيبة بعض الأنبياء (ع) عن قومهم ، كموسى ويوسف (ع) ، أو تجميع الشواهد على إمكان طول العمر عما هو المتعارف ، بذكر عمر نوح (ع) وغيره من المعمرين... أن هذه الموضوعات - رغم أهميتها - قد فقدت لدى جيلنا المعاصر شطراً كبيراً من جاذبيتها الأولى . فالذوق العام عند المؤمنين المثقفين لم يعد يستحلي هذا النمط من المسائل . ولذا يجب أن تنبثق في الدراسات المهذوية المعاصرة محاور جديدة من البحث ، إذ أن الاهتمام ينبغي أن ينصب على الجوانب المتحركة كعلائم الظهور ، مثلاً . وهذا التحول - الملحوظ - في اتجاه البحث من الوجهة العقائدية الى الوجهة

الايديولوجية ، له ما يبرره طبقا لشكل الوعي السائد في هذا العصر . وربما كان سبب هذا التحول ، حسبما يتبادر الى ذهننا هو ان العقيدة المهدوية - بحد ذاتها - ليست مما يمكن ان يتنازع فيه ؛ وذلك لأنها نابعة من الفطرة ، والقضايا الفطرية ، بسبب بدايتها ، لا ينبغي ان تكون معتركا أو ساحة للصراع ، اللهم إلا في بداية تشكل الوعي العقائدي .

إن نضج وعي يستلزم أساليب أخرى من الخطاب ونماذج جديدة من الاطروحات . وبالطبع فإن الوعي - في هذا العصر - ما كان ليصل الى مرحلة نضجه لولا ما خلفه لنا ذلك العقل الكبير وتلك النفس الطاهرة للنبي الكريم محمد (ص) ابتداءا من بزوغ الخيط الأول لفجر الرسالة ، مما ساهم في بلورة الذهنية الصالحة لتقبل الفكرة المهدوية عقلا ووجدانا ، ومن ثم جعلها مرتكزا لكل وعي متحرر .

ان الموروث الثقافي الضخم الذي تركه النبي واهل بيته (صلوات الله عليهم) بصدد التخطيط لليوم الموعود ، من جملة ما يهدف إليه هو رفع درجة الوعي لدى الاجيال بمدى اهمية الفكر المهدوي الذي هو الامتداد الطبيعي للفكر الرسالي ، ومدى خطورة أبعاده التاريخية . والمهدوية التي هي جوهر عقيدة الإمامة في الفكر الشيعي لها حضورها في وعي كل إمام من أئمة الهدى (ع) . سئل الصادق (ع) عن قوله تعالى : ﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١) فقال : ((كل إمام هاد للقرن الذي هو فيه))^(٢) كما سئل أيضا عن قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُمَّةٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^(٣) قال : ((إمامهم الذي بين أظهرهم ، وهو قائم أهل زمانه))^(٤) ولذلك فقد

(١) الرعد : ٧ .

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ١٩١ .

(٣) الاسراء : ٧١ .

(٤) أصول الكافي : ج ١ ص ٥٣٧ .

توطئة الى علائم الظهور (٩).

ندب المسلمون منذ صدر الرسالة الى وجوب معرفة الإمام ، باعتباره القائد المفترض الطاعة من قبل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) فولي الامر هو ذلك القائد الذي قرنت طاعته بطاعة الله ورسوله ، ولذا يجب ان يعرف ليطاع امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى .

ورد عن الإمام الرضا (ع) انه قال : ((إن الحجة لا تقوم على خلقه إلا بإمام حتى يعرف))^(٢) .

ففي العصور التي أعقبت عصر النبي (ص) لم تكن هنالك كبير مشقة في الاهتداء الى معرفة الإمام ، نعم ، كانت توجد بعض العراقيل التي تحول دون إمكان المجاهرة بطاعته بسبب الاوضاع السياسية السائدة آنذاك . فالسلطات الحاكمة الغاشمة كانت تخشى من يقظة الجماهير المغلوبة على امرها ، وما يترتب على ذلك من مخاطر فادحة ليس أهونها ما تخشاه من خطر تهديد كيانها القائم على أسس غير مشروعة . فالدولة الاسلامية التي تكون محكومة بقيادة لا تمثل أطروحة الإسلام فيمن ينبغي ان يكون قائداً ، لا بد ان تكون مهددة بخطر السقوط ، وليس بأقل منه خطر خشية السقوط . وهو ناجم من واقعها مزيف ، إذ ان الحاكم الإسلامي الذي لا يحكم بما امر الله ، يشعر في دخيله نفسه بأنه غير جدير بقيادة من يمثلهم ، أو بما وظيفة دولته إليه - أعني الإسلام .

بيد ان التخطيط الإلهي لظهور دولة الحق لا يتعامل مع مجريات الامور في التاريخ إلا على أساس أنها مقدمات ومعدّات لانتصار الحق على الباطل . ولذلك فان الاوضاع المنحرفة التي تحاول ان تضيف على نفسها سمة المشروعية سوف تنكشف تبعاً لتكامل الوعي عبر الاجيال ،

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ١٧٧ .

إن لم تكن منكشفة اصلا في جيلها ، وإن كان ذلك من قبل نخبة ضئيلة من الناس .

ان الوعي الرسالي الذي أرسى قواعده الرسول الأعظم محمد (ص) لا ينظر الى الاشياء إلا بمنظار القسط والاستقامة . ولذلك فإن من أولى أولويات هذا الدين هو إبراز هوية من يستحق ان يكون قائدا . وصفات القائد التي يضعها الدين منبثقة من إرادة تعلقو على المصالح الضيقة والاهواء الفجة ، وهي أيضا لا تناسب الرؤية المرحلية أو الموقوتة . ان الله تعالى يريد خليفة له على الارض يحكم في الناس طبقا لموازين قوامها الحق والقسط ؛ قال تعالى : ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾^(١) .

إن الذهنية الاسلامية المسلحة بالوعي الرسالي لا يمكن ان ترتاب في العقيدة المهدوية ، وتبقى الخلافات بين المسلمين محصورة في إطار الهوية الشخصية للمهدي (ع) وماهية التخطيط الإلهي المرتبط بظهوره . ومعنى ذلك ان المسألة ليست خلافا في اصل العقيدة ، بل هي مجرد تعدد وجهات نظر . ويمكن ان تتوحد الكلمة بمجرد زوال الغموض الذي يعترى فهم بعض المفردات المتعلقة بالفكرة المهدوية .

من هنا بالضبط ، ينبغي ان ينطلق كل بحث رصين وعصري حول المهدوية . نحن لا نعمل أكثر من تنحية رواسب الوعي المتحجر الذي وصل الينا من عصور كان القول الفصل فيها للأهواء والنوازع الذاتية للحكام المنحرفين . فالمهدوية أيديولوجية تنسجم تمام الانسجام مع نضج الوعي السياسي عند الناس ، الذي هو ناتج عن تراكم الخبرات ، وإدراك ضرورة وجود البديل الامثل لكل تلك التجارب السياسية الفاشلة ، التي

توطئة الى علائم الظهور (١١).

كبدت الانسانية ، وما زالت ، أفدح الاضرار ، بسبب العنجهية والغطرسة التي مارسها الساسة الطغاة . فالمجتمع الانساني بأجمعه يتطلع الى اليوم الذي تختفي فيه كل مظاهر الظلم والجور من آلام ومآسي وحروب وفقر... الخ . ومن هنا يجب على الباحثين ان يركزوا على العناصر التي تلبى هذا التطوع عند الجماهير وهذا يتطلب نمطاً من الابحاث تثار فيها مسائل جديدة مناسبة للعصر وظروفه الراهنة .

ان كل ما يوجد بأيدينا حول تاريخ المهدي ومعنى الفكرة المهدوية من روايات أو اخبار ، يمكن ان يتم تطويعه لذوق العصر وجيله الراهن . وتلك الاخبار والروايات لا يجوز ان ننظر إليها باعتبارها مجرد آراء تمثل وجهة نظر قائلها ، بل هي نماذج عظيمة من الفكر ، والاطروحة المهدوية المرتبطة بتلك الروايات اطروحة كاملة لا يعترها أي نقص . بيد ان هنالك بعض النقاط الغائمة ولا أقول الغامضة في البنية التي يؤلفها الفهم المعاصر باعتبارها ممثلة لتلك الاطروحة كما هي بالفعل . وهذه النقاط الغائمة تظهر عادة حين البحث في علائم الظهور .

هدف الكتاب

لم يكن يراودنا حين عقدنا العزم على تأليف هذا الكتاب ان يبلغ هذا المبلغ من الاتساع . فالهدف الذي كنا نرمي إليه من وراء نشر هذه الدراسة هو ان نعدها توطئة معاصرة لموضوع علائم الظهور . بيد ان البحث قد تشعبت من محاوره الاساسية مسائل ، لم يكن يصح ان تُهمل ولا ان توجز اجوبتها . وعندما أمعنا النظر فيما تجمع لدينا من مادة ، استقر رأينا على انشاء خطة شاملة على ضوء هدف واضح . وقد كان ذلك الهدف الذي بموجبه بنيت الخطة هو : وضع أسس جديدة لما ينبغي ان تكون عليه الدراسات المهدوية المعاصرة .

إلا ان وضع الهدف شيء ، وتحقيقه عملياً شيء آخر . ولذا ، كان علينا ان نطوع الخطة باتجاه بلوغ الهدف . وهكذا فقد برز لدينا هدف آخر

ضميني ، فان حسابان العناصر البحثية ورسمها في اطار خطة واضحة المعالم ، أمر ليس بالميسور دائماً . وما كانت أية خطة تدعي لنفسها القدرة على استيعاب كافة المسائل ، إلا اللهم إذا كانت بنيتها منطقية . وهذا البناء المنطقي يقتضيه الهدف المنشود في دراسة مثل هذه ، فإننا-في الواقع-بازاء وضع أسس جديدة . وارهاسات تلك الاسس ماثلة في الذهن تماماً ، غير ان المهم هو : كيفية رصف تلك الارهاسات ضمن الهيكل العام للبحث ، بحيث يمثل موقع الاسس من عموم البنية .

وهكذا بدأ العمل وتم بناء الخطة ، ثم شرعنا في البحث من منطلق أكثر رسوخاً ، رغم ان المشروع لا يعدو ان يكون محاولة ، فهي إما ان يحالفها النجاح أو يصيبها الفشل ، ولكن النتيجة مهما كانت ، لا تكون محفوفة بخطر ضياع ما بذل فيها من جهد ، فإن الكمال ليس بمستطاع ، وعلى المرء ان يسعى بمقدار جهده ، ولكن ليس عليه ان يكون موفقاً . ولا بأس ان يتعلم المرء من أخطائه ، فتاريخ العلم على السدوام ، إن هو إلا تاريخ اخطاء العلم .

خطة الكتاب

البحث ، اما ان يكون في الرواية بما هي رواية ، واما ان يكون فيها بما هي تنبئ عن شيء ، وأما ان يكون فيها بما هي كاشفة عن معنى وراء ذلك الشيء الذي تنبئ به . فهاهنا ثلاثة محاور من البحث رئيسية .
ثم ان المبحوث عنه - في المحور الاول - اما ان يتعلق بالرواية متناً أو يتعلق بها سنداً . فإن كان الاول فأما ان يلحظ فيها الظاهر المتبادر من العبارة ، أو لا تكفي الملاحظة إلا بتوسط البحث عن القرائن . والقرائن قد تكون محصورة فيمكن التوصل الى معرفة المراد بتوسطها أكيداً ، وقد تكون غير محصورة فيجري البحث عن علة عدم الحصر . وهل ان طبيعة عصر صدورها ليس مما يمكن معه ضبط القرائن كلها فتتحصر ، أم ان هنالك علة أخرى؟ وتلك القرائن تتنوع الى حالية ومقالية وقرائن غيرها .

توطئة الى علائم الظهور (١٣).

اما ما يتعلق بالسند ، فإما ان يلحظ في الرواية صفة رجالها الذين تحملوها واحداً عن واحد من حيث الشهرة بالوثاقة أو غيرها . أم لا ، بل يلحظ فيها كونها مسطورة في كتب العلماء من المحدثين المتفق على علو رتبهم في الدين ورسوخ قدمهم في العلم . ووفق هذا اللحاظ يجري البحث عن امكانية الاجتزاء بذلك المجموع في كتبهم عن تكلف التحقق من وثاقة اسنادها طبقاً لما قرره علماء الرجال ، فإن أمكن ذلك فما هو المرجح؟ وإن لم يمكن . فيقتضي ان نجيب عن سؤال قد يطرح ، وهو : على أي أساس جاز ذلك الجمع من قبلهم للروايات؟ ، حيث ان الفحص في تلك المجاميع الروائية يكشف لعين الناقد البصير ان اولئك العلماء قد اعتمدوا في اختيارهم لروايات دون أخرى ، على أصل ما . . فما هو ذلك الأصل؟ وما هو الدليل الذي يؤيد أو يببر ادعاء المؤلف أنه أصل؟ وهل يكفي لتبرير ذلك الإدعاء ان العلماء في كتبهم الحديثية الكبرى لم يلتزموا بما قرره علماء الرجال فيمن ينبغي الأخذ عنه من الرواة ومن لا ينبغي الأخذ عنه؟

والمباحث عنه-في المحور الثاني-يدور حول اختلاف الروايات بالنظر لتباين موضوعاتها . فإن الذي تنبئ به الرواية إما ان يكون علماً يستتبع العمل به ، أو يكون علماً يستلزم النظر فيه . والاول يتفرع عنه علم الاحكام ومعرفة الحلال والحرام ، وعلم الاخلاق وتهذيبها ، وهما غير مباحث عنهما في هذا الكتاب ، والثاني يتفرع عنه علم الأحداث ، أي الحوادث التي تجري عبر الازمان . فمنه ماضٍ ومستقبل باعتبار ، وهما مع الحاضر باعتبار آخر . ثم إن علم ما ياتي به الزمان إن تعلق بالمستقبل ، فإما ان يلحظ فيه التحقق واقعاً أم لا؟ فإن لوحظ فيه ذلك ولم يتحقق الخبر المفيد بوقوع الحدث خارجاً فهل ينسلخ وصف العلم عنه أم لا؟ وعلى فرض عدم حصول الانسلاخ فهل يوجب ذلك على القائل له شيئاً من جهة عدم المطابقة للواقع ، أم لا يوجب ذلك؟ وفي حالة الاطمئنان من كون القائل منزه عن الكذب وقول الزور بشهادة القرآن الكريم ، فعلام

يُحمل غرض الإخبار ، وما هو مراد المخبر الذي يعي احتمال عدم تحقق إخباره؟ ثم ما هو المانع اصلاً دون تحقق المخبر عنه؟ وهنا قد يرد سؤال مفاده : هل تحذو الرواية فيما تنبئ عنه من معنى حذو الكتاب الإلهي ، وذلك بانقسام آياته إلى محكم ومتشابه ، أم لا؟ فإن كان الجواب بالاجاب ، فما هي الطرائق العلمية التي يجوز ان تتبع في تمييز محكم الرواية من متشابهها من جهة ، وفي رد المتشابه إلى المحكم من جهة ثانية ، (ولكون هذا الامر مشتركاً بين المحورين ، فقد بحثناه في المحور الاول) ثم ان هذين المحورين من البحث غير مقصودين بالذات من تأليف هذا الكتاب ، ولكنهما مقدمة منهجية للمحور الثالث ولذا فإنهما سيبحثان سوية في القسم الاول من الكتاب . ويلاحظ ان تفريع المسائل فيهما انه منطقي إلى حد كبير ، بينما لا يكون تفريع المسائل في المحور الثالث بمثل هذا الإحكام .

إن المبحوث عنه-في المحور الأخير- يتصل بالمضمون الواقعي للروايات وما يدور حوله من مسائل أو إشكالات ، ولكون موضوع هذه الدراسة يتعلق بالمهدوية تحديداً ، فإن المضمون الواقعي الذي نتعرض له سوف لا يكون أوسع من المحتوى التاريخي ، سواء في جوانبه العقلية الصرفة (القسم النظري) أم في جوانبه الحديثة المنظورة (القسم التطبيقي) ، أي الدراسة النقدية لعلائم الظهور . ففي هذا القسم يتبع بحث مسألة التنبؤ بالمستقبل . ونحاول فيها قدر المستطاع حل الاشكالات المرتبطة بالتوقيت . حيث أن البحث في التنبؤ إما أن يثار حول ما يجري عبر عصر كامل ، وبطريقة مفصلة ، واسلوب حماسي تطفئ عليه العناصر البلاغية ، وهذا قد يسمى : التنبؤ الملحمي . أو يكون البحث فيه دائراً حول بعض الحوادث الجزئية ، إما منفصلة أو مجتمعة ولكن بدون أن أن يلحظ فيها وجود ترابط من جهة الزمان أو المكان أو الغرض بل هي - على الأغلب - عبارة عن كواشف لما سوف يأتي من بعدها ، ففي هذه الحالة فهي علائم . أو يكون البحث فيها منصفاً على

توطئة الى علائم الظهور (١٥).

نفس الأحداث وبسلب الكاشفية عنها لما بعدها ، وفي هذه الحالة يمكن لنا أن نصنفها ضمن ما يسمى بالبشارات ، التي هي دلائل اعجازية تثبت صدق المُخبر بها أو صحة دعواه .

وفي هذا القسم ، في جانبه النظري ، سوف نتحدث عن العلل التي تؤدي إلى حدوث ما يسمى بظاهرة التنبؤ بالمستقبل . وهل هي بسبب تأثير عالم آخر ما وراء عالمنا هذا؟ أم انها مستندة إلى قوى كامنة في أصل تكوين الانسان؟ ونعرج بعد ذلك إلى إيجاد وشائج هذه الظاهرة بالاخبارات الغيبية عند أهل البيت (ع) ، وذلك على المتسويين المتقدمين ، أم يا ترى ، ان هناك مستوى آخر للظاهرة يختص بهم (صلوات الله عليهم) ونفتقر هنا في سبيل إنضاج البحث إلى تقييم هذه الظاهرة ، فهل هي فعل إرادي إيجابي ، أم إنفعال لا إرادي سلبي؟ وبعد عبور عتبة هذا المبحث نفرع عليه مسائل التوقيت ، ونتعامل معها باعتبارها إشكالات-أي اكثر من مجرد مسائل-ولذا وصفنا المبحث هناك بإشكالية التوقيت . ونبحث فيها عن معنى الوقت وكذب الوقّاتون ، ونتطرق بعد ذلك إلى حل مفارقة التوقيتات الواردة عنهم (ع) في مجموعة من الأخبار ، وفي مجموعة أخرى نحاول أن نستعرض بعض الروايات الإلغازية ، ونتحدث عن الأصول التي من الممكن أن تستخدم في حل الألغاز ونكون حينئذ بازاء منظومتين مرجعيتين : الأولى ، هي المنظومة التقويمية ، وبموجبها نتساءل : أي التقاويم الفلكية ينبغي أن نتبع من أجل كشف القناع عن الرموز التي يتضمنها اللغز؟ هل نسير وفق التقويم الميلادي أم وفق التقويم الهجري ، وفي كل منهما حساب قمري وآخر شمسي؟ أم لا ذا ولا ذاك . بل ننشئ تقويماً خاصاً لهذا الغرض ، يكون مبتدأه إما يوم مولد الامام المهدي (ع) أو يوم وفاة الامام العسكري (ع) . وبالإستناد إلى أحد هذين التقويمين نتساءل مجدداً ، طبقاً للشمس سوف يكون الحساب أم وفقاً للقمر؟

والمنظومة المرجعية الأخرى : هي التي تتضمن الاجابة عن التسائل التالي : علي أي صنف من القيم العددية التي للحروف يصح أن نعتد من أجل حل الألغاز أو الرموز المجففة؟ أعلى حساب المشاركة يكون العمل ، أم على حساب المغاربة؟ . . . واتماماً للفائدة فإننا سوف نتعرض في ذيل هذا البحث الى مناقشة بعض المحاولات التي سعى أصحابها إلى كشف الغموض الذي يعترى هذا النوع من الأخبار ، ولنا هنالك محاولة سعينا من خلالها أن نوضح بعض الغوامض . ومن الملفت للنظر في هذا النمط من الروايات كأنها تعلق معرفة وقت الخروج بالقدرة على حل الرموز التي تتضمنها تلك الألغاز . ولكن مع ذلك لا يجب ان تؤخذ كل محاولة من تلك المحاولات مأخذ الجحد ، ولا ينبغي لأحد أن يدعي ان حلّه هو الحل الأخير ، ففي ذلك اشكال من نواحي عديدة ، بل يجب أن تؤخذ كل محاولة بعين كونها مسألة حسابية أو معادلة رياضية لمعرفة المجهول ، وليس هنالك أي ضامن لصحة الحل ، ما دامت الاسس التي بحسبها بنيت تلك المسائل غير معروف ، كما سوف يتضح .

وفي هذا القسم ايضاً ، سوف نتطرق لذكر الفتن ، ونتحدث عن أسبابها . وذلك ضمن مبحث الفتن والسنن ، ثم نواصل بحثنا فنتناول موضوع التمحيص باعتباره سنة إلهية . ونتكلم في أثناء ذلك عن تكليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى وما يرتبط به من إنتظار الفرج ، ولزوم الاستعداد نفسياً ومادياً لنصرة الامام متى ما أظهر دعوته (عجل الله تعالى فرجه) . ونختتم الكتاب باستعراض بعض الاحداث الساخنة التي قد تحققت كما أنبأت بها الروايات ، وأحداث لم تتحقق بعد . ولكننا سنركز على بعض الأحداث التي نعتقد بكونها استثنائية لما تتسم به من تأثير على المستوى العالمي . وتمثل هذه الأحداث في روايات أهل البيت موقعاً بارزاً ، وذلك لكونها من الممهدات التاريخية لخروجه (ع) وتأتي من حيث الأهمية ، في الدرجة الثانية بعد المحتومات الخمس . . . ومن أبرز الأحداث وقعة قرقيسياء الكبرى قبيل الظهور التي ربما تكون نواة لحرب عالمية ثالثة - كما سوف نسمع .

القسم الأول

نقد منهجي في علم الرواية

الفصل الأول : التعامل مع الروايات

الفصل الثاني : الروايات والتحقق

الفصل الثالث : البداء في الأخبار

الفصل الرابع : موازين معرفة المحتوى

الفصل الأول

التعامل مع الروايات

فهم عبارة الرواية

روي عن الامام الصادق (ع) أنه قال : ((إنني لأتكلم على سبعين وجها لي من كلها المخرج))^(١) وروي عنه (صلى الله عليه) في حديث له مع محمد بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق ، جاء فيه : ((أنتم افقه الناس ما عرفتم معاني كلامنا ، إن كلامنا ينصرف على سبعين وجها))^(٢) ان هاتين الروايتين تتحدثان عن مدى سعة دلالة عبارة آل محمد (ع) ، فما كل أحد بقادر على فهم كلامهم بنحو فهمهم ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى ، فإنه ليس كل ما يتبادر إلى الأذهان عند استماع كلامهم يكون هو المعنى الذي قصدوه . وعليه فإن مفاهيم النصوص المعصومية لا ينبغي أن تحمل دائما على معانيها الظاهرة ، إذ كل حديث من أحاديثهم (ع) محفوف بقرائن ، يمكن أن يستنبط منها وجوه كثيرة . نعم ، هنالك أحاديث لا يصح أن تكون صالحة

(١) محمد بن الحسن الصفار ، بصائر الدرجات ، ج ٧ ص ٣٢٨ .

(٢) الشيخ المفيد ، الاختصاص ، ص ٢٨٢ .

(٢٠) التعامل مع الروايات

للتوجيه ، شأنها شأن محكمات القرآن الكريم ، وسوف يأتي التوسع في مناقشة أصناف الحديث لاحقاً .

ان الفهم العامي البسيط للاحاديث لا إشكال فيه ، ولكن توجيه المعنى وصبه في قالب يجمد عليه ، هو المشكل . فمن الناحية اللغوية المجردة لا يختلف كلام أهل البيت (ع) عن كلام غيرهم من الناس باعتباره كلام ذو دلالة ، بيد أن كلام غيرهم ليس تام الدلالة ^(١) ، وإن كان واضحاً لا لبس فيه ، وهذا الأمر ليس محللاً للنزاع ، بيد أن النزاع يقع في كون الدلالة التامة منحصرة في ظاهرة الكلام فحسب ، أم في ظاهره وفي باطنه؟

يقول الأصوليون ان الظاهر حجة ، ماذا يعنون بذلك؟ إنهم لا يقصدون بالظاهر سوى ظهور الكلام في غرض المتكلم . ولا يلزم من ذلك : أن الظاهر يقتصر على المعنى الحقيقي فحسب ، إذ من الجائز أن توجد في سياق الكلام قرينة تصرف المعنى نحو المجاز ، فيكون إذن ، ظاهراً في المجاز . وكذلك لو كان الكلام عاماً ، ثم وجدنا فيه قرينة تدل على التخصيص ، أفدنا منه : أنه ظاهر في الخصوص . وهكذا . . .

إن ما يمتاز به حديث آل محمد (صلوات الله عليهم) هو كونه كلام ذو وجوه من أي وجه فهم أفاد ، ولا بأس بذلك ، إذ أن انحصار المعنى في وجه دون آخر لا دليل عليه وهو غير مستفاد من الروايتين المتقدمتين ، فإنهما - على العكس - تؤكدان على تعدد جهات المعنى تبعاً لتعدد انحاء الفهم ، ثم انه ليس بمقدور أحد من الناس أن يحيط علماً بجميع الوجوه ، (وإن كان فقيهاً كمؤمن الطاق) ، نعم ، كل يفهم على طريقته الخاصة في الفهم وبحسب ما لديه من عقل أو فهم أو معرفة ولذا ورد في حديث آخر عن الصادق (ع) يقول فيه ((حديث تدريبه خير من ألف ترويه . ولا يكون الرجل فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا ، وإن الكلمة من كلامنا لتصرف على سبعين وجهاً لنا من

(١) سوف يأتي ما يريده المؤلف بهذا الاصطلاح .

توطئة إلى علائم الظهور (٢١)

جميعها المخرج))^(١) .

ان قانون التفاهم العرفي الذي ينص على : ((وجوب مخاطبة الناس على قدر عقولهم)) ينسجم أتم الانسجام مع هذه المزية التي يمتاز بها كلام المعصوم (ع) . فإن كل واحد من الناس يستطيع أن يستفيد من كلامهم (ع) بحسب ما لديه من معرفة ، من دون أن يرتكب العامي منهم أي محذور . وهذا هو المراد من وصف عبارة كلامهم بكونها تامة الدلالة ، أي أنه ملحوظ فيها تفاوت مستويات المخاطبين . ومن هنا ، ندرك خطأ من سعى لحصر الوجوه في واحد تبعاً لرأيه ، بحيث نفى أي احتمال لوجه آخر .

فمن ناحية ، كل ما يفهمه الناس من حديث آل محمد (ع) إن كان جارياً على نهج سليم ، ومن دون دعوى أو ضميمة تصاحب هذا الفهم (كون المعنى منحصر فيه) فإنه فهم مقبول ، ومفيد لصاحبه ، ومن ناحية ثانية ، فإن كل فهم ، مهما كان صاحبه فقيهاً أو عالماً ، إذا تضمن تلك الدعوى ، فهو مرفوض ، ومردود على صاحبه . وعليه ، فقد جانب الصواب من حسب أن فهمه للأخبار الواردة عن أهل البيت (ع) هو الفهم الصحيح الوحيد لمراد الإمام العصوم (ع) بحيث لا يكون له مراداً آخر سوى ما فهمه من كلامه بمحض عقله . ان هذا الحسبان ، علاوة على أنه يتعارض مع الحقيقة ، فإنه ينطوي على زعم عدم مراعاة الأئمة (سلام الله عليهم) لقانون تفاهم العرف ، وأنهم يتحدثون مع الناس بما لا يطبقون فهمه . وذلك كله يناقض ما ورد عنهم من أقوال ، ومنها ما نقلناه في الروايات المتقدمة .

وبمزيد من الأسف ، فإن كثير من الباحثين قد أغفل هذه الحقيقة ، أي ما تمتاز به أحاديث آل محمد (ع) من مزية . وفسروا معاني قسم من الأخبار طبقاً لوجهات نظر مسبقة ، بحيث أصبحت أحاديث المعصومين (ع) وسيلة لتبرير آراءهم . فالتابع (الذي هو الرأي) صار متبوعاً ، وأضحى المتبوع (الذي هو كلامهم) تابعاً . واكثر ما يمكننا أن نشاهد ذلك في البحوث التي تسعى للتوفيق

(١) الصدوق ، معاني الأخبار ، ص ٢ ج ٣ .

(٢٢) التعامل مع الروايات

بين نتائج الحضارة المعاصرة وأساليبها وبين مدلولات أحاديث آل محمد (صلوات الله عليهم) ، ولعل من أبرزها ، البحوث التي ظهرت في الآونة الأخيرة بصدد موضوع (المهدي وعلائم ظهوره) ، حيث قام البعض من الباحثين بتوجيه كلام أهل البيت (ع) طبقاً لفهمهم الخاص المؤسس على آراء مسبقة .

ليس هنالك حكر في فهم الرواية على قوم دون قوم ، ولا أشخاص دون آخرين . . إنَّ قانون التفاهم العرفي - الملحوظ في خطابات المعصومين (ع) يفند كل زعم يدعي صاحبه حصر الوجوه وتضييق دائرة الفهم . ان الحديث الصادر عن المعصوم (ع) يمكن أن يفهم وفق عدة مستويات من الفهم ، وذلك تبعاً لتفاوت الذهنيات ، أو تبعاً لمستوى الوعي الذي بلغه جيل من الأجيال عبر العصور . ومعنى ذلك ان كلام آل محمد (ع) لا يجوز أن يحدد بحدود زمانية ، ولا يصح أن يكون مخاطباً أشخاص معينون إلا نادراً ، حينما يتعلق الأمر بقضايا شخصية لا تناسب غير أصحابها . فان ما يمكن أن يدرك بأقوى العقول وأرجح الأفهام من كلامهم ، وإنَّ قُرْب ذلك الإدراك من عصر صدوره عن المعصوم (ع) لا يجوز أن تُقصر الاصابة عليه دون غيره ، إذ أنه من الجائز أن تكون تلك العقول القوية والأفهام الراجحة عاجزة عن فهم المعاني العميقة ، والإحاطة بالإشارات الخفية ، وهو عجز لا يستند في الواقع -إلى قصور أو تقصير ، بل إلى فقدان شرط أو وجود مانع . وربما كان مثل ذلك الشرط المفقود (كما لو كان الحديث في علائم الظهور) هو نمط الحياة المادية التي تقتضيها الحضارة ، بكل ما فيها من تقنية معاصرة ، بمعنى : أن هنالك احتمال أن يكون بعض وجوه كلام المعصوم (ع) مما لا يمكن أن يدرك إلا بتوفر ذلك الشرط . وربما كان المانع : هو عجز اللغة المتداولة في زمان المعصوم (ع) عن استيعاب بعض جوانب المعنى ، كما لو تصورنا وجود نوع من الارتباط بين غرض المعصوم (ع) وبين ما يفرزه تعقد حياة الانسان في عصر لاحق ، بحيث يستدعي هذا التعقد إلى استحداث معانٍ جديدة لتلبية النقص الذي يعتري اللغة ، ويؤدي إلى سوء الفهم .

توطئة إلى علائم الظهور (٢٣)

ولقد تنبه السيد الشهيد محمد صادق الصدر في تاريخ الغيبة الكبرى إلى هذه الناحية فقال : ((فلئن كان النبي (ص) أو الامام (ع) على مستوى إدراك واقع التاريخي بعد ألف عام ، أو عدة آلاف من السنين ، بحيث يرى المستقبل بعد نظره وتوفيق ربه كما يرى الحاضر ، فإن البشر لم يكونوا في أي عصر من العصور على هذا المستوى من الفهم على الاطلاق (. . .) فالناس قاصرون دائماً عن إدراك مثل هذا العلم ، وتقبل مثل هذه الأخبار . اذن ، فلا بد للإمام أخذاً بقانون التفاهم العرفي أن يبرز للناس من الحقيقة ما لا يُنافر أفهامهم ، وما يتناسب مع واقع حياتهم))^(١) .

وقد يعترض البعض بقوله : كيف يتفق أن يكون كلام المعصوم بمثل هذا المستوى من الدلالة ، مع وجود أحاديث أخرى يفهم منها عكس ذلك؟ ألم يرد عن الامام الباقر (ع) أنه قال : ((إن حديث آل محمد صعب مستصعب ، ثقيل ، مقنع ، أجرد ذكوان ، لا يحتمله إلا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للايمان ، أو مدينة حصينة))^(٢) ، وكذا ورد عن الصادق (ع) : ((ان حديثنا صعب مستصعب ، شريف ، كريم ، ذكوان ، ذكي ، وعر ، لا يحتمله ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا مؤمن ممتحن . قيل فمن يحتمله؟ قال : من شئنا))^(٣) ألا تدل هتين الروايتين على بطلان زعمكم بوجود مستويات عدة لفهم حديث آل محمد (ع)؟

ونقول في جوابه : ان هناك فرق بين احتمال الحديث وبين فهمه ، لأن احتمالاه معناه : حفظه وكتمانه ، كما جاء عن الامام أبي محمد الحسن العسكري (ع) يفسر به تلك الروايات المتقدمة : ((إنما معناه : أن الملك لا يحتمله في جوفه حتى يخرج به إلى ملك مثله ، ولا يحتمله نبي حتى يخرج به إلى نبي مثله ، ولا يحتمله مؤمن حتى يخرج به إلى مؤمن مثله . إنما

(١) محمد الصدر ، تاريخ الغيبة الكبرى ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٢) محمد بن الحسن الصفار ، بصائر الدرجات ، ص ٢١ ح ٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٢ ح ١٠ .

معناه : أن لا يحتمله في قلبه من حلاوة ما هو في صدره حتى يخرج به إلى غيره))^(١) . وزيادة في الايضاح نذكر هذه الرواية التي تتضمن وصيةً أوصى بها الصادق (ع) مواليه وشيعته ، كما أوردها الشيخ المفيد في كتاب الاختصاص : ((اقرئ موالينا السلام ، وأعلمهم أن يجعلوا حديثنا في حصون حصينة ، وصدور فقيهة ، وأحلام رزينة . والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ما الشاتم لنا عرضاً ، والناصب لنا حرباً ، أشد مؤونةً من المذيع علينا حديثاً عند من لا يحتمله))^(٢)

ومن هنا ، فإنه يجب علينا أن نتعامل مع روايات أهل البيت (ع) تعاملًا حذرًا ، فأولاً : ينبغي أن نبتعد عن كل جزم إن كان الحديث محتملاً لوجوه عدة ، بل يفترض أن نستفرغ الوسع في استنباط كافة الوجوه المحتملة ، ثم نرجح بعضها دون أن نرفض الباقي . وثانياً : يجب أن نتجنب إذاعة بعض الأحاديث التي تنزل عقيدة العامة عن لا قدرة له على استيعاب مداليلها العالية بسبب قلة ثقافته أو عدم نضج وعيه . وبعبارة موجزة : لا بد من تجنب الإذاعة ، والامتناع عن التوجيه بالأراء . وقد أكد أمير المؤمنين (ع) في كلمة له على أهمية رعاية الحديث وتجنب ابتداله ، بكثرة تحريك اللسان به ، من دون بصيرة . قال : ((إعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية ، لا عقل رواية . فإن رواة العلم كثير ورعاه قليل))^(٣) وفي هذه الكلمة يشير أمير المؤمنين (ع) إلى ضرورة التدبر في فهم الحديث ، فلا يكفي مجرد التحدث به بدون روية ونظر .

طرق التعامل مع الروايات

هنالك طريقتين للتأكد من صحة صدور الرواية عن المعصوم (ع) : الطريق الأول هو السند ، والطريق الثاني هو عرض الرواية على كتاب الله تعالى . ان مسألة معرفة الدليل على صحة نسبة الروايات إلى قائلها

(١) الصدوق ، معاني الأخبار ، ص ١٨٨ ح ١ .

(٢) المفيد ، الاختصاص ، ص ٢٥٢ .

(٣) الامام أمير المؤمنين (ع) نهج البلاغة . حكمة رقم ٩٨ .

المعصومين(ع) بحيث يسقط احتمال كونها ملفقة أو مكذوبة ، تمثل إشكالية وميداناً للحجاج بين العلماء .

وأغلب العلماء قد إختار الطريق الأول ، أولاً : لشهرته . وثانياً : لوروده بعض الأخبار التي تحث عليه . وقد صنفت منذ وقت ليس بالقريب كتب كثيرة تعرضت لدراية الحديث سنداً وممتناً ، وذلك ضمن منهج خاص يدعى : الجرح والتعديل . وظهر ، لذلك ، علم قائم برأسه هو : علم الرجال . إذ أنه ، طبقاً لهذا الطريق ، من غير الجائز قبول أية رواية واعتبارها حجة مالم تثبت وثاقة جميع الرجال الذين تحملوها . ولذلك فإن أي قطع في سلسلة الاسناد ، يترك فجوة لا يمكن ملؤها مما يعتبر علامةً على ضعف الرواية ، وأحياناً-إذا تعددت الفجوة السندية أدت إلى سقوط الرواية من الاعتبار ، فضلاً عن الحجية . كما أن اكتشاف أية شائبة في عقيدة الراوي ، وربما في سيرته كذلك ، قد يفضي إلى طرح الرواية أو على الأقل تهميشها . فالسند عند مؤيدي هذا الطريق يعد بحق روح الرواية ، فهو المنظور إليه في كل تحقيق ابتداءً ، ويتبعه النظر في متن الرواية . إن صح السند .

والمطلع على أساليب العلماء في البحث والتحقيق ، يعلم مدى ما يمثله سند الرواية من أهمية لديهم . ولئن كان الاعتماد على هذا الطريق له ما يبرره على صعيد البحث الروائي الاستدلالي المتعلق بالاحكام ، فإن المبالغة في مراعاته في أصعدة أخرى من البحث يعد عملاً فيه تكلف ، وأحياناً إجحاف . حقاً أن هنالك أحاديث قد دعت الناقل للرواية أن ينسبها إلى من حدثه بها ، مثل ما ورد عن أمير المؤمنين (ع) : ((اذا حدثتم بحديث فأسندوه إلى الذي حدثكم ، فإن كان حقاً فلكم وإن كان كذباً فعليه))^(١) غير أنها لا تتعرض إلى أكثر من ذلك ، ولا ينسحب حكم الاسناد على مافي المتن . فمن الناحية المنطقية الصرفة لا يصح متابعة النهج الصارم بتعليق صحة الخبر على سلوك حملته ، إذ لا مناسبة معتداً بها بين مضمون الخبر وبين الصفات الشخصية

لناقليه ، نعم ، إذا كان الناقل متهماً بالوضع صحّت المناسبة ، أما بقية الصفات الأخرى مثل عقيدة الراوي واسلوب حياته الخاص فلا أثر له -منطقياً- على صحة الأخبار . هذا (باختصار وبتصرف) راي الطرف المقابل الذين يسلكون طريق العرض على كتاب الله . وحجتهم في دعم موقفهم بعدم الاعتداد برجال السند ، ما ورد عن احدهما (الباقر أو الصادق) (ع) : ((لا تكذبوا بحديث أتاكم به مرجئي ولا قدري ولا خارجي نسبه إلينا ، فإنكم لا تدرون لعله شيء من الحق فتكذبوا الله تبارك وتعالى فوق عرشه))^(١) ونحن حينما نغمن النظر في تحقيقات علمائنا المتأخرين (ره) نلاحظ أنهم قد جمعوا بين الطريقتين ، وإن لم يصرحوا بذلك . كما أنهم لم يفرضوا على الباحث لزوم التقيد بالقواعد الرجالية عند البحث والتحقيق في أحاديث أهل البيت (ع) ، ولا سيما إذا كان البحث خارج نطاق التخصص الفقهي . أما فيما يتعلق بالفقه ، فالأمر مختلف ، لأننا سنكون حينئذ بإزاء حكم شرعي يتعلق بحلال أو حرام ، لا تفرغ ذمة المكلف فيه إلا بإحراز الواقع . وذلك يستدعي أن نعرف قطعية الرواية عن المعصوم (ع) ، ولا يمكن القطع بها إلا بعد معرفة أحوال الرواة من حيث الوثاقة ، باعتبارهم الواسطة في نقل الحكم الشرعي بين المشرع و المتشرع عبر الرواية .

ان التطبيق الصارم للقواعد الرجالية في بعض الميادين لا يبرر تطبيقها في الميادين الأخرى من البحث المؤسس على الروايات ، فإن ذلك يضر بخصوصية المادة العلمية فضلاً عن النتائج المترتبة عليها . ومن تلك الميادين علم الاخلاق مثلاً ، فإنه لا يشترط فيه كون الحديث مسنداً ، فالمراسيل مثلاً صالحة لكفي تكون مبحوثة في مطالبه ، وكذلك بعض أبواب علم ما وراء الطبيعة أو الآهيات .

ونسلم بين الفينة والأخرى ، حدوث آراء جديدة الغرض منها تعديل بعض الأساليب المعمول بها في حقل علم دراية الحديث . ومن قبيل ذلك ما

(١) الصدوق ، علل الشرائع : ص ٣٩٥ ح ١٣ . والبرقي ، المحاسن : ص ٢٣٠ ب ١٦ ح ١٧٥ .

توطئة إلى علائم الظهور (٢٧)

قام به السيد أبو القاسم الخوئي (ره) ، فإنه قد كانت له آراء بخصوص بعض المسائل الرجالية إبان مراحل مرجعيته الأولى ، ثم عدل عنها في مرحلة لاحقة . ولنأخذ على سبيل المثال رأيه في وثيقة رجال ابن قولويه في كتابه (كامل الزيارة) ، إذ أن السيد كان قد فهم من عبارة ابن قولويه الواردة في مقدمة ذلك الكتاب أن الشيخ (ابن قولويه) كان بصدد توثيق جميع مشايخه المباشرين وغيرهم ، أي توثيق ثلاثمائة وثمان وثمانين راويًا ، لولا تلك العبارة لكانوا من المجاهيل . ثم عدل السيد الخوئي (ره) عن رأيه هذا بعد ذلك في أخريات حياته .

ومن قبيل ذلك أيضا ، ما تناقله طلبة الحوزة في النجف الأشرف من أن السيد عبد الأعلى السبزواري (ره) كان قد اعتمد في بحثه الاستدلالي ، في كتابه الكبير (مهذب الأحكام) على بعض الروايات الواردة في كتاب (مصباح الشريعة) المنسوب إلى الإمام الصادق (ع) وقد نوقش السيد من قبل بعض أجلاء الحوزة ، بأن تلك الرواية غير صالحة في مقام الاستدلال . لورودها في الكتاب المذكور ، فرد السيد (ره) بأنه على الرغم من ذلك إنه على يقين بصدور تلك الرواية عن الإمام . وهذا اليقين بحد ذاته ، كاف لتبرير صحة الاستدلال .

من المشهور تاريخيا أن بني فضال ، وهم جماعة من الرواة ، يقولون بإمامة عبد الله الأفتح ابن الإمام الصادق (ع) ، وهم : الحسن بن علي بن فضال ، وأحمد بن الحسن بن علي بن فضال ، وعلي بن الحسن بن علي بن فضال ، قاموا برواية عدد كبير من الأحاديث . ولكثرة أحاديثهم وفساد عقيدتهم وجه بعض الشيعة سؤالا إلى الإمام العسكري (ع) بخصوص الموقف الذي ينبغي اتخاذه اتجاه تلك الأحاديث . فأجاب (ع) : ((خذوا ما رووا وذرّوا ما رأوا))^(١) ولأجل هذه الرواية إختار جمع من الاعلام منهم الشيخ الأنصاري (أعلى الله مقامه) أن الرواية متى ما ورد في سندها بعض بني فضال فهي

(١) الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، كتاب القضاء باب ١١ ج ١٣ .

(٢٨) التعامل مع الروايات

حجة ، ويدمل بها حتى لو اشتملت على بعض الضعفاء بين بني فضال والامام (ع) . وقد رفض هذا الرأي كثير من الأعلام بدعوى : أن المقصود في الرواية بيان أن فساد العقيدة لا يمنع من الأخذ بالرواية ، فهي في صدد نفي المحذور من جهة بني فضال لا أكثر^(١) .

المجاميع الروائية الكبرى

هنالك نزاع بين العلماء حول دعوى كون جميع أحاديث الكتب الأربعة^(٢) قطعية الصحة والاعتبار ، ولا مجال للتأمل في رجال اسنادها . ويتمسك المثبتون لصحة هذه الدعوى بتعابير وردت في مقدمات تلك الكتب ، استفيد منها توثيق أصحابها لجميع رواياتها المذكورين فيها ، ويتمسكون أحياناً ببعض الوجوه التي تعم جميع الكتب الأربعة ، كالوجوه التي تمسك بها الحر العاملي في وسائله ، وهي إثنان وعشرون وجهاً . وسوف نقتصر على ذكر بعض الوجوه القوية ، في سبيل أن يطلع القارئ الكريم على جانب من النزاع الذي دار بين العلماء بهذا الصدد .

❁ فمنها الوجه الأول وملخصه : أن أصحاب الأئمة (ع) قد أتعبوا أنفسهم لضبط الاحاديث وتدوينها والحفاظ عليها إلى زمان مؤلفي الكتب الأربعة ، وقام هؤلاء بدورهم بتدوين تلك الاحاديث المودعة في تلك الكتب . وهذا الاهتمام الكبير يولد العلم بصدور تلك الاحاديث المودعة في الكتب الأربعة عن الأئمة (صلوات الله عليهم) .

❁ ومنها الوجه الثالث : ان مقتضى الحكمة الربانية ، وشفقة أهل البيت (ع) بالشيعة ، تمهيد أصول معتمدة لهم يعملون بها زمن الغيبة . وليست

(١) باقر الإيرواني ، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية ، ص ٣٧ .

(٢) وهي الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ) ، من لا يحضره الفقيه لمحمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) ، الاستبصار والتهديب للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) .

توطئة إلى علائم الظهور (٢٩)

هي إلا المصادر التي اعتمدها صاحب الوسائل (ومنها الكتب الاربعة بطبيعة الحال) لتأليف ذلك الكتاب .

❖ ومنها الوجه السابع : ان أحاديث كتاب الوسائل إذا لم تكن صحيحة يلزم وقوع الشيعة في الضلال إلى يوم القيامة . وأئمة أهل البيت (ع) لا يرضون بذلك .

❖ ومنها الوجه الثاني عشر : ان التقسيم الرباعي للحديث (صحيح ، موثق ، حسن ، ضعيف) مأخوذ من كتب العامة . وقد أمرنا باجتنباب طريقته^(١) .

❖ ومنها الوجه السادس عشر : ان هذا التقسيم الرباعي لا يفيد إلا الظن ، وقد أمرنا باجتنباب الظن .

أما المعارضون لكون تلك الكتب صحيحة في كل ما ورد فيها من أحاديث ، فلهم أقوال ، منها :

ان في الكافي وغيره من الكتب الاربعة أحاديث لا يمكن التصديق بصدورها عن المعصوم (ع) ، فعلى سبيل المثال : ما ورد في الكافي ، في كتاب الطلاق : ان أمير المؤمنين (ع) ارتقى المنبر وقال : ((لا تزوجوا ولدي الحسن فإنه مطلق))^(٢) ، وقيل أمثال بأن هذا الحديث لا بد من رفع اليد عن ظاهرها وتأويلها بشكل من الاشكال . فمثلاً ، ينبغي أن يأول الحديث المذكور أعلاه ، بأن بعض العوائل الكوفية كانت تحاول تزويج الامام الحسن (ع) من بعض بناتها وكان أمير المؤمنين (ع) يحذر على ولده من تلك البنات . وأجيب على هذا التوجيه : بأنه ، ما الفائدة في الحفاظ على الصدور وإلغاء الظهور؟ ان

(١) ينسب ابتكار هذا التقسيم الرباعي إلى العلامة الخلي . راجع ، باقر الايرواني ، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية ص ٤٥ . أما الأمر باجتنباب طريقة العامة ، فقول الصادق (ع) ((خذ بما فيه خلاف العامة)) راجع الطبرسي ، الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

(٢) الكليني ، الكافي ، ج ٦ ص ٥٦ .

(٣٠) التعامل مع الروايات

تقديس أهل البيت (ع) وأخبارهم يلزم أن يدعونا للحفاظ عليها صدوراً وظهوراً .
أما التسليم بصدورها مع عدم العمل بظهورها ، فهو رفع - بالتالي - لليد عن أخبار
أهل البيت (ع) ويعني عدم علمنا بها ^(١) .

ومن الحجج التي يتمسك بها المعارضون لرفض دعوى : أن جميع ما في
الكتب الاربعة صحيح ، الآتي :

١- ان اهتمام أصحاب الأئمة (ع) بالاخبار وتدوينها ، لا يولد اليقين
بصحة جميعها . بل غاية ما يقتضيه هو العلم بصحة كثير منها .

٢- ان مصنفي الكتب الاربعة أنفسهم لا قطع لهم بصحة جميع
الاحاديث التي أودعوها في كتبهم ، فكيف يكون القطع المذكور ثابتاً لغيرهم؟

٣- لو سلمنا بأن جميع الأصول ^(٢) (الاربعمائة) المنقول منها روايات
الكتب الاربعة قطعية الصدور أو متواترة النسبة لأصحابها ، فهذا لا يعني عدم
الحاجة إلى وجود طريق معتبر ، فإن قطعية أهل الكتاب وتواتر نسبه لصاحبه لا
يستلزم قطعية جميع نسخها . فلربما اشتملت بعض النسخ على زيادة او نقصان
أو تحريف ، فنحتاج إلى طريق معتبر إلى نفس صاحب الكتاب لنأمن من هذه
المخازير . وبكلمة أخرى : ان تواتر الكتب نفسها لا يعني تواتر نسخها ^(٣) .

(١) باقر الايرواني ، دروس تمهيدية ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) الاصل من كتب الحديث : هو ما كان المكتوب فيه مسموعاً لمؤلفه عن المعصوم (ع) أو عمن سمع
عنه ، لا منقولاً من مكتوب ، فإنه فرع منه . قال الشهيد الثاني في شرح الدراية : ((استقرار المتقدمين
على اربعمائة مصنف لاربعمائة مصنف سموها أصولاً ، فكان عليها اعتمادهم)) وقال السيد الداماد
في الراشحة التاسعة والعشرين من رواشحه : ((يقال قد كان من دأب أصحاب الاصول أنهم إذا
سمعوا من احدهم (ع) حديثاً بادروا إلى ضبطه في أصولهم من غير تأخير)) .

(٣) بعد جمع الاصول في المجاميع الروائية قلت الرغبات في استنساخ أعيانها لمشقة الاستفادة منها ،
فقلت نسخها وتلفت النسخ القديمة تدريجياً . وأول تلف وقع فيها إحراق ما كان موجوداً منها في
مكتبة سابور بالكرخ ، فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بيك ، أول ملوك السلجوقية ، إلى
بغداد (سنة ٤٤٨ هـ) ، وكان ذلك بعد تأليف شيخ الطائفة : التهذيب والاستبصار ، وجمعهما من
تلك الاصول التي كانت مصادر لهما . ثم بعد هذا التاريخ ، هاجر الشيخ الطوسي من الكرخ وهبط
النجد الأشرف ، وصيرها مركزاً للعلوم الدينية إلى إثنى عشرة سنة وتوفي فيها سنة ٤٦٠ للهجرة . =

توطئة إلى علائم الظهور (٣١)

٤- انه بناء على قطعية جميع ما في الكتب الاربعة ، فلا حاجة لتسجيل الشيخ الطوسي والصدوق للمشيخة في آخر كتابيهما ، وذكر طرقهما إلى الأصول التي نقلها الاحاديث ، ولا معنى -ايضا- لما ذكره الشيخ الطوسي في مقدمة المشيخة من : أني أذكر هذه المشيخة لتخرج أحاديثي من الارسال إلى الاسناد!

هذا هو باختصار جانب من النزاع الدائر بين العلماء بخصوص ما ورد في الكتب الاربعة . فالمؤيدون وهم الاخباريون ، يتمسكون لدعم موقفهم بحديث وارد في الكافي ، عن الصادق (ع) : ((اعرفوا منازل الرجال منا على قدر رواياتهم عنا))^(١) وكذلك بحديث أبي خالد (من أصحاب الامام محمد الجواد (ع) قال : قلت لأبي جعفر الثاني (ع) : ((جعلت فداك رووا عن ابي جعفر وأبي عبد الله (ع) ، وكانت التقية شديدة ، فكتبتموا كتبهم ولم ترو عنهم ، فلما ماتوا صارت الكتب الينا . فقال : حدثوا بها فإنها حق))^(٢) . والمعارضون وهم الاصوليون ، يتمسكون بأدلة عقلية لدعم وجهة نظرهم ، منها : ان تلك الروايات (التي يتمسك بها المؤيدون لدعم موقفهم) وإن دلت على حجية نقل الاخبار ووجوب قبول النقل في الجملة ، إلا أنها لا تدل على حجية كل نقل . وهل يحتمل أن أهل البيت (ع) يأمرونا باتباع كل خبر بما في ذلك خبر الفاسق^(٣) ، والقرآن الكريم يقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ

= وكان أكثر تلك الاصول باقيا بالصورة الأولية إلى عصر محمد بن ادريس الحلبي وقد استخرج من جملة منها ما جعله (مستطرفات السرائر) وحصلت جملة منها عند السيد رضي الدين علي بن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ ، كما ذكرها في كشف المحجة ، وينقل عنها في تصانيفه . هذا ولعله يوجد منها في أطراف الدنيا ما لم نطلع عليه والله العالم .

(١) الكليني ، الكافي ، ج ١ ص ٥٠ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ٥٣ .

(٣) هناك نزاع في معنى كلمة الفاسق . فهل هو المرتكب للمعاصي مطلقا ، أم خصوص غير المتحرز عن الكذب . وقد استدل بعضهم بأن المقصود بالفاسق بالآية هو : غير المتحرز عن الكذب ، بقرينة ما ورد في الآية بقوله ﴿فتبينوا﴾ والفاسق الذي يرتكب بعض المحرمات إذا كان صادقا في نقله ، =

(٣٢) التعامل مع الروايات

فَتَبَيَّنُوا أَنَّ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ^(١) . أما قوله (ع) : ((حدثوا بها فإنها حق)) فهو يدل على أن جميع ما صدر عن الباقر والصادق (ع) وأودع في الكتب الأربعة قد صدر من الأئمة (ع) وهو حق لا ريب فيه . ان الحديث السابق يدل على أن ما صدر عنهم (ع) حق ، لا أن كل ما هو موجود في الكتب الأربعة حق وصادر منهم (ع) .

حسم النزاع

تبين لنا بما تقدم جانبا من نزاع أصحاب الطريق الأول في التعامل مع الرواية سواء كانوا أصوليون أم أخباريون ، ويتفق هؤلاء ضمناً على ضرورة عدم تعارض الرواية مع كتاب الله تعالى ، وهذا ما يقوي جانب أصحاب الطريق الثاني ممن يعتقد بأن الأصل في صحة الروايات ليس هو السند ولكن موافقة متنها لما جاء في القرآن الكريم .

من المعلوم ان ذلك النزاع جاء متأخراً عن زمان أصحاب المجاميع الروائية الكبرى ، وهذا يعني أن اولئك الاجلاء وعلى رأسهم مؤلفي الكتب الأربعة قد اعتمدوا في تدوينهم للاحاديث على أصل غير رجالي ، وإلا لم يرتضوا نقل الاحاديث التي صنفت- فيما بعد- في خانة الضعيف أو المناكير . وذلك الإصل أما أن يكون كالحديث الذي قلناه أنفاً عن أمير المؤمنين (ع) ((اذا حدثتم بحديث فاسندوه إلى الذي حدثكم)) أو غيره كالحديث المروي عن الصادق (ع) : ((ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف))^(٢) فإنه لا بد من وجود أساس بموجبه تم جمع مختلف أصناف الحديث ، وإلا فإن طريقة جمعهم إن لم تكن مؤسسة على أصل اعتمده ، أو إرشاد ، من آل محمد (ع) فهو عبث أو جهل ، وهم أبعد ما يكون عن ذلك ، إذ أن نقلهم للروايات الضعيفة أو المناكير

يجوز الأخذ منه ، والآ فقله ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ لا معنى له .

(١) الحجرات ٦ .

(٢) الكليني ، الكافي (الأصول) ج ١ ص ٦٩ .

توطئة إلى علائم الظهور (٣٣)

في حالة علمهم بضعفها وسقوطها عن الاعتبار إما أن يكون عملاً تصنيفياً صرفاً ، أو يكون عملاً من دون احتياط والأول غير جائز ؛ لأنه يخرجهم عن مقتضى التحقيق ، وقد شهد أغلب العلماء لهم بذلك . والثاني لا يليق بمقامهم ؛ لأنه يخرجهم عن مقتضى الورع ، وهم من الأجلاء الورعين (أعلى الله مقامهم) .

إذن ، فلا بد من وجود أصل قد استندوا إليه في تصنيف تلك الكتب وذلك الأصل لا ينبغي أن يكون اصلاً رجالياً ، وإلا لم يدونوا في كتبهم إلا الصحيح ، وقد تبين لنا أنهم لم يلتزموا بذلك . بقي إذن ، أن يكون الأساس الذي كان تدوينهم وجمعهم واختيارهم طبقاً له : نصاً قطعوا بصدوره عن المعصوم يتجلى فيه رغبة المعصوم (ع) في أن يكون التعامل مع الاحاديث على ضوئه .

ومنشأ الاعتقاد بوجود أصل تم الاعتماد عليه في تاليف تلك المجاميع الحديثية هو التعجب أو الاستغراب من سلوك أولئك الاعلام في اختيار بعض الروايات رغم ما فيها من علل سنديّة ألا يكون عملهم جار على غير هدى ، وفي سبيل أن يحصل الاطمئنان بكونهم علماء ثقات لا مجرد مصنفين كتب ، صار من اللازم البحث عن السبب الذي قادهم إلى هذا النهج .

وربما جاز لنا اللجوء إلى رأي قوي يصح أن يكون هو الأصل المبحوث عنه ، رغم أننا لم نعثر في أقوال أولئك الاعلام على ما يشير إلى تأصيلهم له ، غير أن القرائن المرتبطة بظروف تأليفهم للكتب المذكورة يؤيد ذلك الرأي ، وسنذكره في الفقرة التالية . وإن شيخوخة الاجازة^(١) لا تكفي - كما يعتقد البعض - في مقام التأصيل ، وإن كانت هي الطريقة المعمول بها في تحمل الرواية

(١) أخذ الرواية عن شخص له صور متعددة ، فتارة يسمع التلميذ الرواية من الاستاذ ، وأخرى يقرأ الاستاذ الرواية على التلميذ ، وثالثة يجيز الاستاذ التلميذ بأن يدفع له الكتاب الذي سجل فيه الروايات وجمعها فيه ويقول له : أجزتك في نقل الروايات الموجودة فيه عني . ويصطلح على الشكل الثالث بتحمل الرواية بنحو الاجازة . كما ويصطلح على صاحب الكتاب الذي صدرت الاجازة منه بشيخ الاجازة .

(٣٤) التعامل مع الروايات

عن أصحابها . إذ أنها لا تكاد تكفي لإثبات الوثاقة لشيخ الاجازة أنفسهم ، فكيف يصح أن تكون أصلاً لإثبات صحة جميع ما ورد في المجاميع المعتمدة ، وتلك الصحة- كما أوضحنا- مرتبطة بوثاقة جميع الرجال ، ومن ضمنهم شيخ الاجازة بطبيعة الحال؟ أما أنها غير كافية لإثبات وثاقة مشايخ الاجازة ، فذلك لأن سماع الثقة للرواية عن شخص ونقلها عنه ، لا يدل على وثاقته ، أي أن شيخوخة الاجازة تفيد في مقام إثبات السماع ، لا في مقام إثبات صحة المسموع ووثاقة المسموع عنه .

الأصل المغني عن السند

ذكرنا حين الكلام عن كيفية التعامل مع الرواية ، ان الطريق الثاني هو طريق عرض الرواية على كتاب الله تعالى ، ومن أجل ان نتعرف على وجهة نظر أصحاب هذا الطريق فلا بد من التأمل في الحديث التالي الذي نقله الشيخ الكليني بسنده عن السكوني ، عن الصادق (ع) رفعه إلى رسول الله (ص) ، قال : قال رسول الله (ص) : ((ان على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نوراً ، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه))^(١) . إن الرسول الكريم (ص) بصدد تأسيس قاعدة كلية ، وتأصيل أصل ثابت ، لتمييز الحق من الباطل والصواب من الخطأ ، لا في الاقوال فحسب ، بل في الاقوال والافعال جميعاً ، إذ يدعوننا (ص) إلى الاحتكام إلى كتاب الله (ره) عند عروض الشبهات أياً كان مصدرها فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وفي حديث آخر للصادق (ع) ، عن ابن ابي يعفور قال : سألت أبا عبد الله (ع) عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ، ومنهم من لا نثق به؟ فقال : إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (ص) وإلا فالذي جاءكم به أولى به))^(٢) .

(١) المصدر السابق ، ج ١ ص ٦٩ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ٦٩ .

توطئة إلى علائم الظهور (٣٥)

إن مثل هذه الروايات تشير إلى أن الحديث لا يمكن أن يعرف صوابه من خطأه إلا بعد عرضه على كتاب الله ، فهو الميزان الإلهي الذي يوزن به الحق المشتبه بالباطل ، فيظهر الحق ويزهق الباطل ، قال عز من قائل : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾^(٢) وصواب الحديث (بعد العرض على كتاب الله) يكون دليلاً على صدوره عن المعصوم (ع) ، وإن كان في سنده اشكال ، بينما خطأه يكون دليلاً على عدم صدوره عنه ، وإن كان سنده محكماً لا خلل فيه ولا علة . ولذلك جاء في الخبر الذي رفعه الصادق (ع) إلى جده رسول الله (ص) قال : ((خطب النبي (ص) بمنى فقال : أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله))^(٣) .

وهكذا ، فإن أهل البيت (ع) قد ندبوا الناس ، وعلى رأسهم علماء الدين ، إلى جعل كتاب الله مرجعاً ليس فقط للأحكام ، بل لكل قول أو فعل حتى يزول الشك والشبهة ويسفر الحق . وقد يعترض البعض : أن كتاب الله لا يمكن أن يفهم أو يعرف حق معرفته ، إلا عن طريق آل محمد (صلوات الله عليهم) وفي ذلك دور صريح ، إذ إن معرفة حديث آل محمد متوقفة على معرفة القرآن ، ومعرفة القرآن متوقفة -هي الأخرى- على معرفة حديث آل محمد ، والمتوقف على شيء متوقف عليه ، يكون متوقفاً على نفسه ، وهو باطل . ونقول في رد هذا الاعتراض : أنه لا وجود للدور المزعوم ، وذلك لتباين المراد من معنى المعرفتين ، أي أن المعرفة المضافة إلى حديث آل محمد (ع) في المقدمة الأولى لا تدل على نفس المعنى الذي تدل عليه المعرفة في المقدمة الثانية . ومعنى ذلك ،

(١) الاسراء : ٨١ .

(٢) -

(٣) الكليني ، أصول الكافي ، ج ١ ص ٥٦ ح ٥٠ .

(٣٦) التعامل مع الروايات

ان القياس أعلاه فاسد بسبب كون الحد الأوسط مشتركاً أي : له عدة معان ، فإن المعرفة في المقدمة الاولى بمعنى : تمييز الصحيح من الفاسد ، وفي المقدمة الثانية بمعنى : العلم بالحديث المختص بمعرفة القرآن .

والحق إن هنالك نوعاً من التكامل بين الكتاب والعترة ، إذ أن كل واحد منهما يشهد لصاحبه ، فقد روي عن الصادق (ع) عن ابيه عن جده السجّاد (ع) : ((الإمام منا لا يكون إلا معصوماً ، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ، ولذلك لا يكون إلا منصوباً ، فقبل ما معنى المعصوم؟ قال : هو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن ، والقرآن يهدي إلى الامام ، وذلك قول الله (ره) ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١)))^(٢) فلا عجب اذن من الاعتماد على القرآن في تقييم ما ورد من الاخبار . وهذا التلازم بين الكتاب والعترة هو الذي يبرر لجوء أصحاب الطريق الثاني إلى عدم اعتبار السند شرطاً لصحة الرواية ، فالرواية تُقبل وإن كان سندها ضعيفاً ، أو مقطوعاً كالمراسيل : لأن الضامن لصحة الرواية هو موافقة متنها لكتاب الله ، وعدم تناقض المعنى مع أي الذكر الحكيم .

عرض المشكل العلمي على الحديث

روي عن الصادق (ع) انه قال : ((لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلا الكف عنه ، والتثبت ، والرد إلى أئمة الهدى ، حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلوا عنكم فيه العمى ، ويعرفوكم فيه الحق . قال تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)))^(٤) في هذا الحديث الشريف يعلمنا الامام الصادق (ع) كيف ينبغي ان نتصرف حينما نواجه مشكلاً من العلم . فالخطوة الاولى هي الكف ؛ أي عدم إبداء الرأي بخصوص المشكل ،

(١) الاسراء : ٩ .

(٢) الفيض الكاشاني ، تفسير الصافي ، م ١ ص ٩٦٠ .

(٣) النحل : ٤٢ ، والانبياء : ٧ .

(٤) الكليني ، أصول الكافي ج ١ ص ٥٠ .

توطئة إلى علائم الظهور (٣٧)

وتعليق الرد حتى حين . إذ ان تكلف الجواب من دون تسروي لمعرفة الحق فيه ، يؤدي إلى الاشتباه والضلال . والخطوة الثانية : هي التثبت ، أي طلب الدليل و البحث عما يدعم الموقف بمراجعة المصدر ، حتى يزول الشك الداعي إلى التزلزل . والخطوة الثالثة : هي الرد إلى أئمة الهدى ومصدر الحقيقة والنور ، آل محمد (ع) ، فإنهم حائزون على علم الكتاب كله ، فما حكموا به فهو حكم الله ، إذ لا يتسنى لأحد الرجوع مباشرة إلى القرآن الكريم ، فقد روي عن جابر الجعفي قال : ((سألت أبا جعفر (ع) عن شيء من التفسير فأجابني ثم سألته عنه ثانية فأجابني بجواب آخر ، فقلت : جعلت فداك كنت أجبنتني في هذه المسئلة بجواب غير هذا ، قبل اليوم؟ فقال : يا جابر إن للقرآن بطناً وللبطن بطن ، وله ظهر وللظهر ظهر . يا جابر ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ، إن الآية يكون أولها في شيء وآخرها في شيء . وهو كلام متصل متصرف على وجوه)) (١) .

إذا اتضح ذلك ، نعلم ان الاسلوب الامثل والسليم لحل الإشكالات العلمية إنما هو بالرجوع إلى حديث آل محمد (ع) حتى نأمن من خطر الزيغ عن الحق ، إذ أن الرجوع إليهم مباشرة في هذا العصر متعذر ، ولذا يقوم رواة حديثهم مقامهم في الكشف عن غموض بعض المسائل العلمية ، وانما يكون لهم هذا الاعتبار لما عندهم من موروثهم العلمي المجموع في كتبهم . ولذا ورد عن الإمام المهدي (ع) في أحد توقيعاته : ((وأما الحوادث الواقعة فأرجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم)) (٢) .

عرض الروايات على كتاب الله

لنفرض اننا واجهنا خبراً شككنا في نسبه أو صدوره عن اهل البيت (ع) . وأردنا عرضه على كتاب الله (ره) ، فما هي الاجراءات الواجب اتخاذها ،

(١) المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٩٢ ص ٩١ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٥٣ ص ١٨١ .

لكي نتمكن من ذلك؟ إن الاجابة عن هذا التساؤل ليست بالبساطة التي يتصورها البعض ، لأن عرض الروايات على القرآن الكريم يتطلب بالإضافة سعة الاطلاع على احاديث اهل البيت (ع) ، معرفة جيدة بعلوم القرآن وتفسيره . وذلك مما لا يتيسر لكل أحد . ولذا ينبغي ان نوضح جملة من النقاط ، لمن لا يعرف من القرآن إلا معرفة مجملة ومن يكون إطلاعاه على الحديث متوسطا ، كيما يراعيها حال العرض :

النقطة الاولى : ان في حديث آل محمد (ع) محكما ومتشابهها ، على ضوء ما في القرآن الكريم ، وعليه ، فيجب تمييز محكم الحديث من متشابهة ، وباستطاعة المرء ان يحصل المعرفة بهما من خلال اطلعاه على معنى المحكم والمتشابه ومصاديقه من أي الكتاب العزيز ، لأن الحديث الشريف يجري مجراه . فقد روي عن الإمام الرضا (ع) انه قال : ((من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم ، ثم قال (ع) : ان في أخبارنا متشابهها كمتشابه القرآن ومحكما كمحكم القرآن . فردوا متشابهها إلى محكمها ، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا))^(١) .

النقطة الثانية : ان في حديث آل محمد (ع) ناسخا ومنسوخا كناسخ القرآن ومنسوخه . وهذا يحتاج إلى معرفة أمرين : الامر الاول : وجود التعارض بين الاخبار وعدمه ، فيما يتعلق بموضوع مشترك فيما بين خبرين فأكثر .

الامر الثاني : التسلسل الزمني أو التاريخي لصدور الاحديث عن المعصومين (ع) حيث يلزم الاخذ بالاحداث زمانا ، عند وجود التعارض . روي عن محمد بن مسلم انه قال : قلت له (للصادق (ع)) : ما بال أقوام يروون عن فلان وفلان عن رسول الله (ص) لا يتهمون بالكذب ، فيجسيء

(١) الصدوق ، عيون أخبار الرضا ، ج ٢ ص ٢٩٠ .

توطئة إلى علائم الظهور (٣٩)

منكم خلافه؟ قال : ((ان الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن))^(١) . وروي عن المعلی بن خنیس قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : إذا جاء حديث عن اولكم وحديث عن آخركم بأيهما نأخذ؟ فقال : ((خذوا بالأحدث))^(٢) .

النقطة الثالثة : ان في حديث آل محمد (ع) خاصا وعاما كما في القرآن الكريم . روي عن امير المؤمنين في حديث طويل انه قال : ((... قد كان يكون من رسول الله (ص) الكلام له وجهان : كلام عام ، وكلام خاص ، مثل القرآن . وقال الله تبارك وتعالى في كتابه : ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾^(٣) فيشبهه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله (ص) . وليس كل أصحاب رسول الله (ص) كان يسأله عن الشيء فيفهم ، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه ، حتى كانوا ليحبون ان يجيء الاعرابي والطاربي فيسأل رسول الله (ص) حتى يسمعوا ...))^(٤) .

تلك هي ابرز النقاط التي ينبغي الالتفات إليها حال عرض الاخبار على كتاب الله (ره) . وفي حال تعسر إجراء العرض ، حينما يكون موضوع الرواية أو سياقها مستغلقا على الفهم ، لا يجوز رفض الرواية أو تكذيبها أو التبري ممن يعتقد بها ، بل يجب التروي حتى يعرف وجه الحكمة فيها ، وإن تعذر ذلك يجب تعليق الحكم عليها وردها إلى آل محمد (ع) . روي عن الكاظم (ع) انه قال : ((لا تقل لما بلغك عنا أو نسب إلينا : هذا باطل ، وإن كنت تعرف خلافه ، فإنك لا تدري لم قلنا ، وعلى أي وجه وصفة))^(٥) وروي عن الباقر (ع) قوله : ((والله ان أحب اصحابي إلي اورعهم وأفقههم وأكتمهم

(١) الكليني ، الكافي (الاصول) ، ج ١ ص ٦٥ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ٦٧ .

(٣) الحشر : ٧ .

(٤) الكليني ، الكافي (الاصول) ج ٢ ص ٦٣ .

(٥) البرقي ، المحاسن ، ص ٢٥٨ .

(٤٠) التعامل مع الروايات

لحديثنا ، وإن أسوأهم عندي حالا وأمقتهم الي : الذي إذا سمع الحديث ينسب اليه ويروي عننا ، فلم يعقله إشمأز منه وجحده ، وكفر بمن دان به ، وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج والينا أسند ، فيكون بذلك خارجا من (ولايتنا) (١) .

ومعنى ذلك : ان على العارض للرواية ألا يسارع بانكارها بمجرد عدم موافقتها لما عنده من القواعد والضوابط ، فإن من اعتمد على ذلك ، لا يكاد يصيب الحق ، إذ لعل الغموض منشأ تلك القواعد ، أما في أصل صحتها أو في عمومها ، وعليه اذن ان يتروى ، كما يفعل ذلك عند مواجهة المشكل العلمي ، بل ان خطوات (الكف والتثبت والتروى) في طلب معرفة الحديث المشكل أولى وألزم . ولذا قيل للصادق (ع) : ((ان الرجل ليأتينا من قبلك ، فيخبرنا عنك بالعظيم من الامر ، فيضيق بذلك صدورنا حتى نكذبه . قال (ع) : أليس عني يحدثكم؟ قيل : بلى . قال : فيقول للليل انه نهار ، وللنهار انه ليل ؟ قيل : لا . قال : رده إلینا ، فإنك إن كذبت فإنما تكذبنا)) (٢) .

ان ديدن عامة الناس هو الأنس بالمألوف ، والذهول عن غيره وانكاره ، حتى وإن كان ذلك الغير مما لا يصطدم مع المبادئ العقلية المركوزة في فطرة الانسان ، كقانون عدم التناقض ونحوه ، تلك المبادئ التي يجبر الاصطدام بها إلى حصول التناقض عروض المحال في الفكر والواقع . أما ما جاء في الاخبار من غرائب تشتمل على ما يحير الألباب ، فليس مرده إلى استحالة مضمون الخبر ، بل إلى قلة العلم وضعف الاستيعاب ، ولذلك يتوجب على طالب الحق والحقيقة ان يتوقف عن تكذيب ما لم يحط به علما ، وانكار ما لم يعرف له محملا من وجوه المعنى الذي ينصرف إليه حديثهم (ع) . روي عن الباقر (ع) انه قال : ((من سمع من رجل أمرا لم يحط به علما فكذب به . . ومن أمره

(١) محمد بن الحسن الصفار ، بصائر الدرجات ، ص ٥٥٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٢٤ .

توطئة إلى علائم الظهور (٤١)

بالرضا بنا والتسليم لأمرنا ، فإن ذلك لا يكفره))^(١) أي ان الرجل الذي يسمع حديثا لا يهتدي إلى وجه الحكمة فيه ، ويعتقد انه كذب ، ينبغي ان يؤمر بالرضا بأل محمد (ع) والتسليم لأمرهم ، حتى لا يجره التكذيب إلى الكفر .

(١) نفس المصدر ، ص ٥٢٤ .

الفصل الثاني

الروايات والتحقق

التصنيف العام للروايات

يمكن تصنيف الروايات بصورة عامة باعتبار الموضوع الى صنفين رئيسيين :

الصنف الاول : روايات الاحكام ، وهي كل رواية يشرع فيها امرٌ ما على نحو التكليف أو العمل ، أعم من ان يكون العمل تعبدياً محضاً أو سلبكاً نديباً . وذلك السلوك هو الآخر أعم من ان يكون فردياً أو جماعياً . وهذا . يشمل مسائل الحلال والحرام المبحوث عنها في علم الفقه ، والمبادئ الاخلاقية والتوصيات السلوكية المبحوث عنهما في علم تهذيب الاخلاق . إن هذا الصنف من الروايات ليس من شأن هذه الدراسة ان تتعرض له إلا نادراً . فإن نطاق البحث فيه أوسع من حدود هذا الكتاب وخارج موضوعه .

الصنف الثاني : روايات الاحداث^(١) ، وهي كل رواية يخبر فيها عما

(١) إذا ورد هذا الجمع للحدث ، فإن المقصود (ود به هو الحوادث الخاصة المتميزة من حيث أثرها التاريخي ، وليس المقصود من - الأحداث - كل حدث مهما كان نوعه . ورد تعريف الحدث في المنجد بأنه الأمر الحادث ، أو الأمر المنكر الذي ليس معتاداً ولا معروفاً في السنة . وهذا التعريف قريب مما نريد إلا انه ليس هو الأمر المنكر ، بل الهام . ولا يوجد تعريف للحدث في اللغة العربية يقرب مما نقصده عدا ما ذكر . وإن كان يوجد في اللغات الأخرى . ففي الفرنسية (evenement) ، وفي الانكليزية (event) .

(٤٤) الفصل الثاني (الروايات والتحقيق)

يجري في الزمان ، سواء كان حاضراً أم ماضياً أم مستقبلاً . وهذا الصنف قد نخصه باسم الأخبار ، وسوف نوجه عنايتنا فيما يأتي من صفحات الى دراسة الأخبار ونسلط الضوء - خصوصاً - على ما يتعلق منها بمستقبل الزمان . وذلك لصلته المباشرة بموضوع هذا الكتاب .

التصنيف الخاص للأخبار

ليس من غرضنا التطرق للتصنيفات الخاصة للروايات باعتبار الموضوع ، فإنه لا ثمرة ترتجى من ذلك على صعيد التأسيس في الدراسات المهدوية . بعكس البحث في الرواية من جهة عامة ، ولا يعيننا في هذا الفصل إلا ذكر المباحث التي تُعد الدراسة لقسمها الثاني ولذلك فإنه من المفيد - هنا - أن نجري تصنيفاً خاصاً على أساس خاص .

تنقسم الاخبار المتعلقة بالحوادث مطلقاً الى قسمين ، أو طائفتين

كبيرتين :

الطائفة الاولى : وهي الاخبار التي تحكي سير الانبياء وأوصياؤهم (ع) والأمم الخالية السابقة على ظهور الإسلام ، يضاف إليها - بطبيعة الحال - سيرة النبي محمد (ص) وغزواته ، وكذا ، ما يتعلق بالأئمة المعصومين (ع) واحداً بعد واحد ، حتى وقت الميلاد الميمون لصاحب الأمر (عجل الله فرجه) في الخامس عشر من شهر شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة النبوية الشريفة .

الطائفة الثانية : وهي مجموع الاخبار التي تتحدث عما يحصل في مستقبل ذلك المولد المبارك ، وبضمنها الأخبار المتعلقة بعلائم الظهور وأشراط الساعة ، وكل ما له صلة بالإمام المهدي المنتظر (ع) ، أي كافة الاحداث التي تجري في زمان الغيبتين - الصغرى والكبرى - وعصر الظهور ، وما بعده .

إن اختيار مولد الإمام الحجة (ارواحنا فداه) أساساً لهذا التصنيف له ما يبرره . وذلك استناداً الى واقعة كون المهدي (ع) صاحب الزمان . وعلى ذلك ، فإن الفترة الزمنية السابقة على مولده المبارك - بلحاظ هذا الإسم - هي

الماضي بالفعل . والفترة الزمنية التالية لمولده - بلحاظه - هي المستقبل بالفعل . وربما أشكل علينا البعض بأن الزمان ينقسم بالقسمة المنطقية الحاضرة الى ثلاثة أقسام : ماضٍ وحاضر ومستقبل ، فلماذا تمّ الاقتصار في التصنيف اعلاه على الماضي والمستقبل فحسب؟ ثم كيف جاز استبعاد الحاضر مع انه يمثل اصل الزمان كما يقول الفلاسفة؟ ونقول في رفع الاشكال : إن الحاضر ليس إلاّ حداً فاصلاً بين ماضي الزمان ومستقبله ، ومع ذلك فإنه ليس حداً حقيقياً له هوية ثابتة . فالحد الحقيقي هو الفاصل المتصف بالثبات ، وليس كذلك الحاضر . إذ ان مادة التاريخ الفعلية ليست إلاّ ماضٍ قد فات أو مستقبل آت . ثم ان أخذ الحاضر طرفاً في التصنيف المذكور قد يحوّجنا الى ذكر بعض الآراء والنظريات لكي تتضح معالم فكرة الزمان ، بعامة ، والحاضر بوجه خاص . إلاّ ان طرح تلك الآراء ومناقشتها سوف يبعدنا عن الغرض المطلوب . ولذلك ، فإننا - ومن منطلق عدم الرغبة في الاستطراد ، سوف لا نتطرق إلاّ لوجهة نظرنا الخاصة ، وهي التي دعنا الى استبعاد الحاضر من التصنيف .

إن للإستبعاد ما يبرره من الناحيتين المنطقية والتاريخية . أما التبرير التاريخي ، فقد تمت الإشارة إليه - آنفاً - حينما أوضحنا ان التاريخ ينشطر الى مرحلتين زمانيتين ، وذلك بلحاظ كون المهدي (ع) موصوفاً بـ (صاحب الزمان) ، وما يترتب على هذا الوصف إذا فهم على أساس كونه حقيقةً لا مجازاً من نتائج أظهرها عدّ كل حدث سابق على وقت الولادة الميمونة بأنه ماضٍ ، وعدّ كل حدث تال لها بأنه مستقبل . وأما التبرير المنطقي لاستبعاد الحاضر وبالتالي رفض اعتباره قسيماً للماضي والمستقبل في التصنيف ، فهو يستند الى وجود نوع من الارتباط في المفهوم بين ما تدل عليه كلمة (الحاضر) وما تدل عليه كلمة (الساعة) . فغن قولنا في الاستعمال الجاري ، مثلاً : إقضي حقي الساعة . معناه : إقضي حقي في الوقت الحاضر^(١) . واستعمال الساعة بهذا المعنى مشهور في كلام العرب عند العام والخاص . ومن شهرته انه ورد في

(١) راجع المنجد للأب لويس معلوف ، مادة : س وع .

العديد من الأدعية الماثورة عن آل محمد (صلوات الله عليهم) ، ومنها دعاء الفرج للحجة (ع) ، الذي نقل في كثير من كتب الدعاء فقد ذكر بصدده ؛ ان المهدي (ع) علمه سجيناً فاطلق سراحه . وجاء في بعض فقرات هذا الدعاء : ((يا مولانا يا صاحب الزمان : الغوث الغوث الغوث ، أدركني أدركني أدركني ، الساعة الساعة الساعة . . .)) (١) .

إذن ، وعلى ضوء هذا الارتباط في المعنى قد يجوز لنا فهم علة عدم إمكان تحصيل العلم بالساعة ، بالنسبة لعامة الناس ، فقد جاء في القرآن الكريم - في كثير من الآيات الشريفة - نفي العلم بالساعة لغير الله تعالى ، ومن تلك الآيات قوله عز من قائل : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَسْأَلُكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) . و علم الساعة من ضمن الغيب الذي أوصد باب الاطلاع عليه . قال تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (٣) حيث استثنت الآية بعض أهل خاصة الله تبارك وتعالى كالرسول وآله (صلوات الله عليهم اجمعين) ، ولسنا -هاهنا- في مقام تفسير ما هو المقصود بالساعة ، فإن للمفسرين في معناها أقوال ، نحيل القارئ فيها الى مظانها من كتب التفسير . ولكن الذي نتوخاه من الاستشهاد بآيات الكتاب الكريم هو حمل غموض معنى الحاضر على خفاء العلم بالساعة ، بلهجة الارتباط المعنوي (اللغوي والعرفي) بينهما . وعليه . فإن الحاضر المرتبط مدلولاً بالساعة يصبح غيباً لا شهادة ، وهذا ما يبرر عسر فهمه ، وبالتالي وجوب استبعاده من التصنيف . وسوف نتوسع في دراسة هذا الموضوع في فصل التوقيت ، إن شاء الله تعالى .

(١) الشيخ عباس القمي ، مفاتيح الجنان ، ص ١٩٦ .

(٢) الاعراف : ١٨٧ .

(٣) الجن : ٢٦ - ٢٧ .

توطئة إلى علائم الظهور (٤٧)

المحتوم والموقوف

ورد عن الإمام الباقر (ع) انه قال : ((إن من الامور اموراً موقوفة واموراً محتومة ، وإن السفيناني من المحتوم الذي لا بد منه))^(١) . لفهم هذا الحديث جيداً ، يستحسن ان نبين ما المقصود من كلمة محتوم وكلمة موقوف وما يتميز به كل منهما عن الآخر . وقبل ذلك ، نتطرق لذكر استعمالات كلمة أمر كمقدمة لفهم المحتوم والموقوف ، وذلك من وجهة نظر علم الأصول .

إن لفظ أمر مشترك بين الشيء والطلب . فإذا أتى على المعنى الاول دل على الشأن أو الفعل أو الحادثة . . وهو -على ذلك- لا يدل على الذات ؛ لأنك لا تقول إذا رأيت رجلاً -مثلاً- رأيتُ أمراً ، فذلك لا يصح . ولكنه إنما يصح إذا عنيت بالأمر فعلاً أو صفة ؛ فتقول : جئت لأمر كذا ، وشغلني أمر معين . وإذا أتى لفظ الامر على المعنى الثاني (الطلب) ، وهو طلب العالي رتبة من الداني رتبة ، فيمكن ان نميزه بالنظر لقابليته للإشتقاق ، فنشتق منه (أمر ، يأمر ، أمر ، أمير ، مأمور ، . . .) كما اننا نفرق بين المعنيين من جهة الجمع ، فنجمع الاول على أمور ، ونجمع الثاني على أوامر .

إذا اتضح ذلك ، نعلم ان المراد من الامور التي في الحديث هي الامر الذي بمعنى الشيء ، حيث نعلم ذلك من سياق الكلام كما نعلمه من جمع أمر على امور . بيد ان الحديث -كما هو ظاهر- قسم الامور : الى محتومة وموقوفة ، ثم وصف السفيناني بأنه : من المحتوم الذي لا بد منه . والموصوف بذلك ليس هو السفيناني نفسه ، بل على تقدير محذوف هو : أمر . ولزيادة البيان نذكر حديث آخر وارد عن الإمام الصادق (ع) يقول فيه : ((ان أمر السفيناني من الامر المحتوم ، وخروجه في رجب))^(٢) . والآن علينا ان نفهم ما هو المقصود حصراً من الامور ، الصفات أم الافعال؟ ونفتقر من اجل معرفة الجواب الى قرينة ،

(١) المجلسي (محمد باقر) ، بحار الانوار ، ج ٥٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٠٤ .

وهي ذلك الوصف الذي ورد في ذيل حديث الباقر (ع) المتقدم ، أي ((من المحتوم الذي لا بد منه)) . وهذه القرينة تتألف من قيدتين : الاول ((من المحتوم)) ، والثاني ((الذي لا بد منه)) . وبالتأمل ، نجد أنفسنا بإزاء إحتمالين ، ونستفيد منهما فائدتين . أما الاحتمال الاول فهو : ان يكون المقصود من العبارة ، ان المحتوم معناه ؛ الذي لا بد منه . والاحتمال الثاني : ان المحتوم منه ما لا بد منه . فإذا أخذنا بالاحتمال الاول ، فإن مقتضى المقابلة بين المحتوم والموقوف يجوز لنا ان نستنتج ؛ ان معنى الموقوف : هو الذي فيه بد . وإذا أخذنا بالاحتمال الثاني ، فليس يصح ان نستنتج ما إستنتجناه ؛ فإنه كما يجوز ان يوجد في المحتوم أمر لا بد منه ، كذلك يجوز ان يوجد في الموقوف مثله . وعلى كلا الاحتمالين نستفيد ما يلي : إن ما تدل عليه عبارة : لا بد منه ، هو : لا بد من حدوثه . ولذا فإن الصفة لا تصلح لكي تكون المدلول من لفظ : أمر ، إلا في حالة قصر النظر على الحدوث دون مجرى الحدث - وذلك بعيد - لأن الذي نحن بصدد دراسته أخبار ، وهي لا تنبأ إلا عن حوادث وقوام الحدث فعل لا صفة ، نعم ، إذا تجرد الحدث عن الزمان كما في بعض الاخبار يجوز ولكن قلما يتجرد الحدث عن الزمان وخاصة إذا كان موضوع الخبر مرتبطاً أصلاً بما سيجري في المستقبل . وحتى تلك الاخبار التي تكون الغاية منها وصف أشخاص الحدث ، لا بد من التصور فيها للإطار الزمني المختفي وراء الوصف حتى وإن غفلنا عن ذلك التصور . تلك هي الفائدة الاولى .

والذي نسعى الى تحقيقه الآن ، هو ترجيح أحد الاحتمالين المتقدمين لتحصيل المراد من الامور المحتومة والامور الموقوفة ، أي اننا قد اقتربنا من تحديد المعنى ، وهذه هي الفائدة الثانية . وأفضل ما نقوم به من أجل الترجيح هو الرجوع الى الأخبار نفسها : روى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) بسنده عن الفضيل بن يسار ، قال : ((سمعت أبا جعفر (ع) يقول : من الامور اموراً موقوفة عند الله ، يقدم منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء))^(١) . ونحصل في هذا

(١) الكليني ، الكافي (الأصول) ، جـ ١ ، ص ١٤٧ .

توطئة إلى علائم الظهور (٤٩)

الحديث ان الأمر الموقوف يتصف بصفتين ؛ الاولى : كونه عند الله ، والثانية : كونه صالحاً للتقديم والتأخير من قبل الله إذا شاء . والصفة الثانية هذه يمكن ان ترتد بقيد المشيئة الى الصفة الاولى ، لأن مشيئة الله هي عند الله تعالى ؛ أي انها من شؤونه وعندياته الخاصة . وسوف يتضح ما هو المقصود من قول الباقر (ع) : عند الله ، وذلك برّد هذا الحديث الى حديث آخر له (ع) ، وهو مروى بنفس ذلك الاسناد عن الفضيل بن يسار قال : ((سمعت ابا جعفر(ع) يقول : العلم علمان : فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه . وعلم علمه ملائكته ورسله ؛ فما علمه ملائكته ورسله فإنه سيكون ، لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله . وعلمٌ عنده مخزون ، يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء ، ويثبت ما يشاء))^(١) . وبالمقارنة ، نحصل على برهان منطقي ، على هيئة قياس من الشكل الاول حده الاوسط : عند الله ، هكذا :

الامور الموقوفة التي يقدم الله منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء ، هي عند الله . (والذي) عند الله هو العلم المخزون الذي لم يطلع عليه احداً من خلقه .

النتيجة : ان الامور الموقوفة التي يقدم الله منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء هي العلم المخزون الذي لم يُطلع الله عليه احداً من خلقه .

ومنها يتحصل معنى الموقوف . ومقتضى المقابلة بينه وبين المحتوم يفضي بنا الى نتيجة اخرى لتحصيل معنى المحتوم ، وهي : ان الامور المحتومة ليست من العلم المخزون ، حيث يجوز ان يُطلع الله عليها خلقه . وهذا عين ما صرح به حديث الباقر (ع) الأخير : ((فما علمه ملائكته ورسله فإنه سيكون ، لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله)) ولكن هذه العبارة تضيف على النتيجة شيء ، وهو ان المحتوم (سيكون) . وهذه الكلمة تشير الى لزوم تحقق الامر المحتوم المخبر عنه في المستقبل ، أي عند حضور وقت تحققه . بينما لا نعثر على مثل هذه الملازمة ، بين الامر الموقوف وبين تحققه مستقبلاً ، في الحديث . فإن

(١) نفس المصدر ، ص ١٤٧ .

(٥٠) الفصل الثاني (الروايات والتحقيق)

الموقوف : قد يكون ، وليس : سيكون . وبعبارة أخرى : فإن المحتوم هو الذي لا بد منه ، بينما الموقوف هو الذي فيه بد . وبذلك قد حصل لنا ترجيح الاحتمال الاول على الاحتمال الثاني .

بقي علينا ان نعرف ما هو المقصود من قول الباقر (ع) : ((يقدم منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء)) في تعريف الامور الموقوفة . إن هنالك اطروحتان لفهم هذه العبارة :

الاطروحة الاولى : ان المقصود بتقديم الامور وتأخيرها هو الذي يتبادر الى الذهن من التقديم والتأخير الزماني .

الاطروحة الثانية : ان المقصود بها هو التقديم والتأخير الذاتي ، أي في الامور نفسها ، بالنسبة لبعضها البعض وبالنسبة لمجموعها ، أعني العلم المخزون . وفي سبيل إنارة الطريق امام كشف هذا الغموض ، ومن ثم الاخذ

باحدى هتين الاطروحتين ، لا بد ان نرجع الى احاديث آل محمد (ع) ، روي عن الصادق (ع) في قوله تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١) قال : ((إنه إذا كان ليلة القدر ، ونزلت الملائكة الكتابة الى السماء الدنيا ، فيكتبون ما يقضى في تلك السنة من أمر ، فإذا أراد الله ان يقدم شيئاً أو يؤخره ، أو ينقص منه ، أو يزيد ، أمر الملك فمحا ما شاء ثم أثبت الذي أراد))^(٢) وعن الباقر (ع) في قوله تعالى : ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾^(٣) ، قال : ((إن عند الله كتباً مرقومة ، يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، فإذا كان ليلة القدر أنزل الله فيها كل شيء يكون الى مثلها ، فذلك قوله : ﴿لَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ إذا نزل وكتبه كتاب السموات وهو الذي لا يؤخره))^(٤) وورد كذلك عنه (ع) في قوله

(١) الرعد : ٣٩ .

(٢) تفسير العياشي ، ج ٢ ص ٢١٦ .

(٣) المنافقون : ١١ .

(٤) تفسير القمي : ج ٢ / سورة المنافقون ، ص ٣٧٠ .

توطئة إلى علائم الظهور (٥١)

تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾^(١) قال : ((يقدر الله كل أمر من الحق ومن الباطل ، وما يكون في تلك السنة ، وله فيه البداء والمشية ، يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء : من الأجال ، والارزاق ، والبلايا ، والاعراض ، والامراض ، ويزيد فيها ما يشاء ، ويلقيه رسول الله (ص) الى أمير المؤمنين ويلقيه أمير المؤمنين الى الأئمة (ع) حتى ينتهي ذلك الى صاحب الزمان^(٢) (ع) ويشترط فيه البداء والمشية والتقديم والتأخير))^(٣) ومعنى ذلك ان ما تنزل به الملائكة في ليلة القدر ، على رسول الله (ص) بما قدره الله على العباد - تلك السنة - يجوز ان يأتي ، حين يأتي ، على خلاف ما ألقى الى رسول الله واهل بيته (صلوات الله عليهم) . ولذا روي عن الصادق (ع) ، قال : ((ان حدثناك بأمر انه يجيء من هاهنا ، فجاء من هاهنا ، فإن الله يصنع ما يشاء . وإن حدثناك اليوم بحديث وحدثناك غداً بخلافه ، فإن الله يحو ما يشاء ويثبت))^(٤) .

وفي سبيل ان يترجح الاخذ بإحدى الاطروحتين المتقدمتين ، ينبغي ان نلفت النظر الى جملة من النقاط :

النقطة الاولى : ان التقديم والتأخير لا يتعلق بالزمان فحسب ، فالآجال التي هي : إما غاية الشيء في الزمان ، أو مدته في مبدئه ومنتهاه ، هي إحدى موارد التقديم والتأخير ، ومن موارد أيضاً الارزاق ، والبلايا ، والاعراض ، والامراض .

النقطة الثانية : إن كل ما يتقدم ويتأخر من تلك الامور ، يمكن ان يطرء عليه التغير بالزيادة . وما كان صالحاً للزيادة كان قابلاً للنقصان ، بداهةً .

(١) الدخان : ٤٤ .

(٢) روي عن الصادق (ع) انه قال : ((ليس شيء يخرج من عند الله تعالى حتى يبدء برسول الله (ص) ثم بعلي

(ع) ثم بواحد واحد ، لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا)) . الاختصاص ، ط نجف ، ص ٣٠٧ .

(٣) علي بن إبراهيم ، تفسير القمي ، ج ٢ (سورة الدخان) ص ٢٩٠ .

(٤) ابن عياش ، تفسير العياشي ، ج ٢ ص ٢١٧ .

النقطة الثالثة : ان تلك الامور مشروطة ، إذ يشترط فيها البداء و المشيئة والتأخير والتقديم .

وطبقاً لما تقدم ، يترجح ، والله اعلم ، الاطروحة الثانية ، أي ان المراد بالتقديم والتأخير بالنسبة للامور الموقوفة ، هو الذي يحصل في اطار الامور نفسها ، بمعزل عن الزمان . ويبقى هنالك إشكال وهو : انه قد تبين مما تقدم ان الامور الموقوفة هي العلم المخزون الذي لم يُطلع الله تعالى عليه احداً من خلقه فكيف جاز الإخبار به؟ أقول : ان الذي يتبادر الى الذهن في حل هذا الاشكال ، ان الامور الموقوفة من الجائز ان يُخبر بها ، لان الله تعالى يقول : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(١) .

ويقول في آية أخرى أيضاً : ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) إلا من ارتضى من رسول ﴿ وفيهما يستثني الله تعالى بعض خاصة عباده ومن يرتضيه من رسله . وربما خصّ المخبر به من الامور الموقوفة باسم : المشروط وليس هو صنف ثالث غير الاوليين ، بل هو الموقوف بلحاظ كونه مخبراً به ، والله تعالى أعلم بالصواب .

والدليل على كون العلم المخزون مما يمكن ان يفيضه الله على بعض خاصة اوليائه ، غير الذي ذكرنا ، ما جاء في دعاء عرفة عن الإمام الحسين (ع) قال : ﴿اللهم علمني من علمك المخزون ، وصني بستر المصون . . .﴾^(٢) الدعاء .

وكخلاصة لكل ما تقدم : ان الامور التي يلقيها الله تبارك وتعالى ويعلمها لخاصة اوليائه على صنفين : الاول : هو الامور المحتومة ، وهي الامور التي ستكون ، أي لا بد من حدوثها ، فإذا وقع الإخبار بها تحققت حتماً ، ولا يطري عليها البداء . والثاني : هو الامور الموقوفة ؛ وهي الامور التي قد تكون ، وهي العلم المخزون الذي لم يُطلع الله عليه احدا من خلقه ، فإذا أطلعهم وأخبروا بها

(١) البقرة : ٢٥٥ .

(٢) عباس القمي ، مفاتيح الجنان ، ص ٤١٣ .

توطئة إلى علائم الظهور (٥٣)

سميت مشروطة ، لأنها لا تتحقق إلا بتوفر شروطها وفقد موانعها ، فإن لم يتوفر شرط ، أو فقد مانع لم تتحقق ، ونقول عنها : أنها قد بدا لله فيها ، وأخبار آل محمد (ع) تشتمل على كلا الصنفين ويمكن التفرقة بينهما من خلال تحليل عبارة الاخبار ، ومعرفة صيغ الكلام التي تفيد الحتم ، وما لا تفيد ذلك . وسوف نتطرق الى هذا الموضوع بعد ان نتناول مبحث البداء ، إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

البداء في الأخبار

نقل عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنه قال : ((لولا آية في كتاب الله ، لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهي هذه الآية : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١)))^(٢) تدعى هذه المسألة في الفكر الامامي بمسألة البداء ، وهي من المسائل الرئيسية والحساسة ، إذ يترتب على القول بها نتائج فلسفية كبيرة ، كما يترتب على عدم فهم ما يقصده الامامية بها عواقب خطيرة .

وقبل أن نتناول ما قاله علمائنا فيها من أقوال على مدى الأعصار ، لا بد من الإشارة إلى أن البداء ، وإن كان من حيث المدلول اللغوي ، لا يناسب معنى التغيير ، إلا أنه قد شاء عدد من المتكلفين إصاق هذا المعنى به عنوةً ، من أجل التشنيع على مذهب أهل البيت (ع) ، وسنضرب مثالا لذلك : فقد ذكر أبو زهرة في كتابه (الامام الصادق) : ((وإن المتتبع للأقوال التي ينسبونها - أي

(١) الرعد : ٣٩ .

(٢) الاحتجاج ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .

الشيعة - إلى كلام الصادق يوهم أن المراد من البداء هو تغيير ما قدر الله سبحانه وتعالى ، لدعاء أو نحوه))^(١) يشير بذلك إلى أن التغيير يوجب أن يكون الله تعالى غير عالم ثم علم . ونقول في الرد على هذا الكلام : إن الوهم الذي أشار إليه أبو زهرة في كتابه المغرض ، لا ينقذح إلا في راس من لا وعي له من المرجفين الحاقدين . وسوف نقوم باستعراض جانب من أقوال علمائنا في البداء ، ليس بدافع الرغبة في تكذيب وتفنيده تلك المزاعم ، بل امتثالاً لما جاء عن آل محمد (ع) في الترغيب على الكلام في البداء ، وكذلك لتيسير فهم بعض المطالب المرتبطة بالموضوع .

روي عن الصادق (ع) أنه قال : ((لو علم الناس ما في القول في البداء من الأجر ، ما فتروا عن الكلام فيه))^(٢) ، وربما كانت العلة في الحث على التكلم في البداء تعود إلى ما يتضمنه القول فيه من تعظيم لله تعالى بأداء مراسيم العبودية على النهج الأمثل ، إذ أن مدار استجابة الدعاء ، والتعلق ما بين الخوف والرجاء ، والرغبة منه تعالى ، وتفويض الأمور إليه ، كل ذلك يعتمد على الاعتقاد بمبدء البداء . فقد ورد عن الصادق (ع) أنه قال : ((ما عظم الله بمثل البداء))^(٣) وفي رواية ثانية : ((ما عبد الله بشيء مثل البداء))^(٤) .

البداء لغة ، مشتق من الفعل (بدا) بمعنى ظهر . قال الشيخ المفيد (أعلى الله مقامه) في شرحه لعقائد الصدوق ما هذا نصه : ((وتقول العرب : قد بدا لفلان عمل حسن ، وبدا له كلام فصيح ، وكما يقولون : بدا من فلان كذا ، فيجعلون اللام قائمة مقامه . فالمعنى في قول الامامية : بدا لله في كذا ؛ أي ظهر له فيه ، ومعنى ظهر فيه : أي ظهر منه - ثم يقول - والذي اعتمدناه في

(١) محمد أبو زهرة ، الامام الصادق ، ص ٢٣٥ .

(٢) الكليني ، الكافي (الأصول) ج ١ ص ١٤٨ .

(٣) الكليني ، الكافي (الأصول) ، ج ١ ص ١٤٦ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ، ص ١٤٦ .

توطئة إلى علائم الظهور (٥٧)

معنى البداء انه الظهور ، فهو خاص فيما يظهر من الفعل الذي كان وقوعه بعيداً (في النظر) ^(١) .

قال السيد الداماد في نبراس الضياء : ((البداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع ، فما في الامر التشريعي والاحكام التكليفية نسخ فهو في الامر التكويني والمكونات الزمانية بداء . فالنسخ كأنه بداء تشريعي ، والبداء كأنه نسخ تكويني ، ولا بداء في القضايا الخاصة بالنسبة إلى جناب القدس الحق ، والمفارقات المحضة (الملائكة القدسية) وفي متن الدهر الذي هو ظرف مطلق الحصول القار والثبات البات ، ووعاء عالم الوجود كله . وإنما البداء في القدر ، وفي امتداد الزمان : الذي هو أفق التقضي والتحدد ، وظرف التدرج والتعاقب ، وبالنسبة إلى الكائنات الزمانية ، ومن في عالم الزمان والمكان ، وإقليم المادة والطبيعة . وكما حقيقة النسخ (عند التحقيق) إنتهاء الحكم التشريعي وانقطاع استمراره ، لا رفعه وارتفاعه عن وعاء الواقع . فكذا حقيقة البداء عند الفحص البالغ : إثبات استمرار الامر التكويني ، وانتهاء إتصال الأفاضة ، ومرجعه إلى تحديد زمان الكون وتخصيص وقت الإفاضة ، لا انه ارتفاع المعلول الكائن عن وقت كونه ، وبطلانه في حد حصوله) ^(٢) .

وقال الملا محسن الفيض الكاشاني : ((فما يحدث في عالم الكون والفساد إنما هو من لوازم حركات الافلاك ونتائج بركاتها باذن الله عز سلطانه . فهي تعلم انه كلما كان كذا كان كذا . فمهما حصل لها العلم باسباب حدوث امر ما ، في هذا العالم ، حكمت بوقوعه فيه ، فينتقش فيها ذلك الحكم . وربما تأخر بعض الاسباب الموجب لوقوع الحادث على خلاف ما توجهه بقية الاسباب (لولا ذلك السبب) ولم يحصل لها العلم بذلك السبب بعد ، لعدم إطلاعها على سبب ذلك السبب ، ثم لما جاء اوانه واطلعت عليه ، حكمت

(١) الشيخ المفيد ، شرح عقائد الصدوق ، ص ٢٤ .

(٢) نبراس الضياء للداماد نقلاً عن مصابيح الانوار للسيد عبد الله شبرج ١ ص ٣٥ .

بخلاف الحكم الاول ، فيمحي عنها نفس الحكم السابق ويثبت حكم الآخر .
مثلا : لما حصل لها العلم بموت زيد بمرض كذا ، في ليلة كذا ، لاسباب تقتضي
ذلك ، ولم يحصل لها العلم بتصدقه الذي ياتي به قبيل ذلك الوقت ، لعدم
اطلاعها على اسباب التصديق بعد . ثم علمت به ، وكان موته بتلك الاسباب
مشروطا بأن لا يتصدق ، فيحكم أولا بالموت ، وثانيا بالبرء ، وذلك لأن شأن
النفوس ان يكون توجهها إلى بعض المعلومات واشتغالها به يذهلها عن البعض
الآخر . ثم إذا كانت الاسباب لوقوع الامر ولا وقوعه متكافئة ، ولم يحصل لها
العلم برجحان احدهما بعد ، لعدم مجيء أوان سبب ذلك الرجحان بعد ، كان
لها التردد في وقوع ذلك الامر ولا وقوعه . فينتقش فيها الوقوع تارة واللاوقوع
أخرى . فهذا هو السبب في المحو الإثبات والتردد والحكمة فيها . ثم لما كانت
أفعال الملائكة المسخرين واراداتهم مستهلكة في فعله سبحانه وارادته ، إذ ﴿ لا
يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾^(١) ومكتوبهم مكتوب الله تعالى بعد
قضائه السابق المكتوب بقلمه الاول ، جاز ان يوصف الله بالبداء . . .))^(٢) .

أما السيد محمد حسين الطباطبائي فقد نقل وجهة نظر الفلسفة
الاسلامية المعاصرة ، باعتباره خير ممثل لها في العصر الحديث . قال (ره) :
(البداء من الاوصاف التي ربما تتصف بها افعالنا الاختيارية من حيث صدورها
عنا بالعلم والاختيار . فإننا لا نريد شيئا من افعالنا الاختيارية إلا بمصلحة داعية
إلى ذلك تعلق بها علمنا . وربما تعلق العلم بمصلحة فقصدنا الفعل ثم تعلق
العلم بمصلحة أخرى توجب خلاف المصلحة الاولى ، فحينئذ نريد خلاف ما كنا
نريده قبل ، وهو الذي نقول : بدا لنا ان نفعل كذا ، أي ظهر لنا بعدما كان خفيا
عنا ، كذا . والبداء : الظهور ، فالبداء ظهور ما كان خفيا من الفعل لظهور ما كان
خفيا من العلم بالمصلحة . ثم توسع في الاستعمال ، فأطلقنا البداء على ظهور
كل فعل كان الظاهر خلافه . فيقال : بدا له ان يفعل كذا ، أي ظهر من فعله ما

(١) التحريم : ٦ .

(٢) الفيض الكاشاني ، قرة العيون في المعارف والحكم ، ص ٣٩١-٣٩٢ .

توطئة إلى علائم الظهور (٥٩)

كان الظاهر خلافه . ثم ان وجود كل موجود من الموجودات الخارجية له نسبة إلى مجموع علته النامة التي يستحيل معها عدم الشيء . وعند ذلك يجب وجوده بالضرورة ، وله نسبة إلى مقتضيه الذي يحتاج الشيء في صدوره منه إلى شرط وعدم مانع . فإذا وجدت الشرائط وهدمت الموانع تمت العلة التامة ، ووجب وجود الشيء . وإذا لم يوجد الشرط أو وجد المانع لم يؤثر المقتضي اثره ، وكان التأثير للمانع . وحينئذ يصدق البداء . . . ومن المعلوم ان علمه تعالى بالموجودات والحوادث مطابق لما في نفس الأمر من وجودها ، فله تعالى علم بالاشياء من جهة عللها التامة ، وهو العلم الذي لا بداء فيه أصلاً ، وله علم بالاشياء من جهة مقتضياتها التي هي موقوفة التأثير على وجود الشرائط وفقد الموانع . وهذا العلم يمكن ان يظهر خلاف ما كان ظاهراً منه ، بفقد شرط أو وجود مانع . وهو المراد بقوله تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ الآية (١) .

وللسيد عدنان البكاء ، وهو أحد رجال العلم المعاصرين ، مقالة جيدة في البداء ، يعبر بها عن وجهة نظر شيعة آل محمد (ع) وينقد ما رماهم به المخالفون ، قال : ((أنكر بعض المسلمين البداء وشنعوا على شيعة اهل البيت (ع) ، وهم إنما يتبعون في ذلك ما ورد عنهم (ع) ، وسبب هذا الانكار عدم معرفة ما يقصد بالبداء ، وتصورهم ان البداء ، وهو العدول عما أريد من تقدير سابق إلى غيره ، لا يكون إلا عن جهل ، بما اقتضى هذا العدول من اسباب أو عن ندم حدث بعد ذلك لأي سبب ، وذلك مما يستحيل على الله سبحانه . والحقيقة ان اهل البيت (ع) وشيعتهم تبعاً لهم كغيرهم من المسلمين في الاعتقاد باستحالة البداء بهذا المعنى على الله سبحانه ، وتكفير من يذهب إليه . والاحاديث في ذلك كثيرة (. . .) ولكنهم مع ذلك يقولون بالبداء ، فكيف يمكن ان نفهم ذلك؟ إن أساس الخطأ لدى مخالفين أهل البيت (ع) في

(١) هامش أصول الكافي ، ج ١ ص ١٤٦ .

المسألة : قياس فعل الخالق على المخلوق . فما يلزم منه الجهل أو الندامة من البداء إنما هو بداء الفاعل مباشرة كالانسان ، لا الفاعل بما خلق من الاسباب ، أو بالقوانين الطبيعية المخلوقة كما هو بالنسبة إلى الله سبحانه . ان الله سبحانه خلق العالم محكوماً بقوانين تمثل في وجودها وآثارها إرادته فيه ابتداءً ، في ما هو سلب وما هو إيجاب . ولما كان من جملة هذه القوانين ما هو مقتض ومناها ما هو مانع ، ولما كانت تشكل وحدة مترابطة ومتفاعلة ، وكان منها ما هو واقع تحت الخيار الانساني ، فإن من الطبيعي ان يحدث من خلال هذه العلاقة المحو والإثبات دائماً . فإذا وجد تقدير كانت مقتضياته من هذه الاسباب موجودة ثم تغير لوجود الموانع من الاسباب الأخرى ، سمينا ذلك بداءً . وإنما نسبناه إلى الله سبحانه لأن الاسباب وآثارها من خلقه وتمثل إرادته : أي البداء هو نفس ما جاء في قوله تعالى : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وإن ذلك إنما يكون بما خلقه الله وقدره من الاسباب لدى خلقه العالم . ولذلك فلا يلزم منه بالنسبة إليه سبحانه جهل ولا ندامة ، كما هو بالنسبة إلى الفاعل المباشر للفعل . وسمى اهل البيت الإخبار بما وجدت مقتضياته من الاسباب مع امكان وجود موانعه من الاسباب : بالعلم الموقوف القابل للمحو ، اما ما كانت مقتضياته ثابتة فهو المحتوم^(١) .

ونكتفي بهذا القدر من أطروحات العلماء حول عقيدة البداء عند الشيعة ، ويتبين من خلالها كذب تلك المزاعم التي نسبوها إلى شيعة اهل البيت (ع) من القول بالتغيير في العلم ، الذي يستلزم الجهل على الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وإنما يراد بها التشنيع والتسفيه ، حنقاً على من ذهب آل محمد (ع) وبغضاً لشيعتهم البررة الكرام .

روي عن معلى بن محمد قال : ((سئل العالم (الكاظم (ع)) كيف علم الله؟ قال : علم وشاء ، وأراد وقدر وقضى وأمضى . فامضى ما قضى

(١) عدنان البكاء ، الإمام المهدي المنتظر وادعاء البابية والمهدوية ، ص ٢٠١ (الهامش) .

توطئة إلى علائم الظهور (٦١)

وقضى ما قدر ، وقدر ما أراد . فبعلمه كانت المشيئة ، وبمشيته كانت الإرادة ، وبارادته كان التقدير ، وبتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الامضاء . والعلم متقدم على المشيئة ، والمشية ثانية ، والإرادة ثالثة ، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء . فله تبارك وتعالى البدء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الاشياء . فإذا وقع القضاء بالامضاء فلا بداء . فالعلم في المعلوم قبل كونه ، والمشية في المنشأ قبل عينه ، والارادة في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عينا ووقتا . والقضاء بالامضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الاجسام المدركات بالحواس ، من ذوي لون وريح ووزن وكيل ، وما دب ودرج من إنس وحن وطير وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس . فله تبارك وتعالى فيه البدء مما لا عين له . فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء ، والله يفعل ما يشاء . فبالعلم علم الأشياء قبل كونها ، وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها ، وبالإرادة ميز أنفسها في ألوانها وصفاتها ، وبالتقدير قدر أقواتها وعرف أولها وآخرها ، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها ، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها ، وذلك تقدير العزيز العليم))^(١) .

لقد بين الامام الكاظم (ع) في هذا الحديث الشريف ، بما لا مزيد من البيان عليه ، جميع جهات الفعل ورتبه انطلاقا من العلم ، وشرح بعبارة ليس هنالك ما هو أوضح منها ما هو مورد البدء ، بقوله : ((ولله تبارك وتعالى البدء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء)) مبينا بها أن البدء إنما يكون في جميع مراتب الفعل باستثناء القضاء الممضي ، وهذا هو معنى قوله : ((فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء)) .

إن تقدم العلم على المشيئة في الرتبة من لوازم تقدم الذات على الفعل في الشرف . ومعلوم ، أن الذات البحت تتصف بالوحدة من جميع الجهات ،

(١) الكليني ، الكافي (الاصول) ج ١ ص ١٤٩ .

بينما يتسم الفعل بالتعدد ، وهذا يعني أن الذات غير قابلة لطريان الاختلاف عليها في رتبها ، بينما يجوز ذلك في مراتب الفعل . وعلى ضوء هذا الفهم ، نستطيع أن ندرك ما عناه الامام الصادق (ع) حينما قال : ((ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له))^(١) . أي أن الذي يبدو لله فيه ، ويكون لازمه الظهور بعد خفاء ، هو بعينه في مستوى العلم ظهور لا خفاء فيه . إذ أن للشيء الواحد في سلم الوجود عدة تنزلات أو رتب ، أعلاها رتبة الذكر الأول . فالقبلية التي ذكرها الصادق (ع) بقوله : ((كان في علمه قبل أن يبدو له)) هي قبلية رتبية لا قبلية زمانية . وبعبارة أوضح ، فإن كل ما يبدو لله فيه معلوم له قبل كونه وتحقق عنيه ، على نحو لا زماني . وذلك لأن الزمان ظرف للمخلوق لا للخالق (ره) . لقد أشار الصادق (ع) إلى هذه النقطة حينما سأله تلميذه منصور بن حازم : ((هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس ؟)) قال (ع) : لا ، من قال غير هذا فأخزاه الله ! فقال (منصور) : رأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله ؟ قال : بلى ، قبل أن يخلق الخلق))^(٢)

(١) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٤٨ .

(٢) الكليني ، أصول الكافي ج ١ ، ص ١٤٨ .

الفصل الرابع

موازين معرفة المحتوم

لقد تبين لنا خلال الفصل السابق أن أخبار آل محمد (ع) تنقسم إلى صنفين : الاخبار المحتومة ، والأخبار المشروطة ، وذلك بلحاظ ما لديهم من العلم المتعلق بما يكون في المستقبل . وقلنا أن هنالك قرائن يمكن الاستدلال بها على تحديد المحتوم من المشروط في عبارات الأخبار . وليس من غرضنا في هذا الكتاب أن نتعرض لفرز الأخبار على ضوء تلك القرائن ، ولذلك فإننا نكتفي ها هنا بالتمثيل لكل قرينة بعلامة من علائم الظهور ، ونترك شرح مضمون ما تشير إليه أخبار بعض العلائم إلى الفصول القادمة من الكتاب ، والله الموفق للصواب .

التساؤل المطروح في هذا الفصل هو : كيف يمكن التمييز بين العلائم المحتومة ، أي التي لا تكون مورداً لطريان البداء ، وبين العلائم المشروطة ، وهي التي يجوز أن تكون مورداً لطريان البداء؟ إن عبارات الأخبار المرتبطة بعلائم الظهور لا تكون غالباً مقيدة بالحتم ظاهراً ، ما عدا قسم قليل من الاخبار جاءت بصيغة مصرحة به ، كالحديث الوارد عن أبي حمزة الشمالي قال : قلت لأبي

جعفر (ع) : خروج السفيناني من المحتوم؟ قال : ((نعم ، والنداء من المحتوم وطلوع الشمس من مغربها من المحتوم واختلاف بني العباس من المحتوم وقتل النفس الزكية محتوم وخروج القائم من آل محمد (ع) محتوم ...))^(١) .

ان الاجابة على التساؤل المتقدم ليس هو - في الحقيقة - من اختصاصنا بل من اختصاص علماء العربية ، ومع ذلك ، فارجو أن يسمح لنا السادة المتخصصون أن نعرض لوجهة نظرنا من باب توصيل الفكرة ليس غير ، إذ أن الاجابة على هذا التساؤل مرتبطة بشكل عضوي بهذه الدراسة ، ولا يمكن بحال أن نتغافل عنها . ولذا أرجو أن لا يؤاخذني المتخصصون إن هفوت ، كما أرجو تصحيح تلك الهفوات لكي أتلافها في المستقبل .

لقد اعتمدنا في تصنيف علائم الظهور على منهج أسميناه بمنهج الميزان وهو مؤلف من طريقتين متكاملتين تستغرقان كافة أخبار المستقبل ، الأولى تدعى بطريقة (ميزان القرائن) والثانية تدعى (ميزان البنى) .

طريقة ميزان القرائن

ان القرائن المبحوث عنها في هذه الطريقة عبارة عن مجموعة من الأدوات أو الاسماء التي يمكن للقرائن أن يستدل بواسطتها على وقوع ما يتضمنه الخبر (حتماً) . . . ولقد أحصينا ستة منها حين استقراء روايات آخر الزمان ، وقد يوجد غيرها . وهي :

١- القسم : ويمكننا أن نجزم بأن القسم هو واحد من أوثق التعابير الدالة على إرادة الحتم ، لا سيما إذا ورد في كلام المعصوم (ع) ومثاله ؛ ما روي عن الامام علي بن الحسين (ع) ، قال : ((والله! لا يخرج واحد منا قبل خروج القائم (ع) إلا كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه ، فأخذه الصبيان فعبثوا به))^(٢) .

(١) الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ص ٤٠٥ .

(٢) الكليني ، الكافي (الروضة) ، ج ٨ ص ٢٢ .

توطئة إلى علائم الظهور (٦٥)

٢- لا بدّ: وهذه الكلمة ظاهرة في إفادتها لمعنى الحتم ، والمثال عليها هو الحديث الذي رواه أبو بصير عن الامام الصادق (ع) : ((لا بد أن يكون قدام القائم سنة يجوع فيها الناس ، ويصيبهم خوف شديد من القتل ونقص من الأموال والأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ . فَإِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَبِيْنٌ . ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾^(١)))^(٢) .

٣- التوكيد باللام : ودلالته على الحتم إذا تعلق بالأخبار من المسلمات ، ومثاله ما روي عن رسول الله (ع) : ((لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لأتبعتموهم . قال (الراوي) : قلت : يا رسول الله من اليهود والنصارى؟ قال : فمن إلا اليهود والنصارى))^(٣) .

٤- التوكيد بـ (إن) : ومن أمثلة ما يستدل به على إفادة (إن) للحتم الرواية المنقولة عن لسان الصادق (ع) : ((وإن من أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شاباً موفقاً ، وهم يحسبونه شيخاً كبيراً))^(٤) .

٥- التوكيد بالتكرار : وهو من الأساليب المعروفة في الدلالة على حتمية وقوع المعنى الذي يكرر لفظه ، ومثاله ؛ ما روي عن الامام الباقر (ع) أنه قال : ((هيهات هيهات ، لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا (يقولها ثلاثاً) حتى يذهب الله تعالى الكدر ويبقى الصفو))^(٥) .

٦- السين وسوف : وهي أصلاً إنما تدل على حدوث شيء في المستقبل

(١) الانعام : ١٥٥ .

(٢) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٥٢ ص ٢٥١ .

(٣) الملاحم والفتن لابن طاووس ص ١٠٧ .

(٤) المجلسي ، بحار الانوار ج٥٢ ص ٢٨٧ .

(٥) الطوسي ، الغيبة ص ٢٠٦ .

(٦٦) موازين معرفة المحتوم

بغض النظر عن كونه مشروطاً أو محتوماً ، إلا أنها في سياق كلام المعصوم (ع) تشير إلى الوقوع ، ومن أمثلته ما روي عن رسول الله (ع) : ((سيأتي زمانٌ على أمتي لا يعرفون العلماء إلا بثوب حسن ، ولا يعرفون القرآن إلا بصوت حسن ، ولا يعبدون الله إلا شهر رمضان ، فإذا كان كذلك سلط الله عليهم سلطاناً لا علم له ولا حلم له ولا رحم له))^(١) .

طريقة ميزان البنى

وهي عبارة عن صيغ كلامية كثيرة الورد في أخبار أهل البيت (ع) المتعلقة بالمستقبل . وأهم هذه الصيغ ثلاثة ، إثنان منها تفيدان الحتم ، والثالثة لإفادة الشرط المحتوم . وهي :

١- الاستفهام الاستنكاري : وله صيغة عامة هي : (أنى يكون كذا ولم يحدث كذا) . وهذه الصورة كثيرة في الأخبار ، ومن الأمثلة عليها ما روي عن الامام الصادق (ع) حين ذكر القائم عنده ، فقال : ((وأنى يكون ذلك ولم يستدر الفلك حتى يقال مات أوهلك في أي واد سلك . فقلت : وما استدارة الفلك؟ فقال : اختلاف الشيعة بينهم))^(٢) .

وهنالك صورة أخرى لهذه البنية بتبديل كلمة (لم) من (حتى) . ومثاله الرواية التالية : روي عن جابر الجعفي ، قال : سألت أبا جعفر (ع) عن السفيناني فقال : ((وأنى لكم بالسفيناني حتى يخرج قبله الشيصياني ، يخرج بأرض كوفان ، ينبع كما ينبع الماء . فيقتل وفدكم ، فتوقعوا بعد ذلك السفيناني وخروج القائم))^(٣) .

٢- الاستثناء بحتى نفيًا : وصورته : (لا يحدث كذا حتى يحصل كيت) وهي من أكثر الصيغ استعمالاً في الأخبار المتعلقة بآخر الزمان . ومثالها

(١) محمد حسن ميرجهاني ، نواب الدهور في علائم الظهور ، ص ٢١٠ .

(٢) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ص ٢٢٨ .

(٣) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ص ٢٥٠ .

توطئة إلى علائم الظهور (٦٧)

ما روي عن سلمان الفارسي (ره) قال : أتيتُ أمير المؤمنين (ع) طالباً ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين متى يظهر القائم من ولدك؟ فتنفس الصُعداء ، وقال : ((لا يظهر القائم حتى يكون أمور الصبيان وتضييع حقوق الرحمن ويُتغنى بالقرآن))^(١) .

٣- الشرط بـ(إذا) : وصيغته العامة هي : (إذا حدث كذا فعند ذلك يكون كيت) وهذه الصورة تدل على وقوع الشرط في المستقبل . ذكر السيد أحمد الهاشمي في كتاب (جواهر البلاغة) في معرض كلامه عن الفرق بين (إذا وإن) ما هذا نصه : ((الأصل عدم جزم وقطع المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل مع (إن)... بخلاف (إذا) فتستعمل بحسب أصلها في كل ما يقطع المتكلم بوقوعه في المستقبل))^(٢) والأمثلة على هذه الصيغة كثيرة جداً في الأخبار ، نكتفي منها بذكر أحدها ، عن خالد القلانسي عن الصادق (ع) : ((إذا هُدم حائط مسجد الكوفة من مؤخره ، مما يلي دار عبد الله بن مسعود ، فعند ذلك زوال ملك بني فلان ، أما إن هادمه لا يبنيه))^(٣) .

خاتمة في مقابلة الأحاديث

يتذكر الأخوة القراء ما قمنا به حين بحثنا موضوع المحتوم والموقوف ، إذ لجئنا إلى مقابلة الأحاديث من أجل حل بعض الاشكالات العالقة . وبنفس الطريقة يمكن لنا أن نستعمل هذا الأسلوب في معرفة المحتوم في أخبار المستقبل . ولا يمكن - بطبيعة الحال - إجراء المقابلة بين الأحاديث إذا لم يكن بينها جامعاً مشتركاً ، وهنا ينبغي أن يكون الجامع المشترك وارداً بين رواية محتومة ورواية يراد معرفة حكمها من حيث الحتم . فمثلاً لو طُلب منا تعيين حكم الخراساني الوارد ذكره في بعض الأخبار من حيث الحتم فماذا نفعل؟ لنفرض أن الحديث المراد تعيين حكم الخراساني فيه هو حديث الباقر (ع)

(١) لطف الله الصافي ، منتخب الأثر ، ص ٤٣٥ .

(٢) أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ص ١٦٢ .

(٣) الشيخ النعماني ، الغيبة ، ص ١٤٨ .

الآتي : ((السفياني والخراساني واليماني في سنة واحدة وفي شهر واحد في يوم واحد ، وليس فيها أهدى من راية اليماني ، لأنه يدعو إلى الحق))^(١) .
أول شيء نقوم به هو أن نعثر على حديث معلوم فيه حكم السفياني أو اليماني من حيث الحتم ، لتستنتج كون الخراساني من المحتوم . وليكن ذلك الحديث الذي عثرنا عليه هو حديث الصادق (ع) التالي : ((ان أمر السفياني من الأمر المحتوم ، وخروجه في رجب))^(٢) وبذلك نصل إلى نتيجة مفادها : أن الخراساني من الأمر المحتوم .

(١) الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ٣٦٠ .

(٢) المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ص ٢٠٤ .

الباب الأول

التوقيت

الفصل الأول: النهي عن التوقيت

الفصل الثاني: التوقيت والبداء

الفصل الثالث: أغاز التوقيت

الفصل الأول

النهي عن التوقيت وسببه

روى الحسن بن سليمان الحلبي بإسناده عن المفضل بن عمر، قال : سألتُ سيدي الصادق (ع) : هل للمأمول المهدي (ع) من وقت مؤقَّت يعلمه الناس؟ فقال : ((حاش لله أن يوقت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا . قلت : يا سيدي ولم ذلك؟ قال : لأنه هو الساعة ، التي قال الله : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ (...) قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) وهو الساعة التي قال الله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾^(٢) وقال : ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(٣) ولم يقل أنها عند أحد . وقال : ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾^(٤) الآية ،

(١) الاعراف : ١٨٧ .

(٢) الاعراف : ١٨٧ .

(٣) الزخرف : ٨٥ .

(٤) مجمد : ١٨ .

توطئة إلى علائم الظهور (٧٣)

ان الظرف عند النحاة ينقسم إلى : مكاني وزماني ، فإن كان الظرف مكانياً صح الإخبار به عن الجوهر والعرض ، تقول : (زيدٌ أمامك - للجوهر - ، والخيرُ أمامك - للعرض -) ، وإن كان زمانياً صح الإخبار به عن العرض دون الجوهر ، تقول : (الصوم اليوم) ولا يجوز (زيدٌ اليوم) فإن وُجد في كلامهم ما ظاهره ذلك وجب تأويله ، كقولهم : (الليلة الهلال) ، فهذا على حذف مضاف ، والتقدير : الليلة طلوعُ الهلال^(١) .

وهكذا ، فإن عدم صحة الإخبار بالزمان عن الذات يبرر سر عدم جواز الإخبار بالوقت عن الساعة التي هي المهدي (ع) ، وينكشف سبب النهي عن التوقيت بشكل عام ، هذا من جهة . ومن جهة ثانية ، فإن الظرف - في الاحوال الاعتيادية - له سلطة على مظهره بالاحاطة به ، فإذا امكنت حيلة بالقدرة على التحرر من سلطة الظرف - كما ثبت ذلك أخيراً في النظرية النسبية عن طريق التحكم بالسرعة - استوت عند الذات ، التي كانت مظهره ، الأوقات الثلاثة والابعاد الثلاثة فصار الماضي ولامستقبل بمنزلة الحاضر ، وهكذا أبعاد المكان . . . وهذا أمرٌ صحيح من الناحية النظرية ، غير ان العلم الحديث لم يتوصل بعد إلى ابتكار الوسيلة المناسبة لذلك . أما بالنسبة لآل محمد (ع) فإنهم - حسبما جاء في الاخبار - قادرون على التحرر من سلطة الظرفين إن شاءوا ذلك . . . ولسنا الآن بصدد إثبات ذلك حتى لا نخرج عن صلب الموضوع ، ومن أراد الإطلاع على تلك الاخبار فعليه بمراجعة كتب المناقب ، ونحن قد تعرضنا إلى بسط القول في هذا المقام في كتابنا الموسوم بـ (المهدي وحقيقة الزمن) فنحيل القارئ الكريم إليه .

والآن لنغض النظر عن إمكان الإخبار بالوقت أو عدم إمكان الإخبار به ، ولنفرض ان ذلك جائز ، فماذا يترتب على تعيين وقت ظهوره عليه السلام من نتائج؟ إن المؤمنين سوف ينسلخون عن واقع الترقب وسيفقدون تبعاً لذلك حالة الارتباط المعنوي والوجداني بإمامهم الغائب (ع) ، وهذا يعني - إن كان

(١) ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص ١٢٠ .

(٧٤) النهي عن التوقيت وسببه

الوقت متأخراً في أعماق المستقبل - أن الإعداد والاستعداد والنفير وغير ذلك مما هو مرتبط بمسلة إنتظار الفرج^(١) سوف لا يكون مبرراً ، إذ أن هذه الامور مرتبطة بعصر ظهوره (ع) أو بما قبل عصر ظهوره بقليل . وبعبارة أخرى : إن تعيين وقت ظهوره للناس سوف يؤدي في نهاية المطاف إلى عدم إيجاد الأرضية المناسبة لتحقيق وعد الله ، وذلك خلاف الحكمة وغير جائز على الله تعالى ؛ لأن الله لا يخلف الميعاد ، ومعنى عدم ايجاد الأرضية هو عدم تهيئة الرجال المحصنين الذين هم شرط الظهور ، وكذلك فقدان القواعد الجماهيرية التي إنما تكون كذلك بما لديها من إيمان بالعتيدة المهدوية . فإن وجود الفاصلة الزمانية الكبيرة التي تفصل جيل من الاجيال عن وقت ظهور المهدي (ع) سوف يؤدي إلى تحلل العقيدة لدى الاجيال التالية تدريجاً ، إلى ان تصبح المهدوية مجرد أسطورة أو تتحول إلى محض خرافة قال بها القدماء ، وهذا التحلل قد حصل على صعيد عقيدة التوحيد عند الأمم السابقة ، فما الذي يمنع دون حصوله بصدد المهدوية لدى هذه الأمة؟

ثم ، ان استمرار الغيبة وطولها من دون تقدير لمدى محدد أو وقت معلوم من قبل المعصومين (ع) يفرضه انتظار ان يتمخض مسار العالم وتطوره عن الظرف المؤهل لاستقبال الإمام (ع)^(٢) . وليس ذلك الظرف سوى الوقت الذي تكتمل فيه شرائط الظهور . ولا يمكن تأخره عن تمامية الشرائط ولا عن تمامية العلامات ، فإن تخلف الظهور عن شرائطه يلزم منه تخلف المعلول عن العلة ، أو بعبارة أدق : يلزم عدم قيام المهدي (ع) بوظيفته الاسلامية وحاشاه . . وفشل التخطيط الإلهي في نهاية المطاف^(٣) . ومن طريف ما يذكر ان السيد حسن الأبطحي ، قال في كتابه (المصلح الغيبي) أنه قبل عشرين سنة ، ذهب يستطلع عن سبب تحول أحد معارفه من المذهب الاثني عشري إلى مذهب البهائية .

(١) انظر (انتظار الفرج) ص ١١٠ .

(٢) عدنان البكاء ، الإمام المهدي المنتظر وادعاء البابية والمهدوية ، ص ٢٠٠ .

(٣) محمد صادق الصدر ، تاريخ الغيبة الكبرى ، ص ٤٧٠ .

فاجابه : ((قبل عدة سنوات اعتقدتُ ووثقت بأحد أولياء الله (تعالى) إلى درجة أنني تصورتُ أنه لم يبلغ أحد منزلته العلمية والفكرية . وفي أحد الأيام قال لي : في العشرة الأخيرة من شهر جمادى الثاني من هذا العام سيظهر صاحب الزمان (عجل الله فرجه) ، وشرح لي أنه بالحساب ، وجمع ونقل الروايات ، والرؤيا الصادقة وغير ذلك ، تمكّن من استنتاج ظهور الحجة (عجل الله فرجه) في هذا الوقت . فانقطعتُ عن العمل مع بعض الإخوة الآخرين الذين اعتقدوا مثلي بروايتيه ، وبقينا قلقين نترقب ظهور الحجة (عجل الله فرجه) في ذلك اليوم الموعود . ولكن وبعد مرور الموعد المحدد ، وحتى بعده بأيام وأسابيع وأشهر ، لم يظهر صاحب الزمان ، فأصابني هلع فكري ، وبدأ الشك يتسرب إلى قلبي وروحي ونفسي وعقلي بكل شيء . وأخيراً قلتُ في نفسي : ألا يجوز ان تكون بقية القضايا التي يطرحها علينا الأولياء ويريدون منا تصديقها سئل هذه القضية ، وهي سرابٌ في سرابٍ؟ وبدأ اعتقادي يتزعزع قليلاً قليلاً فانحرفتُ إلى مذهب البهائية ، ذلك المذهب الذي لا يتقيد بأي شيء على الإطلاق^(١) .

وهكذا فإن النهي عن التوقيت من أهم مقومات: إنتظار الفرج ، وأحد أبرز ركائز ترقب ظهور الإمام المهدي (ع) ، وعليه ، فإن السؤال عن وقت ظهوره ، خطأ كبير يقع فيه من لا يعي فلسفة إنتظار الفرج ، تلك "فلسفة التي تجعل المؤمن في حالة الترقب الدائم والالتفات المستمر لإمامه المهدي (ع) ، ثم ما الفائدة من الاستعجال ، ولماذا الاستعجال أصلاً ، أفي وعد الله شك أم في قوله خُلف حتى يستعجل الناس الأمر قبل أوانه؟ روي عن الصادق (ع) أنه قال : ((فما تمدون أعينكم؟ فما تستعجلون؟ أستم أمنين؟ أليس الرجل منكم يخرج من بيته ، فيقضي حوائجه ثم يرجع لم يختطف؟ . . ثم تلا هذه الآية : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبًا وَالضَّرَاءُ وَالْبَأْسَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى

(١) حسن الأبطحي ، المصلح الغيبي والحكومة العالمية الواحدة ، ص ١٦١ .

(٧٦) النهي عن التوقيت وسببه

نَصْرُ اللَّهِ أَلَّا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١﴾ ((١)) (٢) . وقيل للرضا (ع) متى يقوم القائم؟ قال : ((أما متى فأخبارُ عن الوقت ، ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي (ع) : ان النبي (ص) قيل له : متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال : مثله مثل الساعة ﴿لَا يُجَلِّئُهَا لَوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ ((٣)) .

كذب الوقتون

وردت كثير من الأخبار بتذويب الوقتين ، ومنها ما نقله النعماني في غيبته : عن عبد الرحمن بن كثير ، قال : كنتُ عند أبي عبد الله (ع) إذ دخل عليه مهزم فقال له : جعلتُ فداك أخبرني عن هذا الأمر ننتظره متى هو؟ فقال : ((يا مهزم كذب الوقتون وهلك المستعجلون ونجا المسلمون)) (٤) وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال : سألته عن القائم ، فقال : كذب الوقتون ، إنا أهل بيت لا نوقت ثم قال : أبى الله إلا أن يخلف وقت الوقتين)) (٥) . وبخصوص هذا الحديث اذكر أنني في الشهر السابع من عام ١٩٩٩ كنت جالساً مع بعض الاخوان في مجلس من مجالس تهذيب الاخلاق ، فذكر احد الحاضرين ما ورد في كتاب تنبؤات نوستر اداموس من ان نهاية العالم ستكون في الشهر السابع من تلك السنة ، فخطر ببالي هذا الحديث وقلت كذب نوستر اداموس ، ان ذلك لا يحدث لأن التوقيت باطل ، حسبما ما جاء عن أئمة الهدى ، وصدقوا (ع) .

وروي عن الصادق (ع) انه قال : ((من وقت لك من الناس شيئاً فلا

(١) البقرة : ٢١٤ .

(٢) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٠٦ .

(٣) الصدوق ، كمال الدين ، ص ٢٠٦ .

(٤) النعماني ، الغيبة ، ص ١٥٨ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٥٩ .

توطئة إلى علائم الظهور (٧٧)

تهابن ان تكذبه فلسنا نوقت لأحد وقتاً))^(١) . وروي عنه كذلك قوله :
((كذب الموقتون ما وقتنا فيما مضى ولا نوقت فيما يُستقبل))^(٢) . وروي
الكليني باسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر (ع) قلتُ : لهذا الأمر
وقت؟ فقال : ((كذب الوقاتون كذب الوقاتون كذب الوقاتون . إن
موسى (ع) لما خرج وافداً إلى ربه ، واعدهم ثلاثين يوماً ، فلما زاده الله على
الثلاثين عشراً ، قال قومه : قد أخلفنا موسى ، فصنعوا ما صنعوا . . فإذا
حدثناكم بحديث فجاء على ما حدثناكم به فقولوا صدق الله ، وإذا
حدثناكم بحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به ، فقولوا : صدق الله ،
تؤجروا مرتين))^(٣) ويلاحظ في هذا الحديث جملة نقاط :
النقطة الاولى : ان الوقت من شأن الله تعالى وحده ، وسرُّ استأثر به
لنفسه .

النقطة الثانية : إن حديث آل محمد (ع) هو حديث الله تعالى ، فإن لم
يتحقق مضمون ما أخبروا به ، فإن ذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله ومن شاء الله
ان يطلعها عليها من خاصة اوليائه ، إذ ان الله يحو ما يشاء ويثبت .
النقطة الثالثة : ان على المؤمنين التصديق بحديثهم (ع) في جميع
الاحوال .

(١) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٦٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٦٢ .

(٣) الكليني ، الكافي ، ج ١ ص ٢٦٩ .

الفصل الثاني

التوقيت والبداء

عن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت أبا جعفر الباقر (ع) يقول : ((يا ثابت ، ان الله كان قد وقت هذا الأمر في سنة السبعين ، فلما قُتل الحسين (ع) اشتد غضب الله ، فأخره إلى أربعين ومائة ، فلما حدثناكم بذلك أذعتم . وكشفتم قناع الستر ، فلم يجعل الله لهذا الأمر بعد ذلك عندنا وقتاً ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال أبو حمزة : فحدثت بذلك أبا عبد الله الصادق (ع) فقال : قد كان ذلك))^(١) .

وعن عثمان النوا ، قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : ((كان هذا الأمر في فأخره الله ، ويفعل بعد في ذريتي ما يشاء))^(٢) .
وعن أبي بصير قال : قلت له (أي الصادق (ع)) : ألهدنا الأمر أمد نريح

(١) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٦٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٦٣ .

إليه ابداننا وننتهي إليه؟ قال : بلى ، ولكنكم أذعتم ، فزاد الله فيه) (١) .
وعن اسحاق بن عمار الصيرفي قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول :
قد كان لهذا الامر وقت ، وكان في سنة اربعين ومائة فحدثتم به واذعتموه ،
فأخّره الله تعالى)) (٢) .
وهذا الصنف من الاخبار يدل بوضوح على ان الوقت من جملة ما
يطري عليه البداء ، قال الشيخ الطوسي : ((فالوجه في هذه الاخبار ان نقول -
إن صحت - انه لا يمتنع ان يكون الله تعالى قد وقت هذا الامر في الاوقات
التي ذكرت ، فلما تجدد ما تجدد ، تغيرت المصلحة واقتضت تأخيره إلى وقت
آخر ، وكذلك فيما بعد . ويكون الوقت الاول وكل وقت يجوز ان يؤخر ، مشروطاً
بأن لا يتجدد ما يقتضي المصلحة تأخيره ، إلى ان يجيء الوقت الذي لا يغيره
شيء فيكون محتوماً . وعلى هذا يتأول ما روي في تأخير الاعمار عن اوقاتها
والزيادة فيها عند الدعاء وصلوة الارحام ، وما روي في تنقيص الاعمار عن
اوقاتها إلى ما قبله ، عند فعل الظلم وقطع الرحم وغير ذلك . وهو تعالى وإن
كان عالماً بالامرين فلا يمتنع ان يكون احدهما معلوماً بشرط والآخر بلا شرط .
وهذه الجملة لا خلاف فيها بين اهل العدل . وعلى هذا يتأول ما روي من
أخبارنا المتضمنة للفظ البداء ، ويبين ان معناها النسخ على ما يريد جميع اهل
العدل ، فيما يجوز فيه النسخ ، أو تغيير شروطها إن كان طريقها الخبر عن
الكائنات ، لأن البداء في اللغة الظهور ، فلا يمتنع ان يظهر لنا من افعال الله
تعالى ما كنا نظن خلافه ، أو نعلم ولا نعلم شرطه) (٣) . انتهى كلام الشيخ
الطوسي (رضوان الله عليه) . أقول : ونحن قد فصلنا القول في معنى كون الخبر
محتوماً أو مشروطاً ، وفي معنى البداء ، في فصل سابق فراجع (٤) .

(١) نفس المصدر ، ص ٢٦٣ .

(٢) النعماني ، الغيبة ، ص ١٥٨ .

(٣) الشيخ الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٦٣-٢٦٤ .

(٤) انظر ص ٤٢ و ص ٤٩ .

أخبار التوقيت الصريحة

وردت في المصادر الكثير من الأخبار التي تصرّح بوقت خروج المهدي (ع) ، وفي حالة التسليم بصحتها نفتقر إمّا إلى حملها على الرمز كما سوف يأتي ، أو نقول : انها اخبار قد نُسخت ، حالها حال الأخبار المذكورة اعلاه ، إذ لا مانع - كما أثبتنا - من طريان البداء على التوقيتات . وعلى كلا التقديرين نرى من المناسب - ها هنا - التطرق لذكر طائفة منها :

روي عن أبي جعفر (ع) : ((اول علامات الفرّج سنة خمس و تسعين ومائة ، وفي سنة ست و تسعين ومائة تخلع العرب أعتها ، وفي سنة سبع و تسعين ومائة يكون الفناء ، وفي سنة ثمان و تسعين ومائة يكون الجلاء . فقال أما ترى بني هاشم قد انقلعوا بأهليهم وأولادهم! فقلتُ (أي الراوي) : لهم الجلاء؟ قال : وغيرهم . وفي سنة تسع و تسعين ومائة يكشف الله البلاء ، إن شاء الله ، وفي سنة مائتين يفعل الله ما يشاء))^(١) .

وفي كتاب البرهان للمتقي الهندي ، عن أبي جعفر (ع) : ((يقوم المهدي سنة مائتين))^(٢) .

وفيه عن محمد بن الحنفية قال : ((يملك بنو العباس حتى يبأس الناس من الخير ، ثم يتشعب أمرهم في سنة خمس و تسعين ، فإن لم تجدوا إلا جحر عقرب فادخلوا فيه ، فإنه يكون في الناس شر طويل . ثم يزول ملكهم سنة سبع و تسعين أو تسع و تسعين ، ويقوم المهدي سنة مائتين))^(٣) . وفيه ان ابن قبيل قال : ((اجتماع الناس على المهدي سنة اربع ومائتين))^(٤) .

وروي ان رسول الله (ص) قال : ((ان في العشر بعد ستمائة الخروج

(١) المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ص ١٨٣ .

(٢) المتقي الهندي ، البرهان ، ح ١٨١ ص

(٣) نفس المصدر ، ح ١٨٢ ص ٧٤٣ .

(٤) نفس المصدر ، ح ١٨٠ ص ٧٤١ .

والقتل وتمتلاً الارض ظلماً وجوراً ، وفي العشرين بعدها يقع موت العلماء ، لا يبقى الرجل بعد الرجل ، وفي الثلاثين (بعدها) ينقص النيل والفرات حتى لا يزرع الناس على شطّهما وفي الاربعين بعدها تمطر السماء الحجر كأمثال البيض ، فهلك البهائم فيها ، وفي الخمسين بعدها يُسلط عليهم السباع ، وفي الستين تنكسف الشمس فيموت نصف الجن والانس ، وفي السبعين بعدها لا يولد المؤمن من المؤمن ، وفي الثمانين بعدها تصير النساء كالبهم ، وفي التسعين بعدها تخرج دابة الارض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان . وفي السبعمئة تطلع الشمس سوداء مظلمة ، ولا تسألوا عما وراءها))^(١) . روي هذا الخبر في جامع الاخبار .

وفيه ، في نفس الباب ونفس الفصل ، رواية عنه (ص) ، وكأنها تكملة لما ذكره في الحديث المتقدم ، قال ((وفي سنة ثمانين وسبعمئة تظهر امرأة يقال لها سعيدة ، مع لحية وسبال ، مثل الرجال من باتى^(٢) الصعيد ، وفي ألف ومأتي عنان تسير إلى العراق (وهذه قصة طويلة عظيمة ما ذكرتها)^(٣) ، وفي سنة سبع^(٤) علّم على كل علّم قنطارية صليب ، تحت كل صليب ألف فارس إفرنجي ونصراني (وهذه قصة طويلة)^(٥) وفي زمانه يخرج إليهم رجل في مكة يقل له سفيان بن حرب (وفي خبر آخر)^(٦) من وقت خروجه إلى ظهور قائم آل محمد (ع) ثمان أشهر لا يكون زيادة يوم ولا نقصان))^(٧) .

(١) محمد حسن ميرجهاني ، نواب الدهور في علائم الظهور ، ص ٢٠٢ ، ط حجرية ، نقلاً عن جامع الاخبار .

(٢) لعل الصواب : باب

(٣) من عبارة الراوي .

(٤) كذا في المصدر .

(٥) من عبارة الراوي .

(٦) الإضافة من الراوي أيضاً .

(٧) محمد حسن ميرجهاني ، نواب الدهور في علائم الظهور ، ص ٢٠٣ .

توطئة إلى علائم الظهور (٨٣)

إن ما أرجحه بصدده هذه الأخبار أنها إما ان تكون موضوعة أو منسوخة ، ولا أعتقد أنها من قبيل الرمز ، إذ ان الرمزية : المراد بها استعمال المعنى التركيبي أو الجُملي ، واردة معنى آخر غير ما يفصح عنه اللفظ بوضوح قال السيد الشهيد محمد الصدر : ((وهذا الذي يميز الرمز عن الكناية والمجاز . فإنها لا تكون إلا في مفردات الألفاظ أو النسب الكلامية . ومن هنا يمكن ان يكتب الفرد صفحة أو عدة صفحات من الكلام ذات معان معينة ولكن لا يريد الكاتب أي واحد من المعاني على التحديد وإنما يرمز بها إلى معان أخرى لا يمكن التوصل إليها إلا عن طريق قرائن خاصة أو قرائن عامة متفق عليها))^(١) وعندما نتأمل في الروايات المتقدمة لا نعثر فيها على ما يشير إلى إرادة الرمزية ، فالروايات المذكورة واضحة ، ولا غموض فيها ، إلا ما يتعلق بالخبر الأخير ، إذ يبدو انه ملفق من عدة احاديث . وليس هنالك إلا احتمال واحد في امكان ان تكون هذه الاخبار دالة على الرمز ، وهو : ان الاوقات المذكورة لا بد فيها من إجراء تنزيل مراتب الاعداد ، فنقوم بتنزيل مرتبة الأحاد إلى العشرات ، وهذه إلى المئات وهكذا . وبخصوص الخبرين الأخيرين ، فإن هنالك عبارات لها ما يؤيدها في روايات أخرى ؛ مثل خروج الدابة ، وظهور المرأة التي اسمها سعيدة ، وخروج السفيناني ومدة حكمه التي هي ثمان أشهر . . . بيد ان الملاحم المذكورة فيهما بما لم أطلع عليه في سواهما من الاخبار . والذي يؤيد احتمال كونهما موضوعين عدة أمور : الامر الاول : ما ورد في الخبر الاول منهما : ((تمطر السماء كأمثال البيض ، فهلك البهائم فيها)) فما معنى ذلك؟ . ولماذا لم يهلك الناس أيضاً؟ الامر الثاني : ما ورد فيه من ان : ((الشمس تطلع سوداء مظلمة)) . كيف يجوز ان تطلع سوداء؟ وهل يعقل ذلك؟

الامر الثالث : ما ورد في الخبر الثاني منهما : ((يخرج إليهم رجل في مكة يقال له سفيان بن حرب)) ، المشهور ان اسم السفيناني هو (عثمان بن عنبسة من نسل خالد بن يزيد) ، ولا يوجد - في حدود اطلاعي - ما يؤيد

(١) محمد صادق الصدر ، تاريخ الغيبة الكبرى ص ٢١٢ .

خروجه في مكة ، إذ ان الاخبار تُجمع على خروجه من الوادي اليابس في عمق دمشق من ارض الشام . وعلى كل ، فإنه يمكن توجيه تلك الاشكالات بما يأتي :
 أولاً : لا مانع من هلاك البهائم دون الناس حينما تمطر السماء كأمثال البيض ، إذ يجوز ان يختبئ الناس فلا يهلكون ، وقد يكون المراد بالبهائم الناس أيضاً كما ورد في الأخبار من ان الناس تصير كالبهائم^(١) .

ثانياً : طلوع الشمس سوداء مظلمة يمكن ان يوجه بحسب المعنى المجازي ، أي انها تطلع في قرن يسود فيه الظلم والجهل . . . الخ . ويجوز ان تحمل على المعنى الحقيقي أيضاً : بأن ذلك الوقت يكون فيه نهاية العالم بانطفاء نور الشمس ، أو ان يحول بينها وبين وصول ضوءها إلى الارض كوكب عظيم أو ما أشبه .

ثالثاً : لا مانع من خروج السفيناني من مكة بدلاً من دمشق ، إذ يجوز ان يطرد على مكان خروجه البداء ، اما هو نفسه فمن المحتوم الذي لا بد منه - كما تقدم - والاسم بحد ذاته مما لا يتطرق إليه إشكال ، إذ ان هنالك اخبار أخرى تشير إلى اسماء أخرى ، ثم ان المعنى لعله ناظر إلى اسم سلفه ، فإنه يجوز ان يسمى الولد باسم أبيه كما هو في عرف العرب .

أقول : ان هذه التوجيهات ممكنة ، ولكن يبدو عليها التكلف ، إذ أنها تحميل للنص فوق طاقته . وعلى أية حال ، فإن مثل هذه الاخبار لا بد أن تُرد ، بسبب ما جاء فيها من توقيتات . والله أعلم بالصواب .

(١) روي عن علي (ع) قال : ((جعل الله في هذه الامة خمس فتن - إلى ان قال - ثم فتنة خامسة تصير الناس فيها كالبهائم)) الملاحم والفتن ص ٢٠ .

الفصل الثالث

أَلغاز التوقيت

الفصل الثالث

الغاز التوقيت

إتضح لنا بما تقدم ، النهي عن التوقيت ولزوم تكذيب الوقاتين ، وذلك في حال كون الاخبار ظاهرة في إرادة تعيين الوقت ومصرحةً به . فهل ينسحب النهي والتكذيب على الأخبار إن جاءت بهيئة الرمز؟ أي انها لا تصرح بالوقت ، ولكن تغلفه في إطار من الغموض ، بحيث لا يمكن ان ينكشف المعنى إلا باقتفاء أسلوب خاص وإتباع قرائن معينة؟ يجيب بعض العلماء على هذا التساؤل بالنفي ، أي ان الاخبار التي تأتي بهيئة رموز أو الغاز لا إشكال فيها ، وإن تعلقت بالتوقيت ، فهي غير مشمولة بالنهي ولا بالتكذيب .

ولهذا نرى جماعة من كبار علمائنا كالمجلسي وتلميذه أبو الحسن العاملي وغيرهما ، قد تصدوا لحل تلك الرموز ، وتفسير ما فيها من الغاز أو غموض . وفي سبيل ان تتضح حقيقة هذا الصنف من الاخبار ، وكذلك ما أقترحوه لها من حلول ، سوف نقوم بعرض قسم منها على بساط البحث ، ولا سيما أشهر تلك الاخبار ، كما اننا سنقترح بصدد البعض منها توجيهات أخرى ، من باب التعقيب ليس غير . والله الموفق .

خبر رحمة بن صدقة

يعتبر هذا الخبر بمثابة الاصل الذي يستند إليه العلماء من اجل حل الرموز ، ولذلك فإن الشيخ المجلسي كثيراً ما يحيل عليه في تفسيره للأخبار المملغزة أو المرموزة ، وهو :

عن أبي جمعة رحمة بن صدقة ، قال : ((أتى رجل من بني أمية ، وكان زنديقاً ، إلى جعفر بن محمد (ع) فقال له : قول الله في كتابه (المص) أي شيء أراد بهذا؟ وأي شيء فيه من الحلال والحرام؟ وأي شيء في ذا مما ينتفع به الناس؟ قال : فأغاظ ذلك جعفر بن محمد (ع) فقال : أمسك ويحك! الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون . كم معك؟ فقال الرجل : مائة واحد وستون . فقال له جعفر بن محمد (ع) : إذا انقضت سنة إحدى وستين ومائة ينقضي ملك أصحابك . قال فنظرنا ، فلما انقضت إحدى وستون ومائة ، يوم عاشوراء ، دخل المسوِّدة^(١) الكوفة ، وذهب ملكهم))^(٢) .

(١) المسوِّدة : هم أهل خراسان ، سموا بذلك لأنهم كانوا يرفعون الرايات السود ، وقد توسع استعمال هذا الاصطلاح حتى أصبح يطلق في الدولة العباسية على شيعة بني العباس عامة وعلى ملوك العباسيين بوجه خاص ، وعلة اطلاقه عليهم هو لبسهم للسواد ، فقد أصبح شعاراً للدولة آنذاك . وظهرت دعوة المسوِّدة لأول مرة في خراسان سنة مائة وسبع عشرة من الهجرة ، ولكنها فشلت ، إلى ان ظهر أبو مسلم الخراساني الذي نصبه بني العباس (ابو جعفر المنصور وابو العباس السفاح وابراهيم الإمام) داعية لهم وأميراً في خراسان من اجل حشد التأييد لهم ، وكانت دعوتهم للرضا من آل محمد ، أي المرضي ، وقد كتبوا على رايتهم حينما بدء التحرك باتجاه العراق ، قوله تعالى : ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج : ٣٩) . وكانت الرايات كلها سوداء . وفي اخبار الظهور ان المسوِّدة إثنان : الاولى والثانية ، فعن ابن شاذب قال : ((كنت عند الحسن فذكرنا حمص ، فقال هم أسعد الناس بالمسودة الاولى وأشقى الناس بالمسودة الثانية ، قال : قلت : وما المسودة الثانية يا أبا سعيد؟ قال : أول الظهور ، يخرج من المشرق ثمانون ألفاً محشوة قلوبهم ، إلتاماً ، حشو الرمانة من الحب ، ويوار المسودة الاولى على أيديهم)) (الملاحم والفتن ص ٥٦) . وهذه المسودة الثانية هم الخراسانيون من انصار المهدي (ع) في آخر الزمان .

(٢) تفسير العياشي ، ج ٢ ص ٢ ، ط قم .

توطئة إلى علائم الظهور (٨٩)

من المعروف تاريخياً أن انقضاء ملك بني أمية كان في سنة مائة وإحدى وثلاثين للهجرة ، بينما ورد في الخبر المتقدم أن إنقضاء ملكهم سنة إحدى وستين ومائة ، فكيف يمكن توجيه ذلك؟ يقول الشيخ المجلسي (ره) : ((ان حساب (المص) بني على أساس حساب المغاربة))^(١) حيث الصاد تُحسب ستون ، ويعتقد أن ما وقع في الخبر هو تصحيف من النساخ ، قال : ((ومثل هذا التصحيف كثيراً ما يصدر من النساخ ، لعدم معرفتهم بما عليه بناء الخبر ، فيزعمون أن ستين غلط ، لعدم مطابقته لما عندهم من الحساب ، فيصحفونها على ما يوافق زعمهم))^(٢) .

وقبل أن نسترسل في سرد هذه الإخبار ، ينبغي أن نوضح ما هو المقصود بحساب المغاربة وكذلك حساب المشاركة؟ أقول : إن الحساب المعمول به عند علماء الحروف على نحوين :

النحو الأول : وهو حساب القدماء من علماء الحروف أو ما يسمى بحساب المغاربة ، وفيه : أنهم قد وضعوا للحروف قيماً عددية من أجل عمل الأوفاق والزيارج^(٣) وكتابة الطلاسم وغير ذلك مما هو معمول به عندهم . والحروف مرتبة عند المغاربة هكذا : (أبجد هوز حطي كلمن صغفض قرست ثخذ ظغش) حيث يعطى للألف عدد : واحد وللباء : إثنان . . . وهكذا حتى حرف الياء حيث يُعطى عشرة . ثم تعطى للكاف عشرون ، فثلاثون لللام . . . وهكذا حتى حرف القاف حيث يعطى مائة ، وبعد ذلك يعطى الراء مائتان ، فثلاثمائة للسين . . . وهكذا حتى الشين ، حيث يعطى عدد الألف .

(١) بحار الانوار ، ج ٥٢ ص ١٠٧ .

(٢) نفس المصدر ص

(٣) الأوفاق : هي جداول خاصة تستخدم لتنزيل الحروف أو قيمها العددية ، وهي تتدرج من الالف المثلث حتى وفق المائة ، لكن المشهور منها ثلاثة : المثلث والمربع والخمس . أما الزيارج ، فهي جداول حرفية تستخدم لاستخراج الاجوبة من الاسئلة ، بعد ان تبسط هذه الأخيرة طبقاً لقواعد خاصة وتنزل في الجدول الذي هو الزيارجة ، ثم تُلَقَط الحروف منها لاستخراج الجواب .

النحو الثاني : وهو حساب المشاركة ، وهو الحساب المعمول به ابتداءً من العصر الجاهلي وحتى الآن ، وهو المشهور عند أهل هذا الفن ، وينسب إلى المشاركة ، وهم الهنود والفرس وغيرهم من أهل الشرق ، لأنهم أول من ابتداء العمل على أساسه . وترتيب الحروف فيه على هذا المنوال : (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) وقيمها العددية بنفس الأسلوب المذكور آنفاً ما عدا بعض الحروف . فالسين : ستون بدلاً من ثلاثمائة ، والصاد تسعون بدلاً من ستين ، والشين ثلاثمائة بدلاً من الف ، والضاد ثمانمائة بدلاً من تسعين ، والطاء تسعمائة بدلاً من ثمانمائة ، والغين الف بدلاً من تسعمائة .

خبر أبي لبيد المخزومي

روى أبو لبيد المخزومي ، قال : قال أبو جعفر (ع) : ((يا أبا لبيد ، إنه يملك من ولد العباس إثنا عشر ، يُقتل بعد الثامن منهم أربعة ، تصيب أحدهم الذبحة . هم فئة قصيرة أعمارهم ، قليلة مدتهم ، خبيثة سريرتهم ، منهم الفويسق الملقب بالهادي ، والناطق ، والغاوي . يا أبا لبيد ، ان في حروف القرآن المقطعة لعلماً جماً : إن الله تعالى أنزل ﴿الم ذلك الكتاب﴾ فقام محمد (ص) حتى ظهر نوره وثبتت كلمته ، وولد يوم ولد وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين . ثم قال : وتبينه في كتاب الله في الحروف المقطعة ، إذا عدتها من غير تكرار . وليس من حروف مقطعة حرف ينقضي إلا وقيام قائم من بني هاشم عند إنقضائه . ثم قال : الألف واحد ، واللام ثلاثون والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فذلك مائة وإحدى وستون . ثم كان بدو خروج الحسين بن علي (ع) : ﴿الم الله﴾ ، فلما بلغت مدته ، قام قائم ولد العباس ، عند : ﴿المص﴾ . ويقوم قائمنا عند إنقضائها بـ ﴿الر﴾ فافهم ذلك وعه واكتمه))^(١) ونظراً لأهمية هذا الحديث ، وشدة اهتمام بعض العلماء به ، سوف أقوم بنقل ما ذكره الشيخ المجلسي (أعلى الله مقامه) لتفسيره ،

(١) المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ، ص ١٠٦ .

توطئة إلى علائم الظهور (٩١)

موضحاً ما استشكل من عباراته في الهامش ، وهذه المحاولة هي الاولى من نوعها - حسبما أعلم .

قال الشيخ المجلسي : ((الذي يخطر بالبال في حل هذا الخبر الذي هو من معضلات الأخبار ومنحبيات الاسرار ، هو أنه (ع) بين أن الحروف المقطعة التي في فواتح السور إشارة إلى ظهور ملك جماعة من أهل الحق وجماعة من أهل الباطل . فاستخرج (ع) ولادة النبي (ص) من عدد أسماء الحروف المبسوطة بزُّبرها وبيِّناتها^(١) كما يتلفظ بها عند قرائتها بحذف المكررات ، كألف لام ميم تسعة^(٢) ولا تعدُّ مكررةً في خمس من السور^(٣) . فإذا عددتها كذلك تصير مائة وتلاثة أحرف . وهذا يوافق تاريخ ولادة النبي (ص) ، لأنه كان قد مضى من الألف السابع من ابتداء خلق آدم (ع) مائة سنة وثلاث سنين ، وإليه أشار بقوله : ((وتبياته)) أي تبيان تاريخ ولادته (ع) . ثم بين (ع) أن كل واحدة من تلك الفواتح إشارة إلى ظهور دولة من بني هاشم ، ظهرت عند انقضائها . و (ألم) الذي في سورة البقرة إشارة إلى ظهور دولة الرسول (ص) إذ أول دولة ظهرت في بني هاشم كانت دولة عبد المطلب فهو مبدء التاريخ ، ومن ظهور دولته إلى ظهور دولة الرسول (ص) وبعثته كان قريباً من أحد وسبعين الذي هو عدد (ألم) ، ف ﴿ألم ذلك﴾ إشارة إلى ذلك .

(١) الزُّبُر هي الحروف كما تكتب ، مثل : ا ، ب ، ج ، ... الخ . والبيئات هي الحروف كما تلفظ مع حذف الزُّبُر . . . فحرف ج يلفظ : جيم ، والبيئة هي : يم ، وحرف ك يلفظ : كاف ، وبيئته هي : أف . . . وهكذا بقية الحروف .

(٢) يعني : أن مكررات الحروف المقطعة لا تدخل في الحساب ، وقوله كـ (الف لام ميم تسعة) إشارة إلى الحروف المقطعة التي ذكرها الامام في الحديث ، حينما قال ﴿ألم ذلك الكتاب﴾ فتكتب الحروف المقطعة بزُّبرها وبيئاتها في سورة البقرة وتعد وهي تسعة أحرف : (ا ل ف ل ا م م ي م) ، ثم تضرب ٩ وهو المقصود من عدّها مكررةً ، فتبلغ النتيجة (٨١) .

(٣) معنى ذلك أن الحروف المقطعة التي فيها (الم) في السور الخمس الأخرى : (آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة) لا تضرب بعدد حروف نفسها ، ولكن تجمع زُّبرها وبيئاتها مع حذف المكرر فتكون إثنان وعشرين حرفاً ، فيبلغ الحاصل الكلي (١٠٣) .

وبعد ذلك في نظم القرآن (ألم) الذي في آل عمران ، فهو إشارة إلى خروج الحسين (ع) إذ كان خروجه (ع) في أواخر سنة ستين من الهجرة . وكانت بعثته (ص) قبل الهجرة نحواً من ثلاث عشر سنة ، وإنما كان شيوخ أمره (ص) وظهوره بعد سنتين من الهجرة ^(١) . ثم بعد ذلك في نظم القرآن (ألمص) وقد ظهرت دولة بني العباس عند انقضائها ، ويشكل هذا بأن ظهور دولتهم وابتداء بيعتهم كان في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقد مضى من البعثة مائة وخمس وأربعون سنة ، فلا يوافق ما في الخبر ، ويمكن التفصي عنه بوجوه :

الأول : أن يكون مبدء هذا التاريخ غير مبدء (ألم) بأن يكون مبدءه ولادة النبي (ص) مثلاً ، فإن بدو عدة بني العباس كان في سنة مائة من الهجرة ، وظهور بعض أمرهم في خراسان كان في سنة سبع أو ثمان ومائة . ومن ولادته (ص) إلى ذلك الزمان كان مائة وإحدى وستين سنة .

الثاني : أن يكون المراد بقيام ولد العباس ، استقرار دولتهم وتمكنهم ، وذلك كان في أواخر زمان المنصور ، وهو يوافق هذا التاريخ من البعثة .

الثالث : أن يكون هذا الحساب مبنياً على حساب الأجدد القديم الذي يُنسب إلى المغاربة ، وفيه : (صعفض ، قرست ، ثخذ ، ظغش) . فالصاف في حسابهم ستون ، فيكون مائة وإحدى وثلاثين . وسيأتي التصريح بأن حساب (ألمص) مبني على ذلك في خبر رحمة بن صدقة ^(٢) ، في كتاب القرآن ، فيوافق تاريخه تاريخ (ألم) إذ في سنة مائة وسبع عشر من الهجرة ظهرت دعوتهم في خراسان ، فأخذوا وقتل بعضهم ، ويُحتمل أن يكون مبدء هذا التاريخ زمان نزول الآية ، وهي وإن كانت مكية ، كما هو المشهور ، فيحتمل أن يكون نزولها في

(١) ومعنى ذلك أن ابتداء أمر الحسين (ع) وقيامه ضد الأمويين كان بعد إحدى وسبعين سنة من شيوخ أمر النبي (ص) إذ أن شيوخ أمره كان بعد سنتين من بعثته ، ومن هذا التاريخ إلى الهجرة إحدى عشر سنة تضاف إلى ستين التي هي وقت خروج الحسين (ع) يبلغ إحدى وسبعين عدد (ألم) .

(٢) تقدم ذكر هذا الخبر ، مع تعليق الشيخ عليه ، فراجع .

توطئة إلى علائم الظهور (٩٣)

زمان قريب من الهجرة ، فيقرب بيعتهم الظاهرة^(١) . وإن كانت مدنية فيمكن أن يكون نزولها في زمان ينطبق على بيعتهم بغير تفاوت . وإذا رجعت إلى ما حققناه في كتاب (القرآن) في خبر رحمة بن صدقة ظهر لك أن الوجه الثالث أظهر الوجوه ، ومؤيد بالخبر . ومثل هذا التصحيف كثيرا ما يصدر من النساخ ، لعدم معرفتهم بما عليه بناء الخبر ، فيزعمون أن ستين غلط ، لعدم مطابقته لما عندهم من الحساب^(٢) ، فيصحفونها على ما يوافق زعمهم .

قوله ((فلما بلغت مدته)) أي كملت المدة المتعلقة بخروج الحسين (ع) فإن ما بين شهادته (صلوات الله عليه) إلى خروج بني العباس كان من توابع خروجه . وقد انتقم الله من بني أمية في تلك المدة إلى أن استأصلهم .

قوله (ع) : ((ويقوم قائمنا عند إنقضائها بـ(ألر))) هذا يحتمل وجوها :
الاول : أن يكون من الأخبار المشروطة البدائية^(٣) ، ولم يتحقق لعدم تحقق شرطه ، كما تدل عليه أخبار هذا الباب .

الثاني : أن يكون تصحيف (ألر) ويكون مبدء التاريخ ظهور أمر النبي (ص) قريبا من البعثة كـ(ألم) ، ويكون المراد بقيام القائم ، قيامه بالإمامة تورية^(٤) ، فإن إمامته (ع) كانت في سنة ستين ومائتين ، فإذا أضيفت إليه أحد عشر سنة قبل البعثة يوافق ذلك^(٥) .

(١) بيعة بني العباس الظاهرة كانت في سنة إحدى وثلاثين ومائة ، فبناء على حساب المغاربة التي تكون قيمة الصاد فيها ستون ، يكون حاصل (المص) مائة وإحدى وثلاثون ، أما بيعتهم الفعلية فهي عام إثنين وثلاثين ومائة للهجرة ، وعليه فإن كانت الآية نازلة في مكة قبيل الهجرة انطبقت على بيعتهم الظاهرة ، وإن كانت مدنية انطبقت على بيعتهم الفعلية .

(٢) أي أنهم يعملون في حسابهم طبقا للمشاركة .

(٣) الأخبار المشروطة البدائية ، هي الأخبار التي تكون موردا لطريان البداء ، راجع ما ذكرناه في ص ٤٨ * .

(٤) أي سرا أو خفية .

(٥) وتوضيح ذلك ، أن عدد (ألر) بحساب المشاركة هو مئتان وإحدى وسبعون ، فإذا كان مبدء التاريخ الذي يكون طبقا له الحساب ، هو وقت شيوخ أمر النبي (ص) أي بعد سنتين من البعثة ، قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة ، تضاف لى تاريخ إمامة الحجة (ع) في عام مئتين وستين للهجرة ، يبلغ الحاصل مائة وإحدى

الثالث : أن يكون المراد : جميع أعداد كل (الر) يكون في القرآن . وهي خمس مجموعها : ألف ومائة وخمسة وخمسون ، ويؤيده أنه (ع) عند ذكر (الم) لتكرره ، ذكر ما بعده ، ليتعين السورة المقصودة ، ويتبين أن المراد منها واحد بخلاف (الر) لكون المراد جميعها فتفطن^(١) .

الرابع : أن يكون المراد : إنقضاء جميع الحروف مبتدئاً بـ(الر) بأن يكون الغرض سقوط (المص) من العدد ، أو (الم) ايضاً^(٢) . وعلى الأول^(٣) يكون الفأ وستمائة وستة وتسعين ، وعلى الثاني^(٤) يكون ألفين وخمسمائة وخمسة وعشرين . وعلى حساب المغاربة يكون على الأول : الفين وثلاثمائة وخمسة وعشرين ، وعلى الثاني ألفين ومائة وأربعة وتسعين ، وهذه أنسب بتلك القاعدة الكلية^(٥) ، وهي قوله : ((وليس من حرف ينقضي)) إذا دولتهم (ع) آخر الدول ، لكنه بعيد لفظاً ، ولا نرضى به ، رزقنا الله تعجيل فرجه^(٦) . هذا ما

يسبغون .

(١) تكررت (الر) في القرآن في خمس سور هي : (يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر) ومجموع (الر) بحساب المشاركة ٢٣١ تضرب في ٥ الحاصل ١١٥٥ .

(٢) أي بناءً على ما قاله الامام الباقر (ع) في هذا الحديث ، إذ قال : ((ويقوم قائمنا عند انقضائها بـ(الر)) فالضمير في قوله ((انقضائها)) إما أن يرجع إلى قوله ((المص)) قبل قوله السابق ، وهذا هو الوجه الأول : أو يكون الضمير عائداً إلى قوله في أول الحديث ((الم)) وهو الوجه الثاني ، ويكون معنى انقضاء (الر) بـ(المص) أو (الم) سقوط أحدهما من الحساب عند جمع كافة الحروف المقطعة .

(٣) أي في حال اسقاط (المص) من الحساب الكلي .

(٤) أي في حال اسقاط (الم) من الحساب الكلي .

(٥) أي أن هذه النتيجة الأخيرة طبقاً لحساب المغاربة أنسب بلقاعدة التي هي قوله (ع) : ((وليس من حروف مقطعة حرف ينقضي إلا وقيام قائم من بني هاشم عند انقضائها)) وذلك لأن حاصل الجمع فيها أكبر من النتائج المتحصلة من حساب المشاركة ، وبما أن دولتهم (ع) هي آخر الدول ، فيكون الحساب على ما يكون حاصله أكبر أوفق .

(٦) قول الشيخ : (لكنه بعيد لفظاً ولا نرضى به ، رزقنا الله تعجيل فرجه) معناه : أن تلك النتائج المتحصلة باتباع طريقة المغاربة وإن كانت أوفق بالقاعدة إلا أن القول بها بعيد عما نطمح إليه من قرب ظهوره (ع) ، ولا نرضى بالتأخير إلى هذا الحد . (رزقنا الله تعجيل فرجه) .

توطئة إلى علائم الظهور (٩٥)

سمحت به قريحتي بفضل ربي ، في حل هذا الخبر المعضل وشرحه ، فنخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، وأستغفر الله من الخطأ والخطل ، في القول والعمل ، إنه ارحم الراحمين^(١) .

هذا آخر ما ذكره الشيخ المجلسي (ره) في شرح خبر أبي لبيد المخزومي ، وقد نقلناه بطوله لأهميته في فهم نحوه من الأخبار . وقد كان مرتكز الشيخ المجلسي على حساب السنين القمرية ، ولو كان قد أخذ حساب الشمس بنظر الاعتبار لتخلص من بعض الوجوه المشككة وما تجشمه من عناء في حلها . . وهذا ما التفت إليه تلميذه الشيخ المحقق أبو الحسن بن محمد طاهر العاملي ، إذ قال تعقيباً على شيخه : ((. . . أعلم ايضاً أن مراد شيخنا (ره) بقوله في تطبيق (الم الله)^(٢) على خروج الحسين (ع) : وإنما كان شيوع أمره ، يعني النبي (ص) ، بعد سنتين من البعثة ، دفع ما يرد على ذلك ، من ان ما بين مبدء البعثة إلى خروج الحسين (ع) كان ثلاثاً وسبعين سنة ، فزيد حينئذ سنتان . ولعله (ره) لم يحتج إلى هذا التكلف مع بعده . بل كان له ان يجعل مبنى الحساب على السنين الشمسية ، فإن خروجه (ع) كان في آخر سنة ستين من الهجرة بحساب السنين القمرية . فيصير من البعثة إليها ، بحساب الشمسية ، واحد وسبعين سنة ، كما هو ظاهر على الماهر . . .))^(٣) .

وهكذا ، فإن الاحتمالات التي تستخلص من الوجوه التي ذكرها الشيخ المجلسي (ره) بصدد وقت خروج القائم (عجل الله فرجه) هي التواريخ التالية :

(١) طبقاً للوجه الثالث : عام ١١٥٥ هـ

(٢) طبقاً للوجه الرابع :

(أ) بحساب المشاركة : إمّا عام ١٦٩٦ هـ أو عام ٢٥٢٥ هـ .

(ب) بحساب المغاربة : إمّا عام ٢٣٢٥ هـ أو عام ٢١٩٤ هـ .

(١) المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ، ص ١٠٦ .

(٢) (الم الله) ، يقصد بها : (الم) التي في سورة آل عمران .

(٣) تفسير العياشي ، ج ٢ ، هامش ص ٧ .

تقاويم أخرى

لو عدنا إلى ما ذكرناه آنفاً بخصوص تصنيف الاخبار^(١) ، أي اعتبار مولد صاحب الزمان (ع) أساساً لتصنيف حوادث الزمان ، فقد يجوز لنا وضع تقويمياً آخر يكون مرتكزاً للحساب في امثال هذه الاخبار ، لا سيما فيما يتعلق بالمهدي (ع) . إذ من الممكن ان نجعل سنة ٢٥٥ للهجرة سنة ١ للميلاد ، أي لميلاد الحجة (ع) ، ثم نقوم باعادة النظر في نتائج الحسابات المتقدمة . أو نجعل سنة ٢٦٠ هـ سنة ١ للغيبة ، ونعمل تقويمياً آخر . ونجري في كلا التقويمين إما على اساس السنين القمرية أو الشمسية . وربما كان اعتماد أحد هذين التقويمين أقرب إلى الواقع ، وأوفق بما يتطلع إليه المؤمنون في عصرنا . وسنشرح فيما يلي كيف ذلك :

ذكر السيد حسن الابطحي في كتبه ، ومنها كتاب (المصلح الغيبي) : ان الظهور ظهوران : أكبر وأصغر ، ونحن نوافق على هذا الرأي ، ومن أجل أن تتوضح هذه الفكرة ننقل جانب ما ذكره في كتابه المشار إليه : ((. . . هنالك الظهور الأصغر للوجود المقدس لصاحب الزمان (عجل الله فرجه) ويمكن تشبيه ذلك كما جاء في بعض الروايات بالشمس المنيرة ونحن نعلم بأن الشمس ، وقبل غروبها تماماً ، تبقى أشعتها بمدة معينة حتى تغيب تماماً ويحل الظلام الدامس ، وكذلك طلوع الشمس : فإنه لن يكون مباشراً بل يبدأ الخيط الأبيض ثم الفجر ثم نور باهت يزداد تدريجياً حتى تطلع الشمس ساطعةً في السماء ، وهكذا فإن ظهور الحجة بن الحسن (عجل الله فرجه) هو كالشمس المنيرة في سماء الولاية ، لا بد أن يسبقه ظهور أصغر يهيئ الأرضية للظهور الكامل لوجوده المقدس^(٢) .

وقوله : كما جاء في بعض الروايات ، يشير إلى ما ورد عن أمير

(١) راجع ما قلناه في ص ٤٠ .

(٢) حسن الابطحي ، المصلح الغيبي ، ص ١٤٣ .

توطئة إلى علائم الظهور (٩٧)

المؤمنين (ع) : ((وهو الشمس الطالعة من مغربها...^(١))) ، وعلى ضوء هذه الفكرة ، وباستخدام التقويمين المذكورين آنفاً ، واعتماد ما جاء في الوجه الثالث من شرح المجلسي لحديث أبي لبيد المخزومي ، نستنتج أن عصرنا هو عصر الظهور ، فنحن في الظهور الأصغر . إذ على أساس تقويم ميلاده (ع) نضيف ٢٥٥ إلى ١١٥٥ يرتقي الحاصل إلى ١٤١٠ هـ ، وعلى أساس تقويم الغيبة نضيف ٢٦٠ إلى ١١٥٥ يبلغ ١٤١٥ هـ . رزقنا الله تعجيل فرجه .

خبر أبي محمد الحسن العسكري (ع)

عن الحسن بن سليمان ، قال : روي أنه وجد بخط مولانا أبي محمد العسكري (ع) ما صورته : ((قد سعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والدلالة - (وساقه إلى أن قال) - : وسيُسفر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران ، لتمام (ألم) و(طه) و (الطواسين) من السنين^(٢))).

ذكر الشيخ المجلسي لحل هذا اللغز إجمالين ؛ نذكرهما بتصرف مع التحقيق :

الاحتمال الأول : ان يكون المراد من (ألم) كل ما اشتملت عليها من المقطعات ، ومن ضمنها : (ألمص) ، (ألمر) مع (طه) و (الطواسين) . مجموع ذلك بحساب الجمل (عند المشاركة) يرتقي إلى ١١٥٩ هـ وهو قريب مما ذكره في الوجه الثالث في خبر أبي لبيد المخزومي .

وإليك تحقيق ما ذكره الشيخ في هذا الاحتمال : إن (ألم) مجموعها بحساب الحروف هو ٧١ . وبما أنها قد تكررت ٦ مرات في القرآن الكريم في : (البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة) ؛ إذن فنتيجة هذه المقطعة من الحروف هي $71 \times 6 = 426$. و (طه) مجموعها يساوي ١٤ . والطواسين هي : (طس) النمل ، و(طسم) الشعراء ، و(طسم) القصص . مجموعها كلها بحساب المشاركة يساوي ٢٨٧ .

(١) الصدوق ، كمال الدين ، ج ٢ ص ٥٢٥ .

(٢) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ص ١٢١ ، وانظر فيه ما ذكره من توجيهاته بصدد حل هذا اللغز .

(٩٨) أَلغاز التوقيت

يضاف إلى كل ذلك : (المص) الأعراف وتساوي ١٦١ ، و(ألمر) الرعد
وتساوي ٢٧١ . إذن فالحاصل الكلي هو مجموع هذه المقطعات :

$$٣٢٦ + ١٤ + ٢٨٧ + ١٦١ + ٢٧١ = ١١٥٩ هـ$$

الاحتمال الثاني : أن يكون المقصود من قوله لتمام (ألم) ، كل (ألم)
باستثناء ص من (المص) و ر من (ألمر) ، وذلك ثمان مرات ، يرتقي إلى ٨٧٩ هـ .
وتحقيق ذلك : أن يكون (ألم) مكررة كما أسلفنا ٦ مرات ، فإذا اسقطنا
من كل (المص) صادها ، ومن (ألمر) رائها ، تصبح (ألم) مكررة ثمان مرات ،
فيبلغ مجموعها كلها ٥٦٨ بضرب ٧١ × ٨ ، تجمع هذه النتيجة مع الطوسين
الثلاثة المذكورة في الاحتمال الأول ، ومجموعها ٢٩٧ ، ومع (طه) التي تساوي
١٤ اذن يصبح الحاصل النهائي ٥٦٨ + ٢٩٨ + ١٤ = ٨٧٩ هـ .

والاحتمال الأول أقرب للواقع ، ولا سيما إذا كان مبدء حساب التاريخ
فيه مولد الامام المهدي (ع) أو غيبته ، أي طبقاً للتقويمين المذكورين . والله تعالى
اعلم . اللهم عجل فرج إمامنا ، واجعلنا من شيعته وانصاره .

الباب الثاني

الفتن والسنن

الفصل الأول : الفتن والتمحيص

الفصل الثاني : غريال التمحيص

الفصل الثالث : الإعداد والتعبئة

الفصل الأول الفتن والتمحيص

قال تعالى : ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾^(١) يقول السيد محمد حسين الطباطبائي (ره) في تفسير الميزان : ((تحذر الآية جميع المؤمنين من فتنة تختص بالظالمين منهم ولا يتعداهم إلى غيرهم من الكفار والمشركين . واختصاصها بالظالمين من المؤمنين ، وأمر عامتهم مع ذلك باتقائها ، يدل على أنها وإن كانت قائمة ببعض الجماعة ، ولكن السوء من أثرها يعم الجميع بالعقاب الشديد))^(٢) .
وهذا الأمر بالاتقاء من الفتنة يقتضي أن يبادر الجميع إلى مقاومتها ، والتصدي لها طبقا للأسلوب المناسب لظرف حدوثها . يقول العلامة الطباطبائي (ره) في تحديد معنى المقاومة : ومقتضى ذلك أن تكون الفتنة المذكورة على إختصاصها ببعض القوم ، مما يوجب على عامة الأمة أن يبادروا على دفعها ويقطعوا دابرها ويطفئوا لهيب نارها بما أوجب الله عليهم من النهي عن المنكر

(١) الانفال : ٢٥ .

(٢) محمد حسين الطباطبائي ، الميزان ، ج ٩ ، ص ٤٨ .

والأمر بالمعروف^(١) . أقول : ان هذا الكلام صحيح في حدود المجتمع الاسلامي المستقل . أما في ظروف مجتمعنا المعاصر ، فلا تخلو صحته من إشكال . ذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب بالنسبة لمن يعرف ما هو المعروف وما هو المنكر ، علامةً على أهليته لذلك .

إن المفاهيم الاسلامية التي جاء بها الدين الحنيف لم تسلم من التحريف ، من جراء ما يسمى بالفكر المتحرر ، الذي بدأت أمواجه تصل إلى سواحل بلادنا الاسلامية منذ ما يزيد على القرنين . وحمل لنا ذلك الموج الجارف شتى أنواع الافات التي أصابت دماغ الفكر وقلب العقيدة وجوانح الخلق وجوارح الأعمال . ولو أنها جائتنا بهيئتها البشعة لكان بالامكان تلافى خطرها وتحجيم تأثيرها ، إلا أنها أتتنا متشحة بوشاح التقدم الصناعي والتقني ، ومترينة بأزياء الفلسفة الوجودية أو الفلسفة الاشتراكية أو البارغماتية أو . . . الخ . تلك الفلسفات التي صارت بمثابة معول ضخم حملته أيدي شريرة وانهدت به على قمة ذلك البناء الشامخ الذي أقامه الرسول الكريم محمد (ص) بعد أن أرست السماء قواعده وأسسها . ان التشويه لقيم الإسلام ومبادئه العليا حدث بأساليب متنوعة ، واستخدمت فيه وسائل متعددة . ولعل من بين تلك الاساليب رفع الشعارات البراقة المفرغة من المحتوى : كالحرية والمساواة والتطور وغيرها ومن الوسائل كذلك توظيف مبتكرات الصناعة - مثل الاذاعة والتلفزة وأنظمة الاتصالات الالكترونية ، من أجل بث تلك السموم الفتاكة وترويج تلك البضاعة التي كانت كاسدة .

ان وسم المواقف الجزئية فيما يتعلق بالأسلوب الواجب اتخاذه إتجاه الانحرافات العقائدية والفكرية والأخلاقية بأصطلاحات من قبيل : الرجعية ، والارهاب ، والتعصب الديني ، والتطرف ، والأصولية . . . وغيرها ، لهو أكبر دليل على تحويل كثير من المفاهيم عن معانيها الصحيحة إلى معان أخرى معتدلة كما يقولون والصواب أنها معتلة . ولذلك تجد الإسلام اليوم على صنفين متعارضين :

توطئة إلى علائم الظهور (١٠٣)

فهناك اسلام أصولي أو سلفي ، وهناك اسلام اصلاحي أو معتدل . كما أن المسلمين قد وزعوا على ذلك الأساس ، فهم إما أصوليون أو سلفيون ، وإما معتدلون أو اصلاحيون . ومن البديهي طبقاً لهذا التوزيع أن تتباين المفاهيم بين المعسكرين وإن كانت الاصطلاحات متماثلة .

ولذلك ، فنحن نعتقد أن اساليب المقاومة لم تعد منحصرة في عصرنا الراهن بتلك التي ذكرها السيد الطباطبائي (ره) بل ان هنالك منهج آخر ملائم لهذا العصر أشار إليه أهل البيت (ع) . . . وقد جاءت الكثير من الروايات عن النبي (ص) وأهل بيته (ع) تنبئ بانقلاب المفاهيم والتصورات في آخر الزمان . فقد روى الامام الباقر (ع) عن جده رسول الله (ص) أنه قال : ((كيف بكم إذا فسد نساؤكم ، وفسق شبانكم ، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ فقل له : ويكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم وشر من ذلك ، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قيل : يا رسول ويكون ذلك ؟ قال : نعم ! وشر من ذلك ، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)) (١) .

إن الآيات التي ورد فيها ذكر الفتن في القرآن الكريم كثيرة ، ومنها قوله تعالى : ﴿ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢) يقول صاحب تفسير الميزان : ((فالناس غير متروكين أن يقولوا آمنا بالله ، دون أن يفتنوا ويمتحنوا ، فيظهر ما في نفوسهم من حقيقة الايمان أو وصمة الكفر)) (٣) . ان الفتنة هي احدى السنن الالهية الكبرى في هذه النشأة الدنيوية . ولذلك فإن دورها لا ينحصر في وقت دون وقت ، أو يشمل أمة ويستثنى أخرى . ان الفتن بمثابة امتحانات واختبارات يجريها الله على عباده . وهي كما تحصل في مجالات الانسان في حياته ، مثل امتحان مجموعة من التلاميذ من قبل استاذ

(١) المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ، ص ١٨١ .

(٢) العنكبوت / ٢-٣ .

(٣) الطباطبائي ، الميزان ، ج ١٦ ، ص ١٩٨ .

المادة لتحديد المستوى العلمي لكل منهم ، أو مثل اخضاع بعض المعادن كالذهب لاختبار التصفية من الشوائب . . . كذلك تحصل الفتنة في الدين ، بيد أن الممتحن ليس هو الانسان بل الله (عز وجل) ، فيمتحن عباده في دعوى الايمان .

روى معمر بن خلاد قال : سمعت أبا الحسن (الكاظم (ع)) يقول : ((ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ثم قال لي : ما الفتنة ؟ قلت : جعلت فداك ، وعندنا الفتنة في الدين ؟ قال : يفتنون كما يفتن الذهب ، ثم يخلصون كما يخلص الذهب))^(١) وروي عن النبي (ص) ، لما نزلت هذه الآية ﴿ ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ قال : ((لا بد من فتنة تبلى بها هذه الأمة بعد نبينا ليتعين الصادق من الكاذب . لأن الوحي قد انقطع وبقي السيف وافتراق الكلمة إلى يوم القيامة))^(٢) .

ان غرض الفتنة هو التمحيص . ومحص ، تأتي بمعان عدة منها : طهر ، ونقى ، ونقص ، كما تأتي بمعنى ابتلى واختبر . وبجمع كل تلك المعاني مفهوم (التمييز بين أشياء متغايرة) ، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾^(٣) . ان وظيفة الفتنة هي أنها تعمل على سبر غور الايمان ، فتقوم بتنحية كل فرد يمثل الايمان بالنسبة إليه هوية مزيفة . ففي التمحيص توضع الفوارق التي يتم الفصل بها بين دواعي الخبث ودواعي الطيبة . إذ أن الخبيث يعلن عن حالة اللاتوافق أو اللانسجام بين ظاهر الانسان وباطنه . بينما تعلن الطيبة عن وجود التوافق أو الانسجام بينهما . وبما أن العنصر الذي يتقوم على أساسه الايمان في قلب المتدين هو الثبات ، ومؤداه حصول تطابق الظاهر مع الباطن أو الشكل مع

(١) ميشم البحراني ، البرهان ، ٣م ، ص ٢٤٣ ، وفي الكافي ج ١ ، ص ٣٧٠ ، مع تغيير طفيف .

(٢) الطبرسي ، مجمع البيان ، ٢م ، ٣١٥ .

(٣) آل عمران : ١٨٩ .

توطئة إلى علائم الظهور (١٠٥)

المضمون ، فإن الاخلال بهذه الموازنة يؤدي إلى زعزعة القلب الذي هو محل ثبات الايمان . ولذلك فقد وصف القرآن الكريم المنافقين بأنهم ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾^(١) ليدل بذلك الوصف على حالة عدم التوافق بين افعالهم وبين ما تنطوي عليه سرائرهم .

ان الفتنة تقوم برفع الأقنعة عن الوجوه ، فيكشف النقاب عن جوهر التدين . عندئذ يمتاز الخبيث عن الطيب بصورة طوعية ، ويُشخص كلُّ منهما بعلامة جليّة . والتمحيص الذي هو نتاج الفتنة لا يتجلى دوره فقط في فرز الناس طبقاً لدعوى الايمان ، إلى مؤمنين ومنافقين ، وانما ينسحب تأثيره كذلك على كلِّ من الفريقين . فبالنسبة للمنافقين تعمل الفتنة على إخراج آفات الكفر الغائبة في أصل شجرة النفاق النابتة في قلوبهم ، تدريجياً أو دفعةً واحدة ، بحسب نوع الامتحان الذي تحمله الفتنة ، فينكشف مستورهم امام أعينهم ، تأكيداً للحجة عليهم وتحذيراً للمؤمنين من شرهم . أما بالنسبة للمؤمنين فإن الفتنة تكون بمثابة الوقود الذي يزيد من أوار النار ، فتخلص منهم الشوائب العارضة ، وتتساقط منهم أوزار المعاصي الطارئة ، حتى يشرق النور الإلهي في وجوداتهم ، فيترقون في مدارج الكمال ومراتب القرب من الله تعالى وعليه فإن الثمرة التي يقطفها المؤمن من سلة التمحيص هي رفع الدرجة وسمو المرتبة في الدنيا والآخرة . ونصيب المنافق من سوط التمحيص هو حطّ الدرّكة والسقوط في الهاوية في الدنيا والآخرة .

وقد يعتقد البعض وجود مفارقة بتلاوته لقوله تعالى ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ وهي إنّ الفتنة ليس من شأنها التمييز بين ظالم وبين مظلوم ، من حيث عموم الاصابة أو شمول التأثير ؛ فالأمر بالاتقاء عام لا يختص بفريق دون آخر ، فما معنى أن يُحذّر الناس من فتنة لا بد أن تقع ولا محيص عنها ؟ ألا يستبطن ذلك تناقضاً ؟ أقول : لو كانت اللام في قوله تعالى : ((لا تصيبن)) نافية كانت مثل تلك المفارقة واردة ، غير أنها ناهية

(١٠٦) الفتن والتمحيص

وليست نافية . ومعنى ذلك أن الآية الكريمة يجب ان تفهم هكذا : إتقوا فتنة تختص بالظالمين منكم . واحذروا من ارتكاب الظلم حتى لا تصيبكم .
إلا أن الآية في مورد الظالمين مطلقة ، فهي لا تشير الى أنواع محددة من الظلم . وبما أن الانسان قلما يسلم من ممارسة السلوك الظالم في حياته ، لأنه كما قال الله تعالى ﴿ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(١) فإن كل واحد من المؤمنين - إلا من عصم الله - لا بد واقع تحت تأثير الفتن ، وإن تفاوتت شدة الاصابة بها تبعاً لنوع الظلم أو حجمه . ولقد أجاد المتنبى حين قال :
والظلم من شيم النفوس وإن تجدد

ذا عفة فلعللة لا يظلم

ويفهم من بعض الأخبار الواردة عن النبي وآله (صلوات الله عليهم) أن فتن آخر الزمان تكون أعظم خطراً ، وأشد نكايَةً ووطأةً ، من فتن أوله . وليس هنالك - في الواقع - أي نوع من الملازمة بين تقدم الزمان وبين تعاضم الفتن ، إلا أنه ، في غياب سلطة الدين ، عن المجتمع المتدين ، ينحسر الدور الذي ينجزه في تربية أبنائه كلما مرت الأجيال . وذلك الإنحسار يؤيده العقل وتشهد به التجربة . فالدور التربوي ، الذي هو عماد بناء المجتمع الصالح ، إذ أسند إلى رعاية الدين ، أفرز نهضة حضارية متوازنة ؛ معنوية ومادية . أما إذا سُحب البساط من تحت أقدام رعاية الدين وقادته ، فلنا أن نتوقع طغيان المادة ، ومعنى ذلك ان مرور الزمان وتقدمه صوب المستقبل سوف يصحبه انحطاط شامل على كافة المستويات الإنسانية ، ولا سيما الروحية التي جوهرها هو الدين . فالزمان كلما تقدّم ، ظهرت أنماط جديدة من الظلم ، وتبعاً لذلك يتزايد عدد الظالمين ، وتتفاقم اوضاع المؤمنين الممتحنين .

ولذلك ، فإن الإساليب التي ينبغي ان تُقاوم بها الفتن في اول الزمان لا تناسب آخره ، ومعنى ذلك ، انه يجب ان نعرف كيفية التصدي للفتنة بمعرفة ظروف عصرها .

توطئة إلى علائم الظهور (١٠٧)

ان مقاومة الفتن حال وقوعها إنما يكون بإزالة بواعثها ودواعيها ، وليست تلك إلا جزئيات الظلم التي يمارسها العباد ضد غاية خلقهم في هذه النشأة . قال (تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾^(١) . فالعبودية تعني : التسليم لله تعالى ، و أمثال أوامره ، والإنزجار عند نواهيه . بينما الظلم يعني : التمرد عليه ، وعصيان أمره . العبودية تدعوا إلى : التواضع ، وخفض الجناح ، والتضحية ، . . . الخ . بينما يدعو الظلم إلى : الطغيان ، والاستكبار ، والخيانة ، وتصعير الخد ، . . . الخ . ان الفتن التي هي من أعظم أسباب الفساد في الأرض إذا أخذت بمنظار آثارها وعواقبها تكون مسببة عن الخروج على مقتضى الفطرة الانسانية (الداعية إلى إعظام المنعم بالخيرات على العباد) وذلك من خلال مخالفة تعاليم دينه ، وجحود نعمه . قال تعالى : ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾^(٢) . وعليه فإن مقاومة الفتن إنما تكون بإصلاح ما فسد ، وتغيير الاوضاع التي قادت إلى ذلك الفساد ، فإذا تمت السيطرة على أسباب الظلم ، عم العدل ، وارتفعت راية الدين . إلا أن ذلك غير متاح في أجواء شيوع القيم المادية ، وصراع المصالح الضيقة المستفادة من شريعة الغاب ، وسيادة الطغاة والمتجبرين . . . ومع جو الغربة والاستضعاف الذي يعزل الممتحنين المحصنين من المؤمنين عن تلك الاجواء الساخنة ، فإن أفضل ما يجب عمله ضد الفتنة هو إنتهاج ما رسمه آل محمد (و آوات الله عليهم) الذين لم يهملوا مواليتهم فيما مضى ، ومن غير المتوقع منهم أن يهملوا مواليتهم فيما يأتي . . . وها هي أحاديثهم المنتشرة في الآفاق تشهد بمدى عمق الرابطة وصدق الولاء بينهم وبين شيعتهم ومحبيهم . وما علينا إلا أن نستنطق التاريخ لنتيقن من جليلة الأمر ، فقد ظهر الصبح لذي عينين .

روي عن رسول الله (ص) قوله : ((ستكون بعدي فتن لا خلاص منها ، فيها هرب وحراب . ثم بعدها فتن أشد منها ، كلما إنقضت تمادت ،

(١) الذاريات : ٥٦ .

(٢) الروم : ٤١ .

حتى لا يبقى بيتٌ من العرب إلا ودخلته ، ولا مسلم إلا وصلته ، حتى يخرج رجل من عترتي))^(١) وهذه الرواية تشير الى أنه لا محيص عن وقوع الفتن ، ولا معدي عن تفاقمها كلما مر الزمان . ومن خصائص هذه الفتن التي سوف تحدث هو أنه ليس من شأنها التفرقة بين العربي والأعجمي ، طالما كان كلٌ منهما مسلماً . لأن الفتن - كما أوضحنا هي فتن دين ليس إلا . وعليه فإن المسلمين جميعهم مشمولون بها ، وواقعون تحت مطرقة سندانها . ولذلك وصفت هذه الفتن في حديث لأمير المؤمنين (ع) بالعمياء المشككة ، وهو وصف عجيب ، أما كونها عمياء ، فيدل على عدم تمييزها بين أعراق وجنسيات المسلمين ، وعدم التمييز هذا من مصاديق العمى . . . فهي تخبط خبط عشواء ، كما جاء في بعض عبارات أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) . وأما كونها مشككة ، فلأن ما يصاحبها من أزمات وبلايا ونكبات ، يجعل المرء يشك في كل شيء ، ومن جملة ما يشك به بعض الضروريات . . قال أمير المؤمنين (ع) : ((ان بعدي فتناً مظلمة ، عمياء ، مشككة ، لا يبقى فيها إلا النومة . قيل : وما النومة ؟ قال : الذي لا يدري الناس ما في نفسه))^(٢) ، وقد أوضح أمير المؤمنين (ع) ما هو المقصود بالنومة بصورة أكثر تفصيلاً ، في إحدى خطبه حيث قال : ((. . . وذلك زمان لا ينجو فيه إلا كل مؤمن نومة : إن شهد لم يعرف ، وإن غاب لم يفتقد ، اولئك مصابيح الهدى وأعلام السرى . . أيها الناس ، إن الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم ، ولم يعدكم من أن يبتليكم ؛ وقد قال جل من قائل : ﴿إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين﴾^(٣)))^(٤) يشير أمير المؤمنين (ع) بأن النومة لديه من الحصانة الذاتية ما يكفي ليجعله في منجى ومأمن من الهلاك . وأشد أنواع الهلاك هو هلاك الدين ، لأنه يستتبع الشقاء

(١) لطف الله الصافي ، منتخب الأثر ، ص ٤٤٢ .

(٢) الصدوق ، معاني الأخبار ، ص ١٦٦ .

(٣) المؤمنون : ٣٠ .

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٣ ، ص ١٥٢ .

توطئة إلى علائم الظهور (١٠٩)

الأبدي . فحينما يعرف أمير المؤمنين (ع) النوم بأنه ((هو الذي لا يدري الناس ما في نفسه)) فهو يكشف أخص ما يتصف به المؤمن في ذلك الزمان ، وكأنه يوصينا بالاتصاف بصفته تلك . ومن أجل أن تتضح الصورة أكثر فلنبين معنى النوم في اللغة والاصطلاح . أن النوم : هو الكثير النوم إلى درجة الخمول . . معلوم أن الخمول يستلزم قلة السعي الحركة : وهذا يؤدي إلى العزلة والانفصال عن الواقع . وعندما يكون الواقع سليما ، فإن هذا الانفصال لا يعدو أن يكون انفصالا مرضيا يستدعي علاجا لصاحبه . إلا أن الواقع في آخر الزمان ليس كذلك أي أنه واقع منحرف ، ولذا فإن الانفصال عنه هو عين الصواب ، ففيه طريق النجاة من الهلكة .

إن الفتن العمياء المشككة تصول في ذلك الواقع وتجول ، وتيار موجهها يعلو ويطول ، فيجرف كل مقتحم له إلى الهاوية . . أنه واقع مرير على كل مؤمن ، إذ لا يمكن الخلاص من لأوائه ، إلا عن طريق التناوم والخمول . . أنه شبيه بواقع أهل الكهف قبل أن يخلدوا إلى الراحة في فجوة كهفهم ، . . وليست تلك ، دعوة إلى الكسل ، والفراغ عن مسرح الحياة ، بل هي دعوة إلى حفظ الدين بتوخي الحذر ، وأخذ الحيطة ضد الخطر . . فلا ينبغي في ظل أوضاع الضلال والانحراف أن نرج أنفسنا في دهاليز الضياع . . . إنها دعوة إلى الاغتراب ولا سفر ، والى الاحتجاب ولا قناع ، والى التغافل ولا حمق . ولذلك وصف أمير المؤمنين المؤمنين النومة بأنه ((إن شهد لم يعرف ، وإن غاب لم يفتقد)) . وهو وصف دقيق يكشف فيه عن غربة المؤمن في ذلك الزمان ، حتى وإن كان بين أهله ومعارفه . . . روي عن رسول الله (ص) أنه قال : ((أن الإسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء))^(١) أي أن الإسلام سوف لا تطبق تعاليمه وأحكامه في ذلك الزمان ، فتكون الكلمة لمن دان بمخالفته وجاهر بمعصيته .

(١) المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ، ص ١١٩ .

أساليب المقاومة للفتن

وهكذا ، فإن الاسلوب المباشر (العنيف) لمقاومة الفتن ، وهو ما أشار إليه السيد الطباطبائي (رضوان الله عليه) - كما نقلنا عنه أنفا - إنما يصح في أوضاع خاصة ، وهو لا يجدي نفعا في اجتثاث أصول الفتن في عصرنا هذا ، بل على العكس تماما ، فإن نتائج هذا الاسلوب من المقاومة سوف تكون وخيمة ، ان الاسلوب الذي لا يأخذ بعين الاعتبار ، العوامل المؤثرة في المقاومة ، فإنه غير مقبول . لأنه يفضي إلى الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة . فإما أن تعلن الحرب على أسباب الانحراف ، أخذا بنظر الاعتبار الامكانيات المتاحة بحيث لا يؤدي ذلك إلى ضياع الجهود سدى بما يضعف جانب الدين ، وإما أن تترث ، وتعتمد أسلوبا آخر أكثر ملائمة وأجدي نفعا .

أن التصرف إزاء الفتن ، ينبغي أن يلاحظ فيه ما يتطلبه العصر من وسائل في التأثير . بما يكفل القضاء على أسباب الانحراف . فلا جرم أن وسائل التأثير لدى جيل معين قد لا تكون مؤثرة لدى جيل آخر . وعليه فالمقاومة - عموما - تكون على نحوين :

النحو الأول : المواجهة المباشرة ، والاصطدام السافر ، مع مقومات الفتنة سواء أسبابها أو نتائجها . وهذا النحو يعد بمثابة الثورة المنظمة على الواقع المرتبك الفاسد . وينبغي أن يتوفر لمن يكون في مقام التصدي الفاعل من أسباب القوة والمنعة ، ما يجعله قادرا على كبح جماح الفتنة ، والحد من انتشار خطرنا . ومن دون تحصيل تلك الاسباب ، فإن الهزيمة ستكون هي النتيجة الأكيدة . حيث أن دولاب الفتنة الرهيب ، ومسحليها الثقيل سوف يرض كل مقتحم لها ، وبارز فيها . . . قال امير المؤمنين وقائد الغر المحجلين (صلوات الله عليه) : ((ولا تقتحموا ما استقبلتم من نور نار الفتنة . وأميطوا عن سننها ، واخلوا قصد السبيل لها . فقد لعمرى يهلك في لهبها المؤمن ، ويسلم فيها غير المسلم))^(١) .

(١) نهج اللاغة ، الخطبة : ١٨٧ ، ص ٢٨٧ .

توطئة إلى علائم الظهور..... (١١١)

وقوله (ع) : ((أميطوا عن سننها)) معناه : تنحوا عن طريقها ، وميلوا عن وجهة سيرها . وهي إشارة إلى :

النحو الثاني : (من المقاومة) : وهو الانسحاب من خطة المواجهة المباشر ، إلى نخط العمل الغير مباشر ، المعبر عنه بالتقية . والذي قوامه المحافظة على الايمان واستعمال اسلوب المناورة بمعناه الايجابي . والعمل في هذا الخط يعني الترقب والاستعداد للتضحية حين تلوح في الأفق أمارات الفرج . . ولذلك فإن مفتاح هذا العمل هو الصبر والصمود . وهذا الاسلوب من المقاومة أنسب بهذا العصر ، بل - على الأرجح - فهو مناسب لكل عصر ، يستعلي فيه الباطل على الحق ، والدنيا على الدين . ولذلك ، نجد أئمتنا (ع) قد انتهجوا أسلوب التقية في مقاومة طغاة عصرهم ، ليس من باب الحفاظ على أنفسهم ، بل من باب أن الدين يقتضي ذلك .

ونصرة الإسلام تفتقر إلى إصطناع أسلحة معنوية للدفاع عن مبادئه وقيمه بعد أن إنتشرت بكمال الدين وتمام النعمة ، كما افتقرت قديما إلى إصطناع الاسلحة المادية لفرض تعاليمه وإعزاز دولته بالقوة بعد أن توفرت له أسباب المنعة بنصرة المؤمنين من المهاجرين والأنصار . أن الأئمة (ع) قد نازلوا الفتن بأسلحة ، مثل : العلم ونشره ، وتهذيب الاخلاق وتحصيل مكارمها ، وترغيب أهل الملل الأخرى بالاسلام عبر استخدام وسائل يفهمها أولئك الناس . . ولذلك : فقد اعتمدوا اسلوبا نموذجيا في الخطاب وكيفية خاصة في توصيله ، بمقتضى قانون التفاهم العرفي (مخاطبة الناس على قدر عقولهم) وتحت شعار : (التقية درع المؤمن ، والتقية ديني ودين آبائي ، ولا ايمان لمن لا تقية له . . .) . وهذا الاسلوب - بحد ذاته - ليس إجراء سلبي ، كما يظن بعض الحاقدين ، فإن عقيدة الترقب وانتظار الفرج ، تستدعي تحصيل القدرة ، عبر تنمية القابليات ، حين تسنح الفرصة بذلك ؛ أي : استثمار كافة العوامل التي تساعد على نصرة الدين ، وإن كانت جزئية ، وإن كانت رمزية . وهذا ما سوف نتحدث عنه بشيء من التفصيل في فصل الاعداد والتعبئة ، إن شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

غربال التمحيص

والآن ، لا بد أن نفهم ما هو التمحيص؟ وما هي العناصر المرتبطة به؟ . . إن التمحيص - كما أشرنا آنفاً - هو سنة من سنن الله تبارك وتعالى في خلقه . ومعنى كون التمحيص سنة ، أنه جار طبقاً للشمول والغائية . وتؤلف العناصر المرتبطة بهذه السنة حين اجتماعها أداةً لتنفيذ ذلك الشمول حتى يبلغ التمحيص غايته .

وهذا الكلام في غاية الإجمال ، وعلينا الآن أن نقوم بتفصيله : أن هنالك ، في معطيات وإفرازات السلوك الانساني مجموعة من العناصر الذاتية والموضوعية ، تشكّل ، بارتباطها مع بعضها البعض أداةً لتمييز الخبيث من الطيب . وهذه الأداة تدعى في أخبار أهل البيت (ع) : الغربال . والكلمة هنا مستعملة في نفس المعنى الحقيقي الموضوع لها ، أي معناها المطابقي . إذ أن لفظ غربال يدل على الآلة المستعملة في نخل الدقيق وتصفية الحبوب ، بل مطلق النخل والتصفية .

أن غربال التمحيص يبدأ العمل به حينما تهجم الفتن . ومن أجل أن نفهم العملية التمحيصية باستخدام غربال التمحيص ، يستحسن أن نعرف

مقومات الفتنة التي تساهم في تنفيذ تلك العملية . فإن هنالك زاويتين للنظر في التمحيص ؛ فإذا تم النظر عبر زاوية الفتن ، يتبين أن التمحيص هو إحدى نتائجها ، أي معلولاً لها . وإذا تم النظر من زاوية التخطيط الإلهي ، فإنها إحدى السنن الإلهية الجارية في خلق الله تعالى ، تستهدف فيما تستهدف إنجاح ذلك التخطيط بحصول وعد الله جلّ شأنه لعباده الصالحين بخلافة الأرض . قال : عزّ اسمه : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾^(١) .

أن الفتن تتقوم بفئتين من العناصر :

الفئة الأولى : الاغترار بالمال والجاه والنساء والذرية ، والاستخفاف بالأوامر الإلهية والإرشادات المعصومية ، وكل ذلك يجمعه : حبُّ الدنيا واتباع الهوى ، ويلزم عن ذلك ، ارتكاب المعاصي والذنوب ، والإفساد في الأرض .

الفئة الثانية : غلبة الظالمين الطغاة ، وسيادة أهل البدع والضلالات ، واشتداد شوكة أهل الفسوق . . . ويلزم عن كل ذلك ، إنكسار شوكة أهل الحق والدين ، ولجوء المؤمنين إلى الانفصال عن الواقع ، بعد أن تفشّت فيه القيم المسوخة ، وعمت المبادئ المجتثة .

أن هاتين المجموعتين أو الفئتين تتربتان ترتب المعلول على علته : فلولا أن الناس قد انحرفوا عن الله تعالى وسنة رسوله الكريم وآله المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) لما ابتلوا بسيادة الطغاة والمتجبرين . أن في القلوب قلّة إخلاص وخفايا نفاق وإن دقت ؛ إلا أن الله عالم السر وأخفى قادر - عبر سنة التمحيص - أن يخرجها ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيى عن بينة ﴿ وأنّ الله ليس بظلام للعبيد ﴾^(٢) .

أن الله عنده الغربال المناسب لتصفية شوائب الشرك الخفي ، فهو لا

(١) الأنبياء : ١٠٥ .

(٢) الأنفال : ٥١ .

توطئة إلى علائم الظهور (١١٥)

يرضى من العلم إلا ما كان خالصاً نقياً . أن التمحيص هو الغربال الإلهي المناسب لفرز الخبيث عن الطيب .

روى أبو بصير (ره) قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي (ع) يقول : ((والله لتمحصن ، والله! لتغربلن ، كما يغربل الزؤان من القمح))^(١) ومعنى الزؤان في اللغة : هو ما ينبت غالباً بين الحنطة . وحبُّ الزؤان يشبه حب الحنطة إلا أنه أصغر حجماً . ولذلك ، فإن الحنطة إذا غربلت ، سقط هذا الزؤان من الغربال . وفي رواية أخرى عن إبراهيم بن هليل قال : ((قلتُ لأبي الحسن (الكاظم) جعلتُ فداك مات أبي على هذا الامر ، وقد بلغت من السنين ما قد ترى . فقال : يا أبا إسحاق إنك تعجل . فقلتُ : إي والله أعجل! ومالي لا أعجل ، ولقد بلغت من السنين ما قد ترى؟ فقال : أما والله يا أبا إسحاق ما يكون ذلك حتى تميزوا وتمحصوا ، وحتى لا يبقى منكم إلا الأقل ، ثم صفر^(٢) كفه))^(٣) .

وهكذا ، فإن التمحيص أمرٌ لا بد منه ، والغربة مستمرة . فكلما طال أمد الغيبة أو امتد زمانها ، كلما وقع من الغربال الزؤان من الناس . حتى تسقط آخر طائفة منهم ، ويحصل الامتياز التام بين الخبيث والطيب . وحينئذ فإن عملية الغربة سوف تكتمل ؛ فالمبقي في غربال التمحيص صفة لا تتأثر بأمد الغربة ولا بكيفيتها . ولكن هنالك بعض الروايات لا تتحدث عن مجرد غربة للناس ، أي مجرد فرز بين نوعين منهم ، بل أكثر من ذلك ، تتحدث - كما سوف ننقل - عن انقلاب إحدى الطائفتين إلى الأخرى! فالقمح يتحول بعد طول الغربة وشدتها إلى زؤان ، أي يكون في حجمه . روي عن جابر الجعفي قال : ((قلتُ لأبي جعفر (ع) : متى يكون فرجكم؟ فقال : هيهات هيهات! لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا (يقولها ثلاثاً) حتى يذهب

(١) النعماني ، الغيبة ، ص ١١٠ ط حجر .

(٢) صفر : خلا ، وصفر كفه : يشير إلى أنه أبدى كفه خالية ليدل بها على نتيجة التمحيص .

(٣) النعماني ، الغيبة ، ص ١١٠ .

الكدر ويبقى الصفو) (١) لا بد إذن من حدوث الفرز الشامل في نهاية المطاف .
وهناك مثال يضربه لنا أمير المؤمنين (ع) يشير به إلى تلك العملية
التمحيصية الخاصة التي تحيل القمح إلى زؤان ، ليكون بميسوره النفاذ عبر
غربال التمحيص . روى الأصبع بن نباتة عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : ((كونوا
كالنحل في الطير . ليس شيء من الطير إلا وهو يستضعفها . ولو علمت
الطير ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك . خالطوا الناس بالسنتكم
وأبدانكم ، وزايلوهم بقلوبكم واعمالكم . فوالذي نفسي بيده ! ما ترون ما
تحبون حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض ، وحتى يسمي بعضكم بعضاً
كذابين . وحتى لا يبقى منكم إلا كالكحل في العين والملح في الطعام .
وسأضرب لكم مثلاً : وهو مثل رجل كان له طعام فنقاه وطيبه ، ثم أدخله بيتاً
وتركه فيه ما شاء الله . ثم عاد إليه ، فإذا هو قد أصابه السوس ، فأخرجه
ونقاه وطيبه ، ثم أعاده إلى البيت فتركه ما شاء الله . ثم عاد إليه ، فإذا هو قد
أصابته طائفة من السوس . فأخرجه ونقاه وطيبه وأعاده . ولم يزل كذلك ،
حتى بقيت منه رزمة كرزمة الاندر : لا يضره السوس شيئاً . وكذلك أنتم
تميزن حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا يضرها الفتنة شيئاً)) (٢) .

إن تأثير الفتن في تعاضم مستمر ، بيد ان دورها يتضائل تدريجياً . وليس
في هذا الكلام أي تناقض ، ولكنه احدى مفارقات الفتن . أما كون الفتن من
جهة التأثير في تعاضم ، فإنه يعود إلى إنضياف عناصر جديدة لم تكن موجودة
من قبل . فإن غربال التمحيص يتناول في كل عصر من العصور جيلاً من
الناس ويخضعهم لنوع معين من الغربة يتناسب مع ظروف وملابسات العصر
الذي هم فيه . ان هنالك علاقة طردية بين اشتداد الفعل المؤثر للفتن وبين تقدم
الزمن ، لأن العناصر الجديدة المضافة تكون بمثابة الوقود لنار الفتنة . وعليه فإن
كمية الزؤان الساقطة من غربال التمحيص سوف تكون اكبر كلما تقدم بنا قطار

(١) المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ، ص ١٢٢ .

(٢) النعماني ، الغيبة ، ص ١١٣ .

توطئة إلى علائم الظهور (١١٧)

الدهر . وهذا يعني ان عدد المتبقين في الغربال سيكون قليلاً . وفيما يتعلق بهؤلاء القلة المتبقية ، وبعد ان يخضعوا بدورهم إلى عملية الغربلة الخاصة ، فإنهم يكتسبون بعداً معنوياً جديداً يجعلهم بمنأى عن السقوط . اما الساقطين فإنهم يصبحون خارج سنة التمحيص . ولذلك قلنا ان دور الفتن يتضائل ، أي بالنسبة لهؤلاء وأولئك . فالمؤمنين المحصنين يكتسبون اليقين والاحلاص ، وترشحون لشرف صحبة الإمام المهدي (ع) فيكونون من أنصاره . والساقطين يصبحون بدورهم عناصراً من الفتنة ، فالفتن بالسنة إليهم منعدمة الدور ، كالنار فإنها بالنسبة إلى نفسها منعدمة الدور ، لأن دورها هو الإحراق للخارج عنها مما يكون قابلاً للاشتعال . وبذلك تنحل المفارقة .

إن المراحل التي تمرّ بها علميات الغربلة عبر العصور لا بد ان تتمخض عن جماعة من المؤمنين ، هم الحصيلة التاريخية التي تفرزها جولة الباطل في الدنيا ليكونوا قادة دولة الحق إلى قيام الساعة . إنهم الشرط الأخير الذي لم يتحقق بعد عن شرائط الظهور ، يقول السيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره) : ((ولا يمكن تأخره - أي الإمام المهدي (ع) - عن تمامية الشرائط ، ولا عن تمامية العلامات . فإن تخلف الظهور عن شرائطه يلزم منه تخلف المعلول عن العلة ، أو بعبارة أدق ، يلزم عدم قيام المهدي (ع) بوظيفته الاسلامية ، وحاشاه . . . وفشل التخطيط الإلهي في نهاية المطاف (. . .) فإن معنى الشرط في الفلسفة ما كان له بالنتيجة علاقة عليّة ، وسببية لزومية ، بحيث يستحيل وجوده بدونه))^(١)

(١) محمد صادق الصدر ، تاريخ الغيبة الكبرى ، ص ٤٧٠ .

الفصل الثالث

الأعداد والتعبئة

إن تهيئة المؤمنين واعدادهم نفسياً ومادياً ، في عصر تطيح الفتن فيه بأخر معاقل القيم العليا ، والمثل السامية ؛ لهو من أهم المهام التي ألقيت على عاتق النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) . إن حرصهم الشديد على توفير كافة مقومات النصر على أعداء الدين ، من تهيئة الأرضية الصالحة لإثبات ذلك النموذج المتميز من الرجال المحصنين وحتى قيام دولة الحق على يد الامام المهدي (عجل الله فرجه) يتجلى بوضوح لمن إطلع على موروثهم من الاحاديث المخبرة بالمغيبات المستقبلية . إن الظفر بالجولة الأخيرة في صراح الحق مع الباطل يستدعي قلع كل الاشواك والحشائش الضارة التي زرعتها دعاة الفتنة عن أرضية النموذج المحصن من الرجال . وذلك من خلال تقديم الدعم المعنوي للأجيال ، من أجل الحؤول دون غلبة عوامل الضعف والوهن على النفوس المؤمنة ، فلا بد من بث روح الثقة فيها ، وتقويتها عبر تقوية عرى الايمان لديها . تلك مهمة جسيمة أداها أهل البيت (ع) أحسن الأداء .

لقد كان التركيز في تلك الاحاديث على ضرورة التمسك بمنهج أهل البيت (ع) لكي يكون الدرع الحصينة ضد الانحراف الذي تبعث إليه الفتن

المقبلة . روي عن الامام الصادق (ع) أنه قال : ((طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة إمامنا ، فلم يزغ قلبه بعد الهداية))^(١) وقد ركز الأئمة (ع) كثيراً على مسألة المواجهة الغير مباشرة ، أو الانسحاب من خط الصدام إلى خط الترقب والصبر - وهذا ما تمت الإشارة إليه آنفاً - والسبب في ذلك ، هو انهم (ع) يبتغون من وراء ذلك الحفاظ على أنفس مواليتهم ومحبيهم حتى لا يظلمها البلاء بفعل الفتن التي تهب في عصور طغيان الحكام الجبابرة . ولذلك يوجه الامام الصادق هذا الإنذار إلى شيعته ، وإن كان المخاطب به أحدهم ، قال (سلام الله عليه) : ((يا سدير إلتزم بيتك وكن حلساً^(٢) من أحلاسه ، واسكن ما سكن الليل والنهار ، فإذا بلغك أن السفيناني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك))^(٣) إن الدعوة إلى لزوم البيت والسكون ، لا ينبغي أن تثير حفيظة بعض من يدعي الروح الثورية ، فليست الدعوة - في الواقع - دعوة إلى الكسل والخمول والرضا بالاستضعاف ، أو هي تحريض على تبني المواقف السلبية التي قوامها الإنهزامية ، أو هي تأييد لواقع الركون إلى الذل والمسكنة للعدو . كلا . بل هي دعوة قوامها المحافظة على أنفس شئء في الوجود : النفس المؤمنة ، كيلا يتسرب إليها - عن طريق وباء الفتن الجارفة - ما يشيها أو يفسدها . فإنه قل من يسلم في ظل تلك الاجواء المشحونة بالزيف والضلالة من الانحراف ، إلا من أخلص لله تعالى وتمسك بحبل أهل البيت (ع) . ثم أن الاختلاط بدهماء الناس وهجمهم ، هؤلاء الساقطين من غربال الفتن ، ربما ورث المؤمن طبعاً ليس فيه ، فإن من شأن الطباع أن تسرق من بعضها البعض . ومن هنا جاءت التوصية بأهمية لزوم البيت .

كما أن تلك الدعوة ليست دعوة إلى الرهبانية ، وإن لبست شعار

(١) الصدوق ، معاني الأخبار ، ص ١١٢ .

(٢) جلس البيت : كساء يُبسط تحت مَرَّ الثياب ، وفي الحديث : كن حلس بيتك . أي ، لا تبرح . (مختار الصحاح) .

(٣) الكليني ، الروضة من الكافي ، ص ٢٢٠ .

الزهد ، أمّا إنها لا تدل على صواب منهج أهل الاعتكاف والترهب من المسلمين ، كالتصوفة الذين غيروا مفاهيم الإسلام عن العبادة وكيفيةها ، فابتدعوا فيه طرق البراهمة والبوذيين والصابئة ، وأصبح المسلم من وجهة نظرهم مجرد عضو في حلقة الذكر ، لا يحسن إلا أن يدير وجهه ذات اليمين وذات الشمال ويقول : حي حي ، على أنغام الدف والطنبور .

لقد حرص آل محمد (ع) على نشر بذور الايمان في أرض مستقبل الزمان ، ومن ثم تقويتها بسماد الإرشاد ، لكي تنمو ثم تزهر ، وأخيراً تينع وتثمر . ويتجلى هذا المعنى بأبهى صورته في حديث الباقر (ع) مع أبي الجارود ، حين قال له : أوصني ، فقال : ((أوصيك بتقوى الله ، وأن تلزم بيتك ، ولا تقعد في دهماء هؤلاء الناس . وإياك والخوارج منّا ، فإنهم ليسوا على شيء ولا إلى شيء . واعلم أن لبني أمية ملكاً لا تستطيع الناس أن تردعه ، وإن لأهل الحق دولة إذا جاءت ولأهل الله لمن يشاء منا أهل البيت ، من أدركها منكم كان عندنا في السنام الأعلى . وإن قبضه الله قبل ذلك خار له . واعلم أنه لا تقوم عصابة تدفع ضيماً أو تعزّ ديناً إلا صرعتهم البلية . حتى تقوم عصابة شهدوا بدرّاً مع رسول الله (ص) لا يُورى قتلهم ولا يرفع صريعهم ولا يداوى جريحهم . قلتُ : من هم؟ قال : الملائكة))^(١) يبين هذا الحديث الرائع - الذي لا يصدر إلا عن إمام معصوم - بأبلغ عبارة حرمة الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة . فإن النصر لا يزال حليف أهل الباطل حتى قيام دولة الحق ، ولا قيام لها حتى يظهر المهدي (ع) .

أن هناك أحاديث تصف من يبادر بمقارعة أهل الباطل قبل خروج الامام المهدي (ع) بأنه يتسبب في مكروه الأئمة (ع) . وهذا معلوم ، فإن أهل البيت (ع) لا يريدون لشيعتهم الهلاك ، فما دامت للباطل راية تخفق فإن الحق منخدول وأهله مغلوبين كلما أرادوا التمرد والثورة على الطغاة والمتجبرين . روي

(١) النعماني ، الغيبة ، ص ١٠٣ .

عن الصادق (ع) أنه قال : ((ما خرج منّا أهل البيت ، إلى قيام قائمنا ، أحدٌ ليدفع ظلماً أو ينعش حقاً إلاّ اصطلمته البلية ، وكان قيامه زيادة في مكروهنّا وشيعتنا))^(١) وقد يتسائل البعض ، لماذا؟ أليس ذلك إجحافاً بأهل الحق؟ . . . والجواب : إنّ الباطل عبر التاريخ له ملك مؤجل لا بد أن يستوفيه ، ولا يصح من الناحية المنطقية ولا التاريخية أن ينقطع هذا الملك إلاّ حين أجله . وهذا هو ما أراده أمير المؤمنين (ع) حين قال : ((مزاولة قلع الجبال أيسر من مزاولة ملك مؤجل . واستعينوا بالله واصبروا ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين . لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا ، ولا يطولن عليكم الأمر فتفسوا قلوبكم))^(٢) .

إنتظار الفرج والصبر

إن مسألة الترقب وانتظار الفرج من أبرز مقومات النجاح في التمحيص ومن أعظم مستلزمات النصر . إنها فلسفة متكاملة وعميقة على مستوى النظرية والتطبيق معاً . ولا يفهم هذه الفلسفة حق فهمها إلاّ المؤمنون السائرون على نهج أهل البيت (ع) في سلوكهم وفي فكرهم على حد سواء . أما من أتخذ لحياته سبيلاً غير سبيل المؤمنين ، فإنه غير قادر على استيعاب مفردات هذه الفلسفة ، ولذلك فإنه يتصورها بهيئة تبريرات وهمية لتعويض الفشل ، أو بشكل آراء ناجمة عن واقع الاستضعاف الذي يعيشه المؤمنون في ظل سلطة المنافقين والظالمين . وعليه ، فإن المنطق الذي سوف نتكلم به لا يكون مفهوماً لديه ، وهو من هذه الجهة أشبه ما يكون بالمصاب بداء الكلب حيث يرى الماء دماً وقيحاً . إسمعوا ما يقوله الامام السجاد (ع) في وصف المنتظرين للفرج ، فقد روى أبو خالد الكابلي عن علي بن الحسين (ع) أنه قال : ((تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله (ص) والأئمة من بعده . يا أبا خالد : ان أهل

(١) نفس المصدر ، ص ١٠٤ .

(٢) الصدوق ، الخصال ، ج ٢ ص ٢٢ .

زمان غيبته القائلون بإمامته ، المنتظرون لظهوره ، أفضل أهل كل زمان ، لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله (ص) بالسيف . اولئك المخلصون حقاً ، وشيعتنا صدقاً ، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهرّاً) (١) .

إن فلسفة إنتظار الفرج في شقها العملي تدعو إلى الصبر والتحمل والصمود عند البلاء والشدائد ، وفي شقها النظري تدعوا إلى إحياء أمر آل محمد (ع) وتوعية المجتمع بعمق الفكر الذي تحويه كلماتهم (ع) ، وذلك من خلال استيعاب المضامين الفلسفية العالية التي تشير إليها .

روي عن الامام الرضا (ع) أنه قال : ((ما أحسن الصبر وانتظار الفرج . أما سمعت قول الله تعالى : ﴿وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (٣) فعليكم بالصبر ، فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس ، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم)) (٤) . وروي عن الصادق (ع) قال : ((قال رسول الله (ص) : سيأتي على الناس زمان لا يُنال فيه الملك إلا بالقتل والتجبر ، ولا الغنى إلا بالغصب والبخل ، ولا المحبة إلا باستخراج الدين واتباع الهوى . فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة ، وصبر على الذل وهو يقدر على العز ، أتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن صدق بي)) (٥) وهكذا ، فإن الصبر في آخر الزمان هو الركن الوثيق الذي يساعد على اجتياز

(١) المجلسي ، بحار الانوار ، ج٥٢ ، ص١٢٢ .

(٢) هود : ٩٣ .

(٣) الاعراف : ٧١ / يونس : ٢٠ ، ١٠٢ .

(٤) المجلسي ، بحار الانوار ، ص١٢٩ .

(٥) الكليني ، أصول الكافي ، ج٢ ، ص .

الفتن والامتحانات الإلهية ، وهو الذخيرة التي يجب أن يُعدّها المؤمن الذي يريد أن يكون محصاً .

أما إحياء أمر آل محمد (صلوات الله عليهم) فيكون عبر البحث والتنقيب في موروثهم الثقافي الكبير الذي خلفوه للبشرية ، ومن ثم نشر علومهم بين العلوم ليتبين للناس مبلغ حكمتهم وعظمتهم . فإن كل علم وكل معرفة كانت أو تكون إنما هي من بركات كلماتهم ، تلك الخزائن التي لا تنفذ ولن تنفذ ، لأنها متصلة بالسماء . وسوف نتحدث بشيء من التفصيل عن علوم آل محمد في باب التنبؤ بالمستقبل إن شاء الله . أما الآن فسوف نذكر هذا الحديث المروي عن الامام الرضا (ع) ، قال : ((رحم الله عبداً أحيا أمرنا ، فقيل له : وكيف يحيي أمركم؟ قال : يتعلم علومنا ويعلمها الناس . فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا))^(١) .

أما ماهية هذا الترقب أو انتظار الفرج ، فقد أشار إليه الامام الباقر (ع) في تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾^(٢) فقال (ع) : ((اصبروا على أداء الفرائض ، وصابروا على أذية عدوكم ، وربطوا إمامكم المهدي))^(٣) . نعم ، ذلك هو الفكر المؤسس على انتظار الفرج ، فليس انتظار الفرج ما درج الحاقدون على نسبه للشيعة من حكايات وخرافات ، وعلى رأسها حكاية (السرداب) التي تشبّت بها بعض الأشخاص من ذوي النوايا السيئة والقلوب المريضة ، ليغمزوا بها شيعة أهل البيت (ع) ، وليس في فكر الشيعة ولا في عقائدهم مما نسبه أولئك المغرضون إليهم . فقد ذكر ابن حجر الهيثمي في صواعقه المحرقة ما يلي : ((لقد صاروا - أي الشيعة - بذلك وبوقوفهم على ذلك السرداب ، وصياحهم بأن يخرج إليهم ضحكة لأولي

(١) الصدوق ، عيون أخبار الرضا ، ج ١ ، ص ٣٠٧ ، والخصال ، ج ١ ، ص ٢٢ : بنفس المضمون .

(٢) آل عمران : ٢٠٠ .

(٣) النعماني ، الغيبة ، ص .

الألباب ولقد أحسن القائل :
ما أن للسرداب أن يلد السذي
فعلى عقولكم العفاء فإنكم
ولقد أجاد السيد محسن الأمين (ره) في رده على تلك الخرافة التي لا
أساس لها من الصحة ، بل هي محض افتراء ، بقوله نظماً :
فيا للأعاجيب التي من عجيبها
لنا نسبوا شيئاً ولسنا نقول له
بأن غاب في السرداب صاحب رجعة
ويخرج منه حين يأذن ربّه
ابنوا لنا من قال منا بهذه؟
والأفأنتم ظالمون لنا بما
مقالة إخوان لنا لهم قدر
وعابوا بما لم يجز مناله ذكر
وأمسى مقيماً فيه ما بقي الدهر
بذلك لا يعرفه خوف ولا دعر
وهل ظم هذا القول في كتبنا سطر؟
نقلتم . وإن تأبوا فموعدنا الحشر^(٢)

كما أن انتظار الفرج ليس مجرد تفلسف فارغ يخطر ببال الغارقين في
أوهام التفوق العرقي والإثني ، كما هو عند جماعة من الألمان ، ذلك التفلسف
الذي بلغ إلى درجة الهذيان عند نتيشه في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) حيث
أصبح هذا الرجل غارقاً بخيالات السوبرمان وأوهام أخلاق الأقوياء ، وكأنه يدعو
إلى شريعة جديدة ما أنزل الله بها من سلطان! إن انتظار الفرج عندنا هو ترقب
واقعي يستند إلى وعد أصدق القائلين تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٣) ، إن هذا الترقب
بعيد عن الوهم والخيال بعد السماء عن الأرض ، إنه يقين ، بل أعلى درجاته .
وينبغي ، هنا ، أن نلفت الأنظار إلى أمر هام ، وحساس بعض الشيء ،
يتعلق بعدم امتثال البعض لرغبة آل محمد (ع) بخصوص مسألة لزوم البيت

(١) ابن حجر الهيتمي ، الصواعق المحرقة ، ص ١٦٨ ، ط مصر ١٩٦٥ .

(٢) محسن الأمين ، البرهان على وجود صاحب الزمان ، ص ١٠٤ .

(٣) القصص : ٥ .

وعدم الخروج ، وهما من لوازم إنتظار الفرج . فنحن لا نعلم بالضبط ما هو الدليل الذي جعل هؤلاء ، ولا سيما وأن فيهم رجال علم وفكر ، لا يلتزمون بوصية الأئمة (ع) في هذه المسألة . فلعلهم قد توصلوا إلى شيء لم يُتَحَ لنا أن نطلع عليه حتى الآن! إلا أننا نظن ظناً راجحاً بأن الحماسة الثورية قد أخذت هؤلاء مأخذاً بعيداً عن الحق . ولا نعتقد أنهم لم يطلعوا على ما اطلعنا عليه من روايات إنتظار الفرج حتى نلتمس لهم العذر في تلك المخالفة ، وأقصى ما يمكن أن نفسر به عدم الامتثال هو أنهم قد لجأوا الى توجيه تلك الروايات توجيهاً يتناسب مع آرائهم المسبقة عن الثورة وما يحيط باصطلاحها من هالة .

كما أننا لسنا في وضع يبيح لنا أن نعقد معهم مناظرة حول هذا الموضوع ، إذ أن النقاش الموضوعي يتعذر معهم ، فإنك حينما تروم مناقشتهم طبقاً لمنطق العقل أو الوعي يسارعون إلى الالتفاف حول المبادئ التي يقرها العقلاء ويتكلمون في أطار الأغراض المفعمة بالعاطفة ، من بطولة ورجولة ونهضة . . . الخ . أي أنهم يسارعون إلى تحويل النقاش الموضوعي إلى خطبة حماسية . ويعرضون في مقابل الحجج العلمية حججاً من قبيل : أليس لنا في الحسين (ع) أسوة حسنة؟ ألا يفترض بنا ونحن نعيش أجواء الطغيان أن نستفيد من المعاني والقيم البطولية التي جاء الحسين (ع) ليقولها في وجه الظلم والطاغوت؟ . . . وهكذا تتحول المناظرة العلمية إلى حماسة تحركها العواطف . ويخرج هؤلاء - في نهاية المطاف - منتصرين ، لأنهم أبطال ، ومن ذوي الدماء الثورية الحسينية ، بينما يخرج أهل البراهين والحجج العلمية ناكسوا رؤوسهم ، وتصبح براهينهم ذرائع تعكس حالة الجبن وصغر النفس ، واللاثورية!

في مثل هذا الجو ، لا يمكن أن نصل إلى نتيجة ، ولذلك فمن المستحسن أن نقول ما عندنا من الحق سواء سمع هؤلاء أم لم يسمعوا ، والله الموفق للصواب . لقد شدد أئمة أهل البيت (ع) على ضرورة حفظ أنفس المؤمنة وادخار طاقاتها إلى زمان خروجه (ع) ، ولا عبرة باعتراض بعضهم : أنه كيف لنا أن نضمن بقاء حياتنا إلى عصر ظهوره (عجل الله فرجه) ، فإن أمير المؤمنين

علائم الظهور (١٢٧)

(ع) يرد على هذا الاعتراض بهذا الجواب : ((المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله))^(١) ، وكذلك ما قاله الصادق حفيده (ع) : ((من مات منكم على هذا الأمر منتظراً ، كان كمن كان في قسواط القائم))^(٢) . إذ إن أفضل أعمال المؤمن في ظل سيادة الظالمين وشيوع أجواء الفتن المضلة هو إنتظار الفرج ، ولذا ورد عن رسول الله (ص) قوله : ((أفضل أعمال أمتي إنتظار الفرج من الله تعالى))^(٣) .

لم يرد عن آل محمد (صلوات الله عليهم) ولا حديث واحد يدعو فيه الناس إلى تشكيل الأحزاب وتنظيم الحركات . ولم يصلنا عنهم أن تكليف المؤمن في ظروف الطغيان والعصيان والفتن هو الانخراط في سلك تلك الاحزاب والحركات . وإن جاءت روايات تحت على الجهاد ، فليس لنا بالضرورة أن نستنتج منها هذا النمط من الجهاد . إن كثيراً من الدماء قد أهرقت تحت ظل رايات قوم ادعوا لأنفسهم مقاماً لم يدعه الأئمة (ع) أيام الأمويين والعباسيين حينما سنحت الفرصة للتغيير من وجهة نظر قادة الحركات والثورات يومئذ ، من أمثال أبي مسلم الخراساني وأبي سلمة الخلال وأضرابهم ، بل سارع الأئمة (صلوات الله عليهم) إلى البراءة من اولئك القادة ، وترك الشهادة لكتب التاريخ ، فمن شاء فليرجع إليها .

ماذا سوف يقول أصحاب الحركات وأرباب الرايات ، في عصرنا الحاضر ، في تبرير هذه الرواية الصادرة عن الامام الباقر (ع) : ((كل راية ترفع قبل قيام القائم (ع) صاحبها طاغوت))^(٤) ، هل سوف يحاولون التشكيك في سندها ، أم أنهم سيسعون إلى توجيهها : بأن المقصود بأصحاب الرايات التي

(١) الصدوق إكمال الدين ، ص ٦٠٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٠٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٠٤ .

(٤) النعماني ، الغيبة ، ص ٥٧ .

ترفع قبل قيام المهدي (ع) هم خصوص من يدعي الامامة أو النيابة الخاصة ، أو أن المقصود بهم هم حكام الدول من رؤساء وملوك وقادة في عالمنا المعاصر ، وأنهم - بطبيعة الحال - غير مشمولين . اين يوجد مثل هذا التخصيص ، وأين القرائن التي تشير إليه؟ أليست لفظة (كل) تفيد الاستغراق أم أنها بمنطقهم لا تدل على ذلك؟

أن الراية الوحيدة التي يجب الانضواء تحت ظلها هي راية الامام المهدي (عجل الله فرجه) ومن قال غير هذا فعلياً أن نحثوا التراب في فيه . روي عن عبيد بن كرب قال : ((سمعتُ علياً (ع) يقول : إن لنا أهل البيت راية من تقدمها مرق ، ومن تأخر عنها زهق ، ومن تبعها لحق))^(١) وقد صرحت هذه الرواية بمروق كل صاحب راية عن دين الله ، قبل قيام القائم (عجل الله فرجه) .

وعليه ؛ فلا يجوز أن يستعجل المؤمنون فيبادروا بالانخراط في أي تنظيم سياسي ، أو حركة ثورية مهما كان نوعها ، إلا تلك الحركات التي تقف على ثغور بلاد المسلمين تجاهد عن أرض الإسلام السليبية ، فإن اهداف هذه الحركات هو الدفاع عن مقدسات الإسلام ضد أعداءه الخارجيين ، أما الحركات الأخرى فإنها تسعى - على ما يبدو - للرئاسة والسلطة ليس غير . ان هذه الأحزاب والتنظيمات السياسية وما يرتبط بها من أجنحة عسكرية لا تراعي رغبة آل محمد (ع) بصيانة أرواح المؤمنين وادخارهم لنصرة الامام الحجة (ع) ، بل أن أصحابها يتصرفون وكأنهم لم يطلعوا على شيء من وصايا أهل البيت بخصوص سلوك المؤمنين وتكليفهم في عصر الغيبة الكبرى ، وهذا عجيب في حق حملة الفكر والعلم منهم!

ورد في بعض الأحاديث وصف المؤمنين الذين يبادرون قبل الأوان في الخروج بأنهم محاضير ، روى أبو المرهف قال : قال أبو عبد الله (ع) : ((هلكت المحاضير . قلتُ : وما المحاضير؟ قال : المستعجلون . ونجا المقربون ، وثبت

(١) الصدوق ، إكمال الدين ، ص ٦١٤ .

الحصن على أوتادها . كونوا أحلاس بيوتكم ، فإن الفتنة على من أثارها .
وإنهم لا يريدونكم بجائحة (١) إلا أتاهم الله بشاغل)) (٢) وهكذا يؤكد
الأئمة في أكثر من مناسبة على ضرورة لزوم البيت والتوقي من شر الفتن ، وعدم
استباق الأمور بالخروج على الطغاة والمتجبرين ، فذلك بمثابة إثارة للفتنة ، لأن
هؤلاء الطغاة لا يتورعون عن إفناء المؤمنين وإبادتهم إذا تعرضت كراسيهم لخطر
الاهتزاز . والشواهد التاريخية التي عاشها كثير من الناس في كافة بقاع الدنيا
ثبت ذلك . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

روى المفضل بن عمر ، قال : كنتُ عند أبي عبد الله (ع) في مجلسه
ومعني غيري ، فقال لنا : ((اياكم والتنويه! والله ليغيبن سبتاً من دهركم ،
وليحملن ، حتى يقال : مات أو هلك ، بأي واد سلك . ولتفيضن عليه أعين
المؤمنين . وليكفأن كتكفى السفينة في أمواج البحر . ولترفعن إثننا عشرة راية
مشتبهة لا يعرف أي من أي . قال المفضل : فبكيتُ . فقال : ما يبكيك؟ قلتُ :
جعلتُ فداك ، كيف لا أبكي وأنت تقول : (ترفع إثننا عشرة راية مشتبهة لا
يعرف أي من أي)؟ قال : فنظر إلى كوة في البيت التي تطلع فيها الشمس في
مجلسه ، فقال : أهذه الشمس مضيئة؟! قلتُ : نعم . فقال : والله لأمرنا
أضوء منها)) (٣) . يدل هذا الحديث على جملة من النقاط تلخص كل ما
ذكرناه حتى الآن .

❁ النقطة الأولى : تساؤل عدد المؤمنين في آخر الزمان بالقياس إلى
المنافقين والمنحرفين .

❁ النقطة الثانية : طول غيبة المهدي (ع) ، حتى أن الناس يرتابون
بواقعة بقاءه على قيد الحياة .

❁ النقطة الثالثة : إصابة الناس بالحيرة والشك من جراء واقع الفتن

(١) الجائحة : الشدة .

(٢) النعماني ، الغيبة ، ص ١٠٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٧٦ ، وإكمال الدين للصدوق ، ص ٣٣٦ .

المير وما يترتب عليه من غلبة أهل الباطل على أهل الحق .
❁ النقطة الرابعة : ظهور حركات وتيارات سياسية أو فكرية أو ثورية ،
تؤدي إلى إشتباه الناس ، لأن تلك التيارات والحركات تعمل على رفع رايات
شبيهة براية أهل الحق . أي أنها ترفع بأسمهم أو نيابة عنهم ، أو تنادي
بشعارات ظاهرها الإصلاح الديني وباطنها الدنيا وسلطانها .
❁ النقطة الخامسة : إن أمر آل محمد (ع) من الوضوح بمكان بحيث لا
يمكن أن يخفى على المسلمین لهم والسائرين على نهجهم . وهو عند هؤلاء أضوء
من الشمس في رابعة النهار .

❁ النقطة السادسة : تشير الرواية إلى ضرورة التثبيت ، وأخذ الحيطه في
عصر هبوب رياح الشك والحيرة آخر الزمان ، قبيل ظهور المهدي (ع) ، وذلك
بالتمسك بإرشادات أهل البيت (ع) كيما ينجلي الشك ويسفر اليقين . والشك
لا يصيب إلا المقتحمين في تيار الفتن!

التَّرقُّبُ إِسْتِنْفَارٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

إن اشتداد شوكة أهل الباطل واستعلائهم على أهل الحق ، لا يمكن أن
تكافح بوسائل تقليدية ، أي من خلال صدام الإمكانيات الغير متكافئة والتي
يتفوق بها الطرف الآخر المسك بمقدرات القوة والسلطة . وليت المسألة مسألة
قوة وحسب ، بل الأدهى وجود ذلك السيل الهادر من القيم المادية بكل ما تحمله
من أسباب الإغواء والتفسخ فإنه يحول دون تحقيق التكافؤ على صعيد العامل
النفسي كذلك . روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : ((يأتي على الناس زمانٌ
لا يقرب فيه إلا الماحل ، ولا يظرف فيه إلا الفاجر ، ولا يضعف فيه إلا
المنصف . يعدون الصدقة غرماً ، وصلة الارحام مناً والعبادة استطالة على
الناس . فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء وإمارة الصبيان وتدبير
الخصيان)) (١) .

وعليه ، فإن أفضل السُّبُل لمقاومة الواقع المُسَخِّح والوضع المنتكس ، هو امتثال رغبة أهل البيت (ع) في الترقب وانتظار الفرج . والترقب ليس مجرد إنتظار فحسب ، لأن المترقب لحدوث أمر معين يكون بالضرورة مستعداً لكيفية استقباله ، وإلا لم يكن مترقباً له . ومن هنا ، ندرك بأن الترقب المقترن بالفرج على يد الامام (ع) المهدي ما هو إلا نوع من النفير .

إن تهيئة كافة التدابير اللازمة للمشاركة في حصول التغيير الكبير والثورة العظمى بقيادة الامام المهدي (عجل الله فرجه) هو أحد أولويات هذا الترقب ، بل أحد لوازمه الخاصة ، وذلك لكون كل ترقب ما خلا هذا الترقب لا يرتقي إلى درجة قطعية ما يرمي إليه . ولهذا السبب ، فإن الاستعداد الذي تشير إليه كلمة (ترقب) - عندنا - ينبغي أن يتم في طور الاستنفار . وليس بالضرورة أن نشارك نحن بأنفسنا في أحداث هذا التغيير الكبير ، أي أن نكون معاصرين له ، إذ أن النفير يبقى نافذ المفعول في كل جيل ، وبقائه نافذ المفعول أمر منوط بوعي الجيل السابق . وبعبارة أدق : فإن هنالك مسؤولية يُعبر عنها أحياناً بـ (التكليف في زمن الغيبة) تقع على عاتق الآباء لكي يبلغوها إلى أبنائهم . ولا يجب أن تفهم تلك المسؤولية على نحو التراجع الشرعي التعبدي ، بل هي مسؤولية أخرى تاريخية تتضمن عهداً وبيعة متجددة (ما دامت الغيبة) في عنق المأموم للامام المنتظر (عجل الله فرجه) . إذن ، ومن منطلق إحياء أمر آل محمد (صلوات الله عليهم) ينبغي أن نقوم بتوريث ما بلغ إلينا من قيم وتوصيات ، كما نقوم بتوريث ما ملَّكناه من أموال السلف أبنائنا ، وإن كنا لا نؤاخذ إذا لم نترك مالا للتوريث ، في حال فقرنا ، فإن المؤاخذة ستكون شديدة إن نحن أغفلنا توريث مبادئنا وقيمنا المعنوية ، لا سيما إذا كان المؤاخذ لنا هم أئمتنا وسادتنا المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) .

إن الايمان والخلق القويم وروح التسامح في سبيل العقيدة والوعي الرسالي والحس المهدي . . . كل هذه المعنويات قابلة للتوريث ويجب أن تُورث . وإلا فإن الدين سوف يُستل من وجدان المؤمن كاستلال الشعرة من

العجين . وهذا هو ما تسعى إليه دول الطاغوت في مخططاتها الكبرى ضد
غايات وأهداف ديننا العظيم . وهم إن نجحوا - نوعاً ما - في تمويه المسلمين
بخصوص بعض الاخلاقيات ، حينما أفرغوها من المحتوى الديني باستعمال
بعض المفاهيم الخلابه الهلامية ، من قبيل : الحرية ، الوطنية ، القومية ، حقوق
المرأة ، الاشتراكية . . . الخ فإنهم سوف لا ينجحون في تمرير خدعهم إلى ما لا
نهاية ، فالله تعالى يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون . إذ ما دام مصباح الحق
وسراج الايمان يزهر في صدور من شعارهم (بالشارات الحسين) فإن الخيبة
والخسران هو المصير الطبيعي لأعداء الدين وأولياء الشيطان . اولئك الأقرام
القابعين في دهاليز التخريب والعمالة ، ودوائر الجاسوسية والسفالة .

إن لنا في الحسين (ع) أسوة حسنة ، ولكن طبقاً لما يريد لنا أهل البيت
أن نفهمها ، لا كما يريد السلطويون . . . اولئك الضاربون بتوصيات الأئمة (ع)
عرض الجدرا ، وليس لهم - في الحقيقة - من هدف سوى السلطة ، فيتسترون
بالدين ومبادئ ثورة الحسين ، من أجل تحقيق هدفهم ، وبلوغ مآربهم .

ليس هنالك أي وجه للمقارنة بين ظروف وملابسات عصر الحسين (ع)
وظروف وملابسات عصرنا ، وإن كان الطاغوت هو هو ؛ لأنه أولاً : لا مجال
للمقايسة بين اية شخصية قيادية (باستثناء الامام المهدي طبعاً) وبين شخصية
الامام الحسين (ع) ، ولو كان هنالك أثر لنوع من هذه المقارنة ، لأشار إليها أبنائه
البررة المعصومون (ع) ، ولما حث أهل البيت (ع) على السكون وعدم الخروج
حتى ظهور القائم (عجل الله فرجه) . ولأنه ثانياً : لا مجال هناك للربط بين
عمق وشمولية الغايات التي كان يرمي إلى تحقيقها أبو عبد الله (ع) وبين
الاهداف والشعارات المعلنة من قبل بغاة السلطان . . أهداف الحسين (ع) مبدئية
وغاياته تأريخية ، فلولاها لما قامت للدين قائمة ، ولا ارتفعت له من كلمة ،
بينما أهداف السلطويين المتجاهرين بالثورة الحسينية مزيفة ومرحلية . . كما أن
فيها خطورة على الدين من جهة معارضتها لوصايا أهل البيت (ع) لأجيال الغيبة بلزم
البيت وعدم الحركة ، حفاظاً على أرواح شيعتهم التي هي أئمن شيء عندهم .

إن أول من طبق منهج لزم البيت وعدم الحركة في ظل الطاغوت بعد ثورة الحسين (ع) هم الأئمة (ع) أنفسهم . ورغم كل ذلك الحرص على أهمية السكون ، فقد اشار الأئمة (ع) إلى ضرورة الاستعداد المادي فضلاً عن المعنوي في عصر الغيبة الكبرى ، من أجل نصرة الامام المهدي (ع) حين يطلب من شيعته المحصنين ذلك . روى أبو بكر الحضرمي قال : ((دخلت أنا وإبان علي أبي عبد الله (ع) ، وذلك حين ظهرت الرايات السود بخراسان ، فقلنا ما ترى؟ فقال : إجلسوا في بيوتكم ، فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلاح))^(١)

وهكذا يجب على المؤمنين المنتظرين للفرج و المترقبين لظهور إمامهم المنتظر (عجل الله فرجه) أن يعدوا العدة عن طريق التدريب وإجادة فنون القتال ، لكي تتظافر كافة عوامل تحقيق النصر المعنوية والمادية . ان النصرات لا محالة ، والله تعالى لا يقطع مدده لعباده المؤمنين ، حتى إذا ما جاء أمر الله ، وشاء الله لدينه أن يعلو ويعم أرجاء الأرض ، تجسدت قوة الايمان وتجلت على الابدان . روى عبد الملك بن أعين ، قال : ((قمت من عند أبي جعفر (ع) فاعتمدت على يدي ، فبكيت ، فقال مالك؟ فقلت : كنت أرجوا أن أدرك هذا الأمر وبني قوة! فقال : أما ترضون أن عدوكم يقتل بعضهم بعضاً وأنتم آمنون في بيوتكم؟ إنه لو قد كان ذلك أعطي الرجل منكم قوة أربعين رجلاً ، وجعلت قلوبكم كزبر الحديد ، لو قذف بها الجبال لقلعتها ، وكنتم قوام الأرض وخزانها)) (٢) وروي عن الباقر (ع) ايضاً أنه قال : ((إذا وقع أمرنا وجاء مهدينا ، كان الرجل من شيعتنا أجراً من ليث ، وأمضى من سنان ، يطأ

(١) النعماني ، الغيبة ، ص ١٠٥ .

(٢) الكليني ، روضة الكافي ، ج ٨ ، ص ٢٤٥ .

(١٣٤) الإعداد والتعبئة

عدونا برجليه ، ويضربه بكفيه ، وذلك عند نزول رحمة الله وفرجه على
العباد))^(١) وروي عن السجاد (ع) ، قال : ((إذا قام القائم أذهب الله عن كل
مؤمن العاهة ورد قوته))^(٢)

(١) الصفار ، بصائر الدرجات ، ص ٤٤ ، ومختصر البصائر ص ١٢٣ .

(٢) النعماني ، الغيبة ، ب ٢١ ج ٢

الباب الثالث

التنبؤ بالمستقبل

الفصل الأول : حقيقة التنبؤ

الفصل الثاني : الإخبار بالمغيبات نقلاً عن

الأصول

الفصل الثالث : التنبؤ الملحمي عند

أمير المؤمنين (ع)

الفصل الاول

حقيقة التنبؤ

يوجد فارق اساسي ومائزٌ حاسم بين إخبار النبي واهل بيته (صلوات الله عليهم) بالمغيبات وبين ما درج الناس على تسميته التنبؤ بالمستقبل . ويستحسن قبل الكشف عن هذا الفارق الهام بين هذين الضربين من التقارير المتعلقة بقضايا الغيب ان نقدم هذه المقدمة :

لقد ثبت مؤخراً في حقل ما يسمى (بعلم الباراسايكولوجي) ان الانسان يتمتع بمواهب عقلية أو نفسانية ذات تأثير فائق وعجيب . ويوجد قسم من تلك المواهب لدى قلة من الناس بهيئة نشطة ، بينما تكون خاملة أو كامنة عند الغالبية العظمى من الناس . وفي سبيل التوصل إلى تفعيل هذه الملكات واخراجها من طور الخمول أو الكمون إلى طور الفاعلية والنشاط ، لا بد من ممارسة نمط من التمرينات الخاصة التي يدورُ جلُّها حول رحي السيطرة على الذات من خلال إجراء التركيز والإسترخاء ونحوهما . ومن بين أهم تلك الملكات الفائقة : ملكة التنبؤ بالمستقبل .

إن المتخصصين في هذا الحقل قد لاحظوا بخصوص ظاهرة^(١) التنبؤ بالمستقبل ان المتنبئ يقوم بالقاء ما عنده من انباء المستقبل بعفوية ، حيث تنهال المعلومات على لسانه دون ان يكون ملتفتاً إلى السبب المؤدي إلى حدوث التنبؤ ولا إلى أوقات حدوثه . إلا ان عرضه للتنبؤات يكون مصحوباً - على الأغلب - بظن راجح بأن مصدر المعلومات أمر ما وراء العقل وأسمى منه بحيث يمكن ان يوثق به . ولشدة اهتمام الناس بهذه الظاهرة فقد أقدم بعض المهوبين بملكة التنبؤ على تسجيل تنبؤاتهم - منذ أقدم العصور - في كتب مستقلة . ومن أبرز تلك الكتب كتاب إي جنك المنسوب إلى الملك الصيني فيوهس ، ويرجع بعض الباحثين تاريخ تأليف هذا الكتاب إلى حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد . ومن الكتب المعبرة أيضاً في هذا المجال ، الكتاب المشهور بـ تنبؤات نوستراداموس وهو مؤلف نظماً على هيئة رباعيات . ونوستراداموس هذا راهب يهودي فرنسي الاصل ولد عام ١٥٠٣ ميلادية ، وحظيت نبوءاته بشهرة منقطعة النظير ، ولقد تحدث هو عن كتابه في رسالة بعث بها إلى ابنه ((يشير فيها إلى انه قبل الاتصال الفلكي الكبير الذي سيحدث عام ١٩٩٩ ، ستحدث ثورات عديدة وكوارث ، وستقبل الامطار ، وتكثر النار ، وستهبط من السماء الصواريخ والنيران بحيث لا ينجو إلا القليل من الناس . ويشير نوستراداموس إلى انه قبل ان يتحقق العدل الإلهي (. . .) ستحدث حروب تعد اكثر عنفاً من أي حروب شهدها العالم ، وأنه بعد تحقيق هذه التنبؤات ينزل عقاب الله في الناس))^(٢) . وهذه التنبؤات فيها شيء من الصحة إلا فيما يتعلق بالتوقيت الذي ذكره فإنه كذب ، راجع ما كتبناه في فصل التوقيت .

ويشير نوستراداموس في غير واحدة من تنبؤاته إلى ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وإن كان يتجنب التصريح بهويته . وتوجد في تنبؤاته كذلك

(١) وصفنا التنبؤ بالمستقبل بـ (الظاهرة) لأنه معروف بين الناس منذ القدم ، ولا سيما في الاوساط الثقافية . بينما باقي الملكات الفائقة (كالتخاطر ، والتأثير في الاشياء من بعد وغيرها) لا ترقى إلى درجة الظاهرة ، فهي غالباً ، موصوفة بالشعوذة ومعدودة من السحر .

(٢) سامي أحمد ، الباراسايكولوجي (ظواهر وتفسيرات) ، ص ٨٤ .

توطئة إلى علائم الظهور (١٣٩)

اشارات واضحة إلى : الرجعة وقيام الاموات من قبورهم ، وعالمي البرزخ
والآخرة ولسنا الآن بصدد تبين ذلك^(١) ..

ولعل من أشهر الظواهر التنبؤية في القرن العشرين والتي طرحت مسألة
(التنبؤ بالمستقبل) على بساط البحث الجاد والمعمق هي حادثة الباخرة
تايتانيك . وهذه الحادثة تعود بجذورها إلى عام ١٨٩٨ حينما ألف الكاتب
الأمريكي (مورغن روبرتسن) كتاباً ذكر فيه قصة باخرة تدعى تايتانيك كانت
تحمل سبعين ألف طن ، وتنقل ثلاثة آلاف مسافر . وهي مجهزة بثلاثة محركات
وطولها ثمانمائة قدم ، وقد غرقت هذه الباخرة في احدى ليالي نيسان بعدما
اصطدمت وسط الضباب بقالب ضخيم من الجليد . هذه القصة التي ذكرها
الكاتب الامريكي عام ١٨٩٨ لا ليتنبأ أساساً ، وانما ذكرها كقصة عادية . فهو
إذن من الناحية المنطقية لم يكن يبني فكرة نبؤة معينة ، وإنما خياله رسم
نفردات هذه القصة كما شاء وكما تصور . ولكن لنرى ما حدث فعلاً في هذا
الصدد : ففي عام ١٩١٢ غرقت سفينة تسمى (تايتانيك) فيها جميع الاوصاف
التي ذكرها الكاتب الامريكي بالقصة وبالارقام المحددة نفسها ، وبنفس التفصيل
الذي حدثت به عملية الغرق ، وبنفس الأسباب^(٢) .

إن هذا الخبر لو صح لدل على ان التنبؤ يحدث أحياناً من دون قصد حيث
يكون المتنبئ غافلاً عن المحتوى الحدثي الذي يربط النبؤة بالواقع وهي حالة نادرة . .
وأنا شخصياً أشك في الزعم القائل ان (روبرتسن) كان غير قاصد للتنبؤ ، فهذا بعيد ،
لأن أغلب ما بأيدينا من تحقيقات وبحوث تثبت ان ظاهرة التنبؤ يصاحبها على الدوام
شعور من الشخص الذي يكون في حالة تنبؤ بأنه بصدد ذكر حوادث سوف تقع ،
كما انه يعتقد حال الظاهرة أو بعدها انه يستقي معلومات تنبؤاته من مصدر علوي .
وليس الحال الذي كان عليه سوى نوع من الإتصال بذلك المصدر .

(١) إنظر كتاب ((تنبؤات نوستراداموس)) الذي اصدرته الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان / بغداد
ضمن (سلسلة كتاب الباراسايكولوجي) العدد : ٥ .

(٢) سامي أحمد ، الباراسايكولوجي (ظواهر وتفسيرات) ، ص ١٠٣ .

ولحسن الطالع ، فقد حفظ لنا التاريخ بعض الاعمال التنبؤية الممتازة ، تلك الاعمال التي تتصف بالإضافة إلى روعتها ، بالدقة والاستقصاء . ومن أجل ان تتضح لنا معالم ظاهرة التنبؤ بصورة جلية ، فنتمكن بذلك من تبين ما هو الفارق بينها وبين أخبار المغيبات كما وردت عن اهل العصمة (ع) فاننا سنقوم بذكر احدى النبؤات التاريخية التي جاءت على لسان احد الاشخاص الذين عاشوا زمان الفترة (قبل الإسلام) ، وهي نبؤة سَطِيح^(١) . وهي من حيث الشكل والمضمون لا تكاد تختلف عن بعض خطب الملاحم المروية عن امير المؤمنين (ع)^(٢) . وتحتوي هذه النبؤة على بعض التفاصيل الهامة ، ومنها الاشارة إلى مصدر التنبؤ بالمستقبل ، ولذلك فهي تستحق ان تكون مشروعاً لدراسة موسعة عن هذه الظاهرة ، ونحن بدورنا سوف نسعى - قدر الامكان - ان نسلط الضوء على بعض النقاط التي نراها جديرة بالاهتمام ، ونرجئ التوسع إلى فرصة أخرى ؛ حتى لا نخرج عن حدود هذا البحث ، نسأل الله (عز وجل) التسديد والعون . إنه أفضل مسدد وخير معين .

روي أن ذا يزن الملك ، أرسل إلى سَطِيح لأمر لا شك فيه . فلما قدم عليه اراد أن يجرب علمه قبل حكمه . فخبأ له ديناراً تحت قدميه ، ثم أذن له فدخل . فقال له الملك : ما خبأت لك يا سَطِيح؟ فقال سَطِيح : حلفت بالبيت والحرم ، والحجر الأصم ، والليل إذا أظلم ، والصبح إذا تبسم ، وكل فصيح وأبكم : لقد خبئت لي ديناراً بين النعل والقدم . فقال الملك : من أين علمك يا سَطِيح؟ فقال : من قبل أخ لي جنسي ، ينزل معي إذا نزلت . فقال الملك : أخبرني عما يكون في الدهر . فقال سَطِيح : إذا غارت الأخيار ، وغازت الأشرار ، وكذب بالأقدار ، وحُمِل المال المال بالأوقار ، وخشعت الأبصار لحامل

(١) سَطِيح : هو ربيع بن ربيعة من بني ذئب بن عدي ، وقد بلغ سَطِيح من الكهانة ما لم يبلغه أحد ، وكان يسمى كاهن الكهان ، وكان يخبر بالغيوب والعجائب . (انظر أخبار الزمان للمسعودي ص ٩٣-٩٤ ط مصر ١٣٥٧ هـ) .

(٢) انظر الفصل الثالث من هذا الباب (التنبؤ الملحمي عند أمير المؤمنين (ع)) .

توطئة إلى علائم الظهور (١٤١)

الأوزار . وقطعت الأرحام ، وظهر الطعام لمستحلي الحرام ، في حرمة الإسلام .
واختلفت الكلمة ، وعفرت الذمة ، وقلت الحرمة وذلك منذ طلوع الكوكب ،
الذي يفزع العرب ، وله شبه الذنب ^(١) ، فهناك تقطع الامطار ، ثم تقبل البربر
بالرايات الصفرة ^(٢) ، على البراذين البتر حتى ينزلوا مصر . فيخرج رجل من ولد
صخر ^(٣) ، فيبدل الرايات السود بالحمرة . فيبيح المحرمات ، ويترك النساء بالثدايا
معلقات ، وهو صاحب نهب الكوفة ^(٤) ، قرب بيضاء الساق مكشوفة . قد قتل
زوجها ، وكثر عجزها ، واستحل فرجها . فعندها يظهر ابن النبي المهدي . وذلك
إذا قتل المظلوم بيثرب ^(٥) ، وابن عمه في الحرم ^(٦) ، وظهر الخفي ^(٧) ، فوافق

(١) تعبير دقيق عما يسمى بالذنب ، فهو له شبه ذنب . بينما جاء وصفه في بعض الروايات بالكوكب
الذنب . والاطلاق الأول بحسب الحقيقة ، والأخير بحسب المجاز .

(٢) ربما قصد بهم التتر الذين اجتاحوا البلاد الاسلامية في اوائل القرن السابع الهجري .

(٣) أوصافه تنطبق على يزيد بن معاوية (لعنهما الله) ، وإن كان سياق النبوة يدل على كونه السفياي
الذي سوف يظهر قبيل ظهور الامام المهدي (ع) بأشهر قلائل - كما جاء في الروايات . وهو إحدى
المحتومات الخمس ، كما سوف يأتي . راجع ما ذكره في المقارنة بين يزيد والسفياي (لعنهما الله)
في معركة قرقيسيا في الباب الأخير من الكتاب .

(٤) إشارة إلى حدث استيلاء السفياي على الكوفة - قبيل الظهور - والمجازر التي يرتكبها فيها ، ورد عن
الصادق (ع) : ((كأني بالسفياي قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة ، فنادى مناديه : من جاء
برأس شيعة علي فله ألف درهم ، فيشب الجار على جاره ، ويقول هذا منهم ...)) الحديث ،
راجع غيبة الطوسي ص ٢٧٣ .

(٥) هو محمد بن الحسن الملقب بالنفس الزكية . ورد أن المهدي (ع) يبعثه إلى أهل يثرب فيقتلوه وقتله
إحدى المحتومات الخمس . فقد روي أن ((النفس الزكية : غلام من آل محمد ، اسمه محمد بن
الحسن ، يقتل بلا جرم ولا ذنب فإذا قتلوه لم يبق لهم في السماء عاذر ، ولا في الأرض ناصر))
الحديث . انظر بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٧ .

(٦) هو المهدي (ع) ، يكون - حين قتل النفس الزكية - موجودا بمكة متخفيا .

(٧) الخفي : من أوصاف المهدي (ع) . واستعمال هذا الوصف - هنا - ربما يشير إلى رجحان اطروحة
خفاء الشخص وظهور العنوان . راجع تاريخ الغيبة الكبرى للشهيد الصدر (ره) .

الوسمي^(١) . فعند ذلك يُقبل المشؤوم^(٢) ، بجمعه المظلوم^(٣) ، فيطاهي الروم ، ويقتل القروم^(٤) . فعندها يكسف الكسوف^(٥) ، إذا جاء الزحوف^(٦) ، وصُف الصفوف . ثم يخرج ملك من اليمن ، من صنعاء وعدن ، أبيض كالشطن^(٧) ، إسمه حسين أو حسن^(٨) ، فيذهب بخروجه غمر الفتن . فهناك يظهر مباركاً زكياً^(٩) ، وهادياً ومهدياً ، وسيداً علوياً . فيفرح الناس إذا أتاهم ، عن الله الذي هداهم . فيكشف بنوره الظلماء ، ويظهر به الحق بعد الخفاء . ويفرق الأموال بالسواء^(١٠) . ويغمد السيف فلا يسفك الدماء^(١) . ويعيش الناس في البشر

(١) الوسمي : مطر الربيع . وقوله : فيوافق الوسمي . فيه إشارة إلى أن أوان خروجه (ع) يكون موافقاً لفصل الربيع . روي عن الصادق (ع) : ((يوم النيروز هو ليوم الذي يظهر فيه قائمنا أهل البيت ، وولاة الأمر)) الحديث . انظر البحار ج ٥٢ ، ص ٢٧٦ .

(٢) هو السفيناني (لعنه الله) .

(٣) لعل الأصح هو تعبير (بجمعه المظلوم) . إلا أن يُراد بالمظلوم معنى آخر ، مثل سوق الناس عنوة أو بالاكراه إلى القتال ضد المهدي (ع) .

(٤) يطاهي : يُخالف . والقروم : وجهاء الناس وساداتهم . ورد في الخبر : ((أن السفيناني قبل من بلاد الروم منتصراً)) أنظر غيبة الطوسي ص ٢٧٩ .

(٥) ورد عن الباقر (ع) : ((آيتان تكونان قبل القائم ، لم تكونا منذ هبط آدم (ع) إلى الأرض : تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان ، والقمر آخره)) الحديث . انظر غيبة الطوسي ص ٢٧٠ .

(٦) هو جيش السفيناني الزاحف باتجاه الشرق . انظر فصل : معركة قرقيسيا من هذا الكتاب .

(٧) الشطن : هو الحبل الطويل ، وجمعه اشطان (مختار الصحاح) ، أي أنه طويل القامة .

(٨) هو اليماني : ورد ذكره في عدد من الروايات . وهو إحدى المحتومات الخمس . روي عن الباقر : ((السفيناني والخراساني واليماني ، في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد ، وليس فيها أهدى من راية اليماني ؛ لأنه يدعو الحق))

(٩) هذه الفقرة وما يليها في وصف المهدي (ع) وسيرته .

(١٠) روي عن الباقر (ع) قال : ((إذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسوية ويجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها . فيقول للناس : تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام ، وسفكتم فيه الدماء الحرام ، ورزقتم فيه ما حرم الله تعالى . فيعطي شيئاً لم يعطه أحدٌ كان قبله)) الحديث ، راجع

توطئة إلى علائم الظهور (١٤٣)

والهناء^(٢) . ويغسل بماء عدله عين الدهر من القذى^(٣) ، ويرد الحق على أهل القرى ، ويكثر في الناس الضيافة والقرى . ويرفع بعدله الغواية والعمى . كأنه كان غبارا فانجلى . فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً^(٤) ، والايام حبا . وهو علم للساعة^(٥) بلا إمتراء^(٦) .

إن نبوءة سطيح هذه ترشدنا إلى معرفة المصدر الذي يستقي منه المتنبي معلوماته التنبؤية ، وهي تؤيد الشعور السائد لدى بعض المتنبيين من كون علة التنبؤ إنما تعود إلى قوى توجد فيما وراء العقل . لقد أوضح سطيح للملك حينما سأله الأخير عن مصدر علمه ، بعدما نجح في إختبار الدينار - أنه إنما يستقي معلوماته من عالم الجن ، قال : ((من قبل أخ لي جنبي ينزل معي إذا نزلت)) . إن وصف سطيح لعلاقته بالجن بالأخوة ، يثير تساؤلاً عن ماهية هذه العلاقة

ما رواه الشافعي في (عقد الدرر) ص ٤٠ ب ٣ ، وما أخرجه ابن حماد في كتاب (الفتن) لوحة ٩٨ ب ٩٩ .

(١) إشارة إلى أن المهدي يستعمل السيف في أول خروجه (كناية عن السلاح آنذاك) ، ثم يغمده حينما تستتب له الامور (كناية عن وقف اطلاق النار) . روي عن الصادق (ع) : ((ما تستعجلون بخروج القائم ؟ فوالله ما لباسه إلا الغليظ وما طعامه إلا الشعير الجشب ، وما هو إلا السيف ، والموت تحت ظل السيف)) غيبة الطوسي ، ص ٢٧٧ .

(٢) روي عن أمير المؤمنين (ع) : ((لو قد قام قائمنا ، لأنزلت السماء قطرها ، ولأخرجت الأرض نباتها ، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد ، واصطلحت السباع والبهائم . حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلا على النبات ، وعلى رأسها زنبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه)) الخصال ج ٢ ص ٦٢٦ . وتحف العقول : ص ٦٦ .

(٣) تعبير مجازي رائع عن سيرة الامام المهدي (ع) وعدله . والقذى : ما يسقط في العين (مختار الصحاح) .

(٤) هكذا ورد في الأخبار ايضاً .

(٥) أي أن المهدي (ع) من اشراط الساعة . وهذه العبارة ((علم للساعة)) وردت في القرآن الكريم بخصوص المسيح (ع) . قال تعالى : ﴿وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم﴾ الزخرف : ٦١ .

(٦) رجب البرسي ، مشارف أنوار اليقين ، ص ١٣٠ .

وكيفية حدوثها^(١) . بيد أن ذلك لا يهمنا كثيراً فيما نحن بصدد بحثه في هذا الفصل ، فإن غاية ما نسعى للحصول عليه هو تحديد نوع العلاقة بين المتنبي والقوى الروحية الخارجة عنه ، ويبدو لي أنها علاقة من نوع (القابل - الفاعل) طرفها الأول الملكة الفائقة ، وطرفها الثاني تلك العوالم . أي أنه - طبقاً لما تجمع لدينا من معلومات حول الموضوع - نستطيع أن نستنتج كون الملكة الفائقة ما هي إلا استعداد خاص يوجد عند بعض الأفراد للاتصال بعوالم ما وراء العقل واستلام المعلومات منها إما بطريق الالهام أو بطريق الحدس .

ونظراً لكون الملكة الفائقة - وفق هذه الرؤية - تعتبر صفة من صفات الكمال ، فإنه بالضرورة ، لا يوجد ما يمنع من أن يكون أولياء الله تعالى حاصلين عليها ، إذ هم أكمل الخلق وأشرفهم . وإذا كان سطيح وأضرابه من المتنبيين قادرين على أن يتصلوا بعوالم الجن ، فإن آل محمد (صلوات الله عليهم) قادرون على الاتصال برؤساء الملائكة ، فضلاً عن سائر عوالم ما وراء الطبيعة . وهذا ما تثبته الأخبار ، وتشهد به الأفهام والأنظار . ان جميع العوالم من الغيب والشهادة مسخرة لخدمة أهل البيت (ع) وتتشرف بهذه الخدمة . فقد ورد عن أبي حمزة الثمالي ، قال : دخلت على علي بن الحسين (ع) فاحتبست في الدار ساعة ، ثم دخلت البيت وهو يلتقط شيئاً ، وأدخل يده من وراء الستر ، فناوله من كان في البيت ، فقلت : جعلت فداك هذا الذي اراك تلتقطه أي شيء هو؟ فقال : فضلة من زغب الملائكة نجمة إذا خلونا نجعله سبباً لأولادنا . فقلت : جعلت فداك ، وإنهم ليأتونكم؟ فقال : يا أبا حمزة إنهم ليزاحموننا على

(١) ذكر السيد ابن طاووس ((من طريف ما وجدت (. . .) في سبب كهانة سطيح : أن زوجة عمران بن عامر ، أخي عمرو بن عامر ، طريفة بنت الخير - من أهل رمان - رأت في منامها أن مأرب سيغرق ويخرب بالغرق ، فقالت لزوجها : أن ما رأيت في الغيم أذهب عني النوم ، رايت غيماً يسرق ثم رعد ثم صعق ثم احترق ، فما وقع على شيء من الأرض إلا أحرق . فما بعد هذا إلا الغرق . فأتى عليهم سيل العرم . قال : وطريفة هذه لما حضرته الوفاة تفلت في فم سطيح فانتقلت كهانتها فيه . . .)) انظر : الملاحم والفتن ص ١٨٦ .

توطئة إلى علائم الظهور (١٤٥)

تُكأْتنا))^(١) .وروي عن الكاظم (ع) أنه كان يقول : ((مامن ملك يهبطه الله في أمر ما يهبطه ، إلا بدأ بالامام ، فعرض ذلك عليه . وان مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر))^(٢) .

وروي عن سعد الاسكاف ، قال : ((. . . فقلتُ لأبي جعفر (ع) : جعلتُ فداك أبطاً إذنك عليّ اليوم ، ورأيتُ قوماً خرجوا عليّ معتمين بالعمائم فأنكرتهم ، فقال : أو تدري من اولئك يا سعد؟ قال : قلت : لا . قال : فقال : اولئك إخوانكم من الجنّ يأتوننا فيسألوننا عن حلالهم وحرامهم ومعالم دينهم))^(٣) وروي عنه (ع) قال : ((إن لنا أتباعاً من الجن ، كما أن لنا أتباعاً من الإنس ، فإذا اردنا أمراً بعثناهم))^(٤) .

أما ماهية العلاقة بين الأئمة (سلام الله عليهم) وبين عالمي الجن والملائكة ، فإنها كما أشرنا ، لا يمكن أن تكون من نوع الأخوة حسبما وصف سطيح ، بل هي التسخير والخدمة لهم (ع) . وقد ذكرت بعض الأخبار الكيفية التي يتم من خلالها استلام المعلومات من تلك العوالم ، ويتضح بالمقارنة أنها كيفية خاصة ، غير متاحة لسواهم (ع) . روي عن بريد العجلي أنه قال : ((سألت أبا جعفر (ع) عن الرسول والنبي والمحدث . فقال : الرسول : الذي يأتيه الملائكة ويعانيهم وتبلغه عن الله تعالى . والنبي : الذي يرى في منامه ، فما رأى فهو كما رأى . والمحدث : الذي يسمع كلام الملائكة ، وينقر في أذنيه ، وينكت في قلبه))^(٥) . وهذه الرواية تثبت أن الأئمة وهم محدثون ، يستلمون كلام الملائكة ، عن محمد بن إسماعيل قال : سمعت أبا الحسن (ع)

(١) الكليني : الكافي (الأصول) ، ج ١ ، ص ٣٩٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٩٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٩٥ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٩٥ .

(٥) المفيد ، الاختصاص ، ص ٣٢٨ .

يقول : ((الأئمة علماء صادقون مفهمون مُحدثون))^(١) . وفي ذلك دلالة على مدى سمو نفوسهم ورقبي ملكاتهم . أما ما هو المقصود بالنكت في القلوب والنقر في الأسماع ، فهو يشير - على ما يبدو - إلى نمط عال من الالهام ، وربما لا يكون مجرد علاقة بين قابل وفاعل ، كما كان في الحالة الأولى ، أي أنه نوع من الإدراك أعلى من التنبؤ وهو يختص بأل محمد (ع) .

روي عن أبي بصير ، قال : قلتُ لأبي عبد الله (ع) : ((الذي يسأل الامام وليس عنده فيه شيء ، من أين يعلمه؟ قال : يُنكت في القلب نكتاً أو يُنقر في الأذن نقراً))^(٢) وعن عيسى بن حمزة الثقفى قال : قلتُ لأبي عبد الله (ع) : ((إنا نسألك أحياناً فتسرع في الجواب ، وأحياناً تُطرق ثم تجيبنا . قال : إنه نعم . يُنقر ويُنكت في أذاننا وقلوبنا ، فإذا نكت أو نقر نطقنا ، وإذا أمسك عنا أمسكنا))^(٣) وقد جاء وصف هذا النمط من الادراك الذي يتميزون به ، في قسم من الأخبار بأنه أفضل علمهم (ع) ، فقد روي أن الكاظم (ع) سُئل عن مبلغ علمهم ، فقال : ((مبلغ علمنا ثلاث وجوه : ماض ، وغابر ، وحادث . فأما الماضي فمفسر ، وأما الغابر فمزبور ، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الاسماع ، وهو أفضل علمنا ، ولا نبي بعد نبينا))^(٤) حيث وصف هذا العلم بالحادث ، ومعناه كما جاء في خبر آخر عن أبي بصير ، قال : قلتُ لأبي عبد الله (ع) : أي شيء هو العلم عندكم؟ قال : ((ما يحدث بالليل والنهار ، والأمر بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة))^(٥) . وربما كان الفرق الاساسي بين التنبؤ والعلم الحادث المشار إليه بالنكت في القلوب

(١) الكليني ، الكافي (الأصول) ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٢) محمد حسن الصفار ، بصائر الدرجات ، ص ٣١٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣١٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣١٩ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٢٥ .

توطئة إلى علائم الظهور (١٤٧)

والنقر في الاسماع ، أن المتنبئ ليس من شأنه العلم بما سوف يحدث متى ما شاء ، بينما الإخبار بالمغيبات بواسطة العلم بالحادث من شأن من يُخبر به أنه إن شاء أن يعلم علم . روي عن الصادق (ع) : ((أن الامام إذا شاء أن يعلم علم))^(١) . إن مشيئة المتنبئ ليست فاعلة دائماً في عوالم ما وراء الطبيعة ، فهو مجرد متلق لما يفاض عليه من أنباء ، فيخبر بها على نحو لا يستتبع قطعاً بحدوثها أو حصولها بالفعل . بينما الامام (ع) إذا أخبر بشيء فإنه يحيط به من جميع جهات المعرفة ، أعني من جهة ما يفاض به عليه ، ومن جهة كونه جار على الحتم أم لا ، ومن جهة حدوده في رتبة التقدير ، ومن جهة إمضاءه في رتبة القضاء . فإن كان مورداً لطريان البداء بين ذلك بعبارة تدل عليه ، وإن لم يكن الخبر مورداً لطريان البداء دل عليه بعبارة تفيد الحتم أو الوقوع . . وذلك هو ما أوضحناه في فصل البداء ، وما بعده فراجع .

فإننا عندما نروم النظر إلى الأخبار الواردة عن أهل البيت (ع) عبر نافذة الواقع ، ولا يمكن النظر إليها إلا عبر تلك النافذة ، فإن الذي نرمي إليه هو مشاهدة تأول ما تدل عليه بنحو التحقيق ليس غير . وهذه ميزة أساسية تمتاز بها أخبارهم (ع) لا تتوفر في حالة النظر إلى أخبار المتنبئين . وبما أنا الخبر الذي يُنبئ عن حدث لا بد أن يرتكز في تحققه على عناصر خارجية فحسب ، إلا أن عملية تنظيم تلك العناصر في بنية تاريخية لا يتم إلا في مستوى الخبر القطعي الصادر عن لا يجوز عليه الخطأ مهما كان . فنقطة الضعف لا تكمن في الخبر من حيث هو خبر ، بل فيما يأوول إليه من واقع ، إذ لولا ه لأصبح زيفاً . إن أخبار المعصومين (ع) بالمستقبل أو بغيره تكتسب هي الأخرى معنى العصمة أي حتمية الوقوع أو التحقق . ولذلك فإنه ليس من شأن من يتعامل مع خبر المعصوم (ع) التساؤل عن مدى مطابقته للواقع ما دام ملتفتاً إلى كونه صادراً عن لا يجري على كلامه الخطأ ولا يتطرق إليه الكذب بحال من الأحوال . وانطلاقاً من هذا الفهم يصبح من اللازم التفريق بين إخبار أهل العصمة (ع)

(١) الكليني ، الكافي (الأصول) ، ج ١ ص ٢٥٨ .

بالمغيبات ، ومنها ما سوف يحدث في المستقبل ، وبين ما يُنقل عن المتنبئين من تنبؤات ، حتى لا يظن البعض أن أئمة الهدى (ع) هم مجرد متنبئين هم مجرد متنبئين عاديين أو ممن يتمتع بملكات فائقة يشاركونهم في التمتع بها بعض عامة الناس سواء كانت الألكة ناشطةً أو منشطة .

الفصل الثاني

الإخبار بالمفريات

نقلًا عن الأصول

الفصل الثاني

الإخبار بالمغيبات نقلًا عن الأصول

ما دمنا بصدد ذكر ما يتميز به آل محمد (ع) من قدرات نود أن نشير إلى نقطة تبدو لنا جديرة بالاهتمام ، ألا وهي : أن ما يخبر به الأئمة (صلوات الله عليهم) من حوادث قد لا يكون مستنداً إلى علمهم الحادث الموصوف بكونه (نكت في القلوب ونقر في الاسماع) ، بل يصدر عن - أحياناً - فيما يخبرون به عن أصول ولوائح مكتوبة عندهم . ومن أجل توضيح هذه النقطة ننتقل بعض الأحاديث المروية عنهم (ع) . فقد روى حماد بن عثمان ، قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : ((تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة (ع) . قال : فقلت : وما مصحف فاطمة؟ قال : إن الله تعالى لما قبض نبيه (ص) دخل على فاطمة من وفاته الحزن ما لا يعلمه إلا الله (عز وجل)! فأرسل الله إليها ملكاً يسلي عنها ويحدثها . فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (ع) ، فقال : إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت ، قولي لي ، فأعلمته بذلك . فجعل أمير المؤمنين يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً . قال : ثم قال : أما أنه ليس فيه شيء من

الحلال والحرام ، ولكن فيه علم ما يكون))^(١)

وقد جاء في بعض الأخبار التصريح بهوية ذلك الملك الذي كان يأتي لتسليّة فاطمة (صلوات الله عليها) ، فعن أبي عبيده قال : سألت أبا عبد الله (ع) بعض أصحابنا^(٢) عن الجفر؟ فقال : ((هو جلد ثور مملوء علماً . قال له : فالجامعة؟ قال : تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم^(٣) مثل فخذ الفالج^(٤) فيها ما يحتاج الناس إليه . وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش^(٥) . قال : فمصحف فاطمة ((ع))؟ قال : فسكت طويلاً ثم قال : إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون . إن فاطمة مكثت بعد رسول الله (ص) خمسة وسبعين يوماً ، وكان دخلها حزنٌ شديدٌ على أبيها وكان جبرئيل (ع) يأتيها فيحسن عزائها على أبيها ، ويطيب نفسها ، ويخبرها عن أبيها ومكانه ، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها . وكان علي يكتب ذلك . فهذا مصحف فاطمة ((ع))^(٦) .

إن التأمل في الخبرين السابقين يفتح علينا أفقاً رحبة لفهم ظاهرة الإخبار بالسمتقبل عند أئمة أهل البيت (ع) ، ولا سيما قضية المرجعية التدوينية وموضعها بالنسبة لمعرفة أخبار الغيب . ونحتاج أولاً أن نقف عند عتبة الخبر الأول لنتسائل عما ورد بخصوص شكوى فاطمة الزهراء (ع) ، تلك الشكوى التي لم يرد ذكرها في الخبر الثاني ؛ فما معنى شكوى فاطمة لأمر المؤمنين (ع)؟ يبدو لأول وهلة أنه ليس هنالك ثمة ما يحمل فاطمة (ع) على الشكوى طالما كانت على دراية من أن ذلك الملك إنما حضر لتسليتها . ويظهر من

(١) الكليني ، الكافي (الأصول) ج ١ ص ٢٤٠ .

(٢) لعنه حماد بن عثمان المتقدم ذكره في الرواية السابقة .

(٣) الأديم : الجلد .

(٤) الفالج : الجمل العظيم ذي السنامين .

(٥) أرش الخدش : الدية التي تعطى للخدش .

(٦) الكليني ، الكافي (الأصول) ، ج ١ ص ٢٤١ .

توطئة إلى علائم الظهور (١٥٣)

سياق الحديث أن تلك الشكوى إنما كانت بصدد نوع المعلومات التي يذكرها الملك . فهل أشكل على فاطمة (صلوات الله عليها) شيء ، وهي العالمة المعصومة ، حتى تلجأ إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)؟ الجواب بالنفي طبعاً ، فإنه لم يحدث شيء من هذا القبيل . وأرى أن هنالك توجيهين لشكوى فاطمة (ع) .

التوجيه الأول : ادراك فاطمة التام لقيمة العلمية والتاريخية للمعلومات التي ينقلها الملك ، فشاعت أن يستقر العلم في عيبته وموضعه ، فعلي (ع) هو باب مدينة العلم ، وعليه فلا بد أن يبلغ ذلك العلم من تلك الباب ، وهذا أمر في غاية الوضوح .

والتوجيه الثاني : أن فاطمة (ع) كانت في حال غير مستعدة معه لتدوين تلك المعلومات ، بسبب حزنها الشديد على أبيها (ص) ، فطلبت من أمير المؤمنين (ع) أن يأخذ على عاتقه تولي هذه المهمة فقام (ع) بكتابة تلك المعلومات حتى أثبت منها مصحفاً ، سمي بمصحف فاطمة .

هذا فيما يتعلق بالخبر الأول ، أما التأمل في الخبر الثاني ، فإنه يعرفنا أولاً أن ذلك الملك المبعوث إلى فاطمة (ع) هو جبريل (ع) ، أما سبب عدم الكشف عن اسمه في الخبر الأول ، فلعله يعود إلى اعتقاد البعض أن جبريل (ع) لا ينزل بعد وفاة الرسول (ص) إلى الأرض . وأجيب عن إشكال نزوله رغم ذلك - كما هو في بعض الأخبار - أنه لا ينزل بصفته حاملاً للوحي التأسيسي أما في غير هذه الصفة فجائز . وهذا هو ما يمكن الالتفات إليه حين المقارنة بين إبهام اسم الملك في الخبر الأول وإظهاره في الخبر الثاني . ومن جهة ثانية فإن الحديث الأخير يتضمن ذكر بعض اللوائح العلمية الموجودة بحوزة أهل البيت (ع) . وقد يتبادر إلى ذهن البعض أن رجوع أهل البيت (ع) حين يريدون أن يخبروا بشيء من غوامض العلم - مثل إظهار ما سوف يجري في مستقبل الزمان - فهم يسلكون سبيل التحصيل أولاً ، أي أنه يوجد في هذه اللوائح أو الاصول العلمية ما لا يعلمه أهل البيت فيرجعون إليه لتحصيله ثم تبليغه إلى الناس . وهذا التبادر ليس بصحيح من عدة وجوه :

الوجه الأول : ان الأئمة (صلوات الله عليهم) ليسوا بحاجة الى التحصيل من تلك اللوائح المدونة (مصحف فاطمة ، الجفر ، الجامعة) طالما أمكنهم علم ما يشاؤون من طرق أخرى ، مثل الالهام (النقر في الاسماع والنكت في القلوب) ، والعلم اللدني ، وهيمنتهم على السنن في عالم الكون والفساد - كما سيتضح ذلك فيما بعد .

الوجه الثاني : ان تلك اللوائح والاصول - حسبما جاء في وصفها - لا يمكن أن تكون مستوعبة لكافة المعلومات ، فمن الناحية المنطقية ذلك أمر غير ممكن ، ولا يكفي لكي تكون مستوعبة أن تكون بحجم معين أو بطول معين . فمصحف فاطمة مثلاً مهما كان ضخماً ، فهو غير قابل لاستيعاب جميع حوادث الدنيا ، كليها وجزئياً ، من أول الدهر وحتى يوم القيامة . كما أن الجامعة ، والتي يظهر أنها أكثر استقصاءً ، لا يمكن ، وفق القياسات العقلية ، أن تضم بين طياتها كل ما يحتاج الناس إليه حتى ارش الخدش ، حتى وإن أصبح طولها سبعة آلاف ذراع بدلاً من سبعين! وليس في الذي نذكره تكذيب لما ورد في الأخبار ، استغفر الله من ذلك ، ولكن نسعى أن نفهم ماهية تلك اللوائح ، وكشف ما يبدو من غموض العبارة عند الاستناد الى ظاهر ما تدل عليه الأخبار .

الوجه الثالث : يبدو أن الجفر - حسبما جاء في وصفه - لا يصدق عليه وصف المرجع التدويني ، إذ أنه ، طبقاً لما ورد في الرواية : جلد ثور مملوء علماً . وفي هذه إشارة إلى كون العلم الموجود فيه مدون بطريقة خاصة ، ليست على نهج ما نعرفه من معنى التدوين . ويتضح المقصود في هذا الوجه بعد ذكر هذا الخبر المروي عن الصادق (ع) : ((ان عندي الجفر الأبيض قال (الراوي) قلت : فأبي شيء فيه؟ قال : زبور داود ، وتوراة موسى ، وانجيل عيسى ، ومصحف إبراهيم (ع) ، والحلال والحرام ، ومصحف فاطمة : ما أزعج أن فيه قرآناً ، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد ، حتى فيه الجلدة ، ونصف الجلدة ، وربع الجلدة ، وأرش الخدش . وعندني الجفر الأحمر ، قال : قلت : وأي شيء في الجفر الأحمر؟ قال : السلاح ، وذلك إنما يفتح للدم

توطئة إلى علائم الظهور (١٥٥)

يفتحه صاحب السيف للقتل . فقال له عبد الله ابن أبي يعفور : أصلحك الله أيعرف هذا بنو الحسن؟ فقال : إي والله! كما يعرفون الليل أنه ليل والنهار أنه نهار ، ولكنهم يحملهم الحسد وطلب الدنيا على الجحود والانكار . ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيراً لهم)) ^(١) وإنما سئله ابن أبي يعفور عن حال بني الحسن في معرفة هذه الأصول أو اللوائح ، لأن عبد الله المخلص قد دعا - في تلك الفترة - أعني فترة نهاية الدولة الأموية - إلى البيعة لولده المسمى بالنفس الزكية على أنه هو المهدي الموعود . ولذلك أجابه الصادق (ع) بما أجاب ، فقد روي أن عبد الملك بن أعين أنه قال للصادق (ع) : انا لزيدية والمعتزلة قد أطافوا بمحمد بن عبد الله ، فهل له سلطان؟ فقال : ((والله إن عندي لكتابين فيهما تسمية كل نبي وكل ملك يملك الأرض ، لا والله ما محمد بن عبد الله في واحد منهما)) ^(٢)

ونعود الآن إلى محاولة فهم حقيقة الجفر . ويظهر من الرواية المذكورة أعلاه ، أن الجفر نوعين : جفر أبيض ، شامل لجميع الاصول بما فيها مصحف فاطمة والجامعة . وجفر أحمر ، وهو السلاح الخاص عند آل محمد (ع) ، روي عن الرضا (ع) رفعه إلى أبي جعفر (ع) ، قال : ((إنما مثل السلاح فينا كمثّل التابوت في بني اسرائيل ، وإنما دار التابوت دار الملك ، وأينما دار السلام فينا دار العلم)) ^(٣) . وهذا الربط بين السلاح والعلم لا يمكن أن يفهم إلا طبقاً لنوع خاص من الفهم ، وسوف نشير إليه . وما يعيننا الآن هو : إثبات أن الجفر المملوء علماً يشير إلى معنى آخر وراء الظاهر من العبارة ، وأن ((المرجعية التدوينية)) لا يمكن أن تكون مرجعية تحصيلية يرجع إليها الامام حينما يشكل عليه أمر من الامور ، كما هو عند سائر الناس .

(١) الكليني ، الكافي (الاصول) ، ج ١ ، ص ٢٢٤٠ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٣) الكليني ، الكافي (الاصول) ، ج ١ ص ٢٣٨ .

المرجعية التدوينية وهدفها

ربما كان السبيل الأنسب لفهم حقيقة هذه اللوائح وكيفية تدوين المعلومات فيها ، هو إعتبار ما فيها مكتوباً أو موضوعاً على هيئة اشارات ورموز لا يعلم أحد سوى الامام (ع) ما تدل عليه من معنى . أو بشكل كلمات مجملة غاية الاجمال لا يعرف أحد كيفية تفصيلها إلا الامام (ع) . وسبب اللجوء إلى هذه الطريقة في التدوين أمرين :

الأمر الأول : الاستيعاب ، إذ لو لم تكن المعلومات مسطورة بهيئة اشارات ومجملات لما أمكن أن تسعها قراطيس الدنيا كلها ، وعليه ففي سبيل استغراق كافة العلوم بمسائلها وتفصيلاتها الدقيقة ، سواء ما يحتاجه الناس عامة أو ما يختص معرفته بطائفة منهم ، لا بد من اللجوء إلى هذه الطريقة ، روي عن أبي جعفر (ع) قال : ((أن رسول الله (ص) علم علياً ألف حرف ، كل حرف يفتح ألف حرف ، والالف حرف كل حرف منها يفتح ألف حرف))^(١)

الأمر الثاني : السرية ، إذ من الممكن عملياً أن تقع تلك اللوائح بأيدي غير أمينة فتعمل على إذاعة ما لا ينبغي إذاعته من الاسرار ، فكان الانسب هو اللجوء إلى تلك الطريقة في التدوين . روي عن هشام بن سالم قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : عند العامة من احاديث رسول الله (ص) شيء يصح؟ فقال : نعم ان رسول الله (ص) أنال الناس ، وأنال وأنا . وعندنا معاقل العلم ، وفصل ما بين الناس))^(٢) . وفي رواية أخرى عن محمد بن مسلم ، قال : قال أبو عبد الله (ع) : ((ان رسول الله (ص) قد أنال وأنا ، وأنا - يشير كذا وكذا - وعندنا أهل البيت أصول العلم وعُراه وضيأؤه وأواخيه))^(٣) إن

(١) الصدوق ، الخصال ، ص ٦٤٨ .

(٢) الشيخ المفيد ، الاختصاص ، ص ٣٠٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٠٩ .

توطئة إلى علائم الظهور (١٥٧)

الخبرين المذكورين يثبتان بما لا يدع مجالاً لريبة مرتاب ، أن علوم آل محمد مخزونة عندهم على شكل أصول قابلة للتفريع ، ومجمولات صالحة للتفصيل ، وإشارات في عبارات قابلة للتأويل . وربما كانت حصة أخبار المستقبل من تلك الاصول والاشارات اكثر من غيرها ، لأنها في الظاهر موجهة إلى المخاطب الحاضر عند الامام (ع) ، بينما لا يمكن أن تفهم إلا بعد مرور أجيال ، كما ذكرنا ذلك مفصلاً في الفصل الأول . ذكر السيد محمد الصدر (رضوان الله عليه) في تاريخ الغيبة ، ((وأما في روايات التنبؤ بالمستقبل . . . فإنها تصدر في الأعم الأغلب عن قائلها : النبي (ص) أو غيره ، رمزية غير واضحة المعنى ، بحيث يحتاج فهمها إلى تدقيق))^(١) وقال في مكان آخر من كتابه : ((اذن ، فالإغماض عند عرض الحوادث ، يعتبر مشاركة فعلية من قبل النبي (ص) والامام (ع) في إنجاح المخطط الإلهي لايجاد شرائط الظهور))^(٢)

وقبل أن نتعرض إلى ذكر الغرض من تواجد هذه اللوائح عند آل محمد (ع) ، بالرغم من أنهم - وكما أثبتنا - قادرون على الإستغناء عنها ، باعتبار ما عندهم من طرق أخرى لتلقي العلوم ، أود أن أنبه إلى مسألة هامة تتعلق بتفوق أمير المؤمنين (ع) في حلّه للاشكالات على سائر الأئمة (صلوات الله عليهم جميعاً) ، مشيراً إلى خطأ ورد في بعض الكتب لتفسير معنى هذا التفوق . فقد روي عن أبي جعفر (ع) ، قوله : ((ان علياً (ع) كان إذا ورد عليه أمر لم يجرى فيه كتاب ، ولم تجئ به سنة ، رجم فيه فأصاب ، ثم قال (الراوي) : يا عبد الرحيم ، وتلك من المعضلات))^(٣)

نقل الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) هذه الرواية في كتابه الاختصاص ، ولكنه - على ما يبدو - اقحم على الحديث ، بعد قول الباقر (ع) : رجم فيه ، عبارة : (يعني ساهم) ، يشرح بها كلمة : رجم . ولعل هذا الإقحام

(١) السيد محمد صادق الصدر ، تاريخ الغيبة الكبرى ، ص ٢٠٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢١١ .

(٣) الشيخ المفيد ، الاختصاص ، ص ٣٠٨ .

كان من قبل الراوي لهذا الحديث ، ومهما يكن ، فقد جانب الصواب . لأن (سأهم) لا تدل على الرجم إلا بالالتزام ، فالرجم في اللغة : هو التكلم بنحو الظن أو بما لا يعلم ، وهذا هو المشهور أيضاً في استعمالها . بينما (سأهم) ، تأتي لغةً بمعنى : قارع أو اقترع : أي أخذ بالقرعة . والمساهمة طبقاً لهذا المعنى لا تدل على الإعضال . إذ أن قولهم : أعضل الأمر : أي أشتد واستغلق ، وأمر معضل : لا يهتدى لوجهه . ثم أنه من غير الراجح أن يكون الامام - وهو في مقام لإعراب والتبيين - ان يكون قاصداً للمعنى المجازي أو الالتزامي ، فذلك بعيد . بقي اذن ، أن نحاول فهم المقصود وفق المعنى المطابقي أو الحقيقي . أي أن مراد الامام (ع) بقوله (رجم فيه) هو أنه تكلم فيه بنحو لا يُعلم له مثل ؛ وإذا كان كذلك فهو مستغلق على الفهم ، أي أنه من المعضلات .

والمطلب الذي نريد بحثه الآن ، هو : ما هي الثمرة من احتفاظ أهل البيت (ع) بتلك اللوائح والأصول التي أطلقنا عليها ((المرجعية التدوينية)) (تجوزاً) رغم أن بإمكانهم الاستغناء عنها ، في مقام التعليم للآخرين؟ إن رجوع آل محمد (ع) الى تلك المرجعية في الإخبار ببعض الحوادث أو توضيح بعض الغوامس إن لم يكن بهدف التحصيل لأمر غير حاصل عندهم من العلم ، فلا بد أن يكون لغاية أخرى ، وأنني أرجح - في هذا الصدد - أن تكون تلك الغاية ذات طبيعة توريثية . وبعبارة أخرى فأنتني أعتقد أن تلك اللوائح تجري مجرى الموروث الخاص . وهذا الاعتقاد او الترجيح منشأ أمران :

الأمر الأول : أن المواريث الخاصة التي تنتقل بين الانبياء والأوصياء لها سمة قدسية ، وهي لا تدور إلا بين الرجال المستحقين لخلافة الله تعالى ، وإن لم تكن تربطهم علاقة نسبية مباشرة ، فالاستحقاق لإرث خاصة الله لا يمكن أن ينتقل إلا الى خاصة الله (عز وجل) . وتنقسم هذه المواريث الخاصة الى طبقتين : الطبقة الاولى : المخلفات والامتعة الشخصية للانبياء والأوصياء ، مثل : قميص آدم ، عصي موسى ، حجر موسى ، خاتم سليمان ، تابوت بني اسرائيل ، وكذا عمامة رسول الله (ص) وسيفه ، وخاتمه ورايته ودرعه . . . الخ . والطبقة الثانية من المواريث : هي الأصول العلمية والكتب المقدسة ، مثل :

توطئة إلى علائم الظهور (١٥٩)

صحف آدم ، و صحف ابراهيم ، وتوراة موسى ، وانجيل عيسى ، وزبور داود ،
والقرآن الكريم ، ومصحف فاطمة ، والجفر ، والجامعة . . . الخ .

الأمر الثاني : إن تلك المواريث الخاصة قد تنفع في مقام دعم الموقف
الشرعي للنبي أو للوصي - وللأخير خاصة ، كما سوف يتضح - باعتباره حجة
لله تعالى على عباده . أي أن تلك الاشياء (سواء كانت من الطبقة الاولى أو
من الطبقة الثانية) يمكن أن تكون صالحة لإثبات دعوى الحجية للنبي أو
للوصي . غير أن الاحتجاج بها يتم في مستويين :

المستوى الأول : الاحتجاج الخاص زماناً والعام أفراداً . ويحصل ذلك
في إطار الطبقة الأولى من الموروث الخاص ، أي المخلفات والامتعة ، فإنه يفتقر
الى تقارب زمان النبي ووصيه صاحب الدعوى ، وكذلك الوصي ومن يليه . إذ
أن الاحتجاج من قبل النبي أو الوصي على الناس بتلك المخلفات إنما يجوز فيما
إذا عاصر الناس كلاً من صاحب الحجة وصاحب دعوى الحجية ، سواء كانا
نبيين أو نبي ووصي أو وصيين . فإنه من المفترض أن تكون تلك المخلفات
والامتعة الشخصية مشهودة من قبل الناس أو معروفة عندهم ، ولا مانع من
إبدائها ، كونها مما يشترك في حياة مثلها كافة الناس ، وإن اختلفت عنها
بمميزات خاصة وعلامات فارقة ، وفي نطاق هذه المميزات والعلامات يجوز
الاحتجاج ، إذ يمكن لأهل الخبرة الاطلاع عليها واعلام الناس بكون تلك
الامتعة عائدة - في الواقع - لصاحب الحجة نبياً كان أو وصياً ، وعلى ذلك
فإنها تكون من إثباتات الدعوى لمن يليهما . ومن أجل أن تتضح هذه المسألة
جيداً ، ننقل هذه الرواية التي رواها سعيد السمان ، قال : ((كنت عند أبي عبد
الله (ع) إذ دخل عليه رجلان من الزيدية ، فقالا له : افيكم إمام مفترض
الطاعة؟ قال : فقال : لا . قال : فقالا له : قد أخبرنا عنك الثقات أنك تفتي وتقر
وتقول به ، ونسميهم لك : فلان وفلان ، وهم أصحاب ورع وتشمير ، وهم ممن لا
يكذب . فغضب أبو عبد الله (ع) ، فقال : ما أمرتهم بهذا . فلما رأيا الغضب
في وجهه خرجا . فقال لي : أتعرف هذين؟ قلت : نعم ، هما من أهل سوقنا ،
وهما من الزيدية ، وهما يزعمان أن سيف رسول الله (ص) عند عبد الله بن

(١٦٠) الإخبار بالمغيبات نقلاً عن الأصول

الحسن . فقال : كذبا لعنهما الله . والله ما رآه عبد الله بن الحسن بعينه ، ولا بواحدة من عينيه . ولا رآه أبوه ، اللهم إلا أن يكون رآه عند علي بن الحسين . فإن كانا صادقين فما علامة في مقبضه؟ وما أثر في موضع مضربه؟ وإن عندي لسيف رسول الله (ص) ، وأن عندي لراية رسول الله (ص) ، ودرعه ، ولا مته ، ومغفره ، فإن كانا صادقين فما علامة في درع رسول الله (ص)؟ ((١) الحديث .

المستوى الثاني : الاحتجاج العام زماناً والخاص أفراداً . ويحصل ذلك في إطار الطبقة الثانية في الموروث الخاص ، أي الأصول العلمية والكتب المقدسة . وهذا لا يفتقر الى تقارب صاحب الحجة وصاحب الدعوى ، إذ أن الاحتجاج من قبل النبي أو الوصي على الناس بتلك الأصول والكتب لا يشترط فيه زمان دون آخر ، ولكنه يتطلب نخبة من الناس تتميز بالعلم أو البصيرة ، إذ لا يصح حاجة غير العالم بالعلم ، كما لا يجوز آراء الآيات إلا لمن كان ذا بصيرة ؛ ممن لا يعاند الحق ، أو في مقام إقامة الحجة على العاقل المنكر أو المعاند .

إذا تبين ذلك ، نقول : أن درجة الوعي عند الأمم تترقى تدريجياً مع تقدم الزمان ، وهذا أمر مسلم عند الجميع ، وذلك أن تنامي الوعي تابع لتطور العلوم ، والعلوم في تطور مستمر ، وعليه ، فإن الناس الذين كان يكفي في مقام الاحتجاج عليهم إبداء شيء من مخلفات الانبياء والأوصياء ، قد لا ينفع معهم في عصر غزو الفضاء وعلوم الحاسوب ، نفس ذلك الأسلوب من الاحتجاج ، إلا أنه بالرغم من ذلك يجوز أن نتوقع أن المهدي (ع) سوف يسعى لإقامة الدليل على كونه حجة الله تبارك وتعالى ، ولا نعتقد أن الدليل سوف يكون خارجاً عن مورد العلم خاصة ، بمعنى أن الحاجة ، إن حدثت ، فسوف لن تخرج عن إطار قضايا العلم ، إذ هو السمة السائدة في عصره ، كما ثبت ذلك في كثير من الروايات ، وسنذكر طائفة منها بعد قليل . وهنا يأتي دور الطبقة الثانية من

توطئة إلى علائم الظهور (١٦١)

الموروث الخاص ، ولا سيما المرجعية التدوينية للأئمة (ع) . فإذا علمنا ، من ناحية ، أن تلك المرجعية لا يمكن الاستفادة منها في مقام التحصيل ، إذ الأئمة (ع) - كما أسلفنا - ليسوا بحاجة الى التحصيل . وإذا علمنا ، من ناحية ثانية ، أن تلك المرجعية ، والتي هي جزء من الموروث الخاص ، لم تستخدم حتى الآن في مقام الاحتجاج من قبل أئمة أهل البيت (ع) ، جاز لنا أن نستنتج أنها ربما كانت مذكورة لصاحب الأمر (عجل الله تعالى فرجه) إما بهدف التعجيز ، وإما بهدف الاحتجاج ، أي الحاجة مع علماء عصره من خاصة قومه . وهاهنا احتمالان ، وكلاهما وارد ، وسنقوم بمناقشة كل منهما :

الاحتمال الأول : أن تكون المرجعية التدوينية مذكورة للامام المهدي (ع) لغرض التعجيز . فمن المعلوم أن المعجز إنما يأتي به صاحب الدعوى الإلهية كالنبي أو وصيه من باب إقامة الحجة في مقام التحدي ، ويلحظ في هذا المعجز - غالباً - السمة السائدة في كل عصر ، بمعنى أنه يكون من جنس ما يتفوق به أهل كل عصر . فعلى سبيل المثال ، كانت السمة السائدة في عصر موسى هي السحر ، وقد جاءت العصى آيةً لله تعالى على يد نبيه (ع) لتعجيز السحرة ، وهي من جنس ما كانوا يتعاطوه : (العصي والحبال وما أشبه) . والسمة السائدة على عهد عيسى (ع) كانت الطب ، وقد أعطي عيسى (ع) آيةً عجّزت أطباء عصره ، كشفاء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ، وهي من جنس ما كان يتعاطاه أولئك الأطباء : (شفاء الأمراض المستعصية) . والسمة السائدة في عصر النبي محمد (ص) هي الفصاحة ، وقد جاء القرآن الكريم آيةً لله (عز وجل) عجّزت فصحاء العرب ، وهي من جنس ما كان يتعاطوه هؤلاء : (الكلام) .

وقد وردت العديد من الروايات لتأييد هذا الاحتمال ، منها مثلاً : ما روي عن الصادق (ع) : ((العلم سبعة وعشرون حرفاً ، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان . فلم يعلم الناس حتى اليوم غير الحرفين ، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً ، فبثها في الناس ، وضم إليها الحرفين حتى

(١٦٢) الإخبار بالمغيبات نقلاً عن الأصول

يبثها سبعة وعشرين حرفاً))^(١) . وروى عن الباقر (ع) أنه قال : ((يقوم القائم بأمر جديد ، وكتاب جديد ، وسنة جديدة ، وقضاء جديد . . .))^(٢) الحديث . الاحتمال الثاني : ان تكون المرجعية التدوينية (الجفر ، الجامعة ، مصحف فاطمة . . .) مذخورة للإمام المهدي (ع) بهدف المحاجة مع علماء عصره من خاصة قومه ، فمن الممكن أن يتطرق الشك لبعض علماء عصره بصدد شخصية الامام المهدي أو بصدد ما يقوم به من أعمال ، ومهما يكن ، فإن مصحف فاطمة مثلاً - حسبما ورد في وصفه - فيه علم ما كان وما يكون . فإذا فرضنا أن العمل الذي يقوم بأداءه المهدي (ع) ربما صادف إنكاراً من قبل البعض كما جاء في قسم من الأخبار فيكون من المناسب للمهدي (ع) إستخراج ذلك المصحف (او غيره) مثلاً ، لإثبات مشروعية ما يقوم به من أعمال ، خاصة وأن تلك الأعمال تكون مدعاة لإرتباك الناس ، الخاص منهم والعام . روي عن الصادق (ع) : ((إذا قام القائم من آل محمد (صلوات الله عليهم) أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم ، ثم أقام خمسمائة أخرى فضرب أعناقهم ، ثم أقام خمسمائة أخرى ، حتى يفعل ذلك ست مرات . . . قيل : وبلغ عدد هؤلاء؟ قال : نعم ، منهم ومن مواليتهم))^(٣) وروى عن الباقر (ع) : ((لو يعلم الناس ما يصنع القائم (ع) إذا خرج ، لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس ، أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف ، ولا يعطيها إلا السيف ، حتى يقول كثير من الناس : ليس هذا من آل محمد ، ولو كان من آل محمد لرحم))^(٤) .

وقد ورد عن أبي جعفر الباقر (ع) خبراً يمكن أن يستفاد منه لجوء المهدي (عجل الله فرجه) الى ما بحوزته من اللوائح والكتب في رد إنكار بعض

(١) القطب الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ص ٢١٨ .

(٢) الغيبة للنعماني ، ص ٢٣٣ ، ب ١٣ ح ١٩ (الطبعة المحققة) .

(٣) الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ٣٦٤ .

(٤) النعماني ، الغيبة : ص ٢٣٣ ب ١٣ ح ١٨ (الطبعة المحققة) .

توطئة إلى علائم الظهور (١٦٣)

خاصته على تلك الأعمال ، والحديث طويل نقتبس منه موضع الحاجة :
(. . ثم يحدث حدثاً فإذا هو فعل ذلك قالت قريش : أخرجوا بنا السبي هذه
الطاغية ، فوالله أن لو كان محمدياً ما فعل ، ولو كان علويّاً ما فعل ، ولو كان
فاطمياً ما فعل . فيمنحه الله أكتافهم ، فيقتل (أي المهدي) المقتالة ويسبي
الذرية ، ثم ينطلق حتى ينزل الشقرة^(١) ، فيبلغه أنهم قد قتلوا عامله ، فيرجع
إليهم فيقتلهم مقتلة ليس قتل الحرّة^(٢) إليها بشيء . قم ينطلق يدعو الناس
الى كتاب الله وسنة نبيه والولاية لعلي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) ،
والبراءة من عدوه ، حتى إذا بلغ الى الثعلبية قام إليه رجل من صلب أبيه ،
وهو من أشد الناس ببدنه ، واشجعهم بقلبه - ما خلا صاحب هذا الأمر -
فيقول : يا هذا ما تصنع؟ فوالله إنك لتجفل الناس إجمال الغنم! أفبعهد من
رسول الله (ص) أم بماذا؟ فيقول المولى الذي ولي البيعة : والله لتسكتن أو
لأضربن الذي فيه عنياك! فيقول له القائل : اسكت يا فلان ، إي والله إن
معي عهداً من رسول الله ، هات لي يا فلان العيبة أو الزنفليجة^(٣) ، فيأتيه
بها ، فيقرؤه العهد من رسوال الله . فيقول : جعلني الله فداك أعطني رأسك
أقبله ، فيعطيه رأسه ، فيقبل بين عينيه ، ثم يقول : جعلني الله فداك جدد لنا
بيعة ، فيجدد لهم بيعة)^(٤) الحديث .

أنا لا أزعم أن هذا الكتاب الذي يستخرجه المهدي (ع) في سبيل إثبات
مصادقية ما يقوم به من أعمال ، هو مصحف فاطمة أو غيره من اللوائح المذكورة
حصر ، ولكنني أحاول إبراز ماهية الدور الذي يمكن أن تلعبه المرجعية التدوينية
في عصر الظهور ، والله أعلم بالصواب .

(١) الشقرة : مكان (معجم البلدان م ٣ ص ٣٥٥) .

(٢) الحرّة : قرية حدثت بها وقعة مشهورة في التاريخ على عهد يزيد (لعنه الله) سنة ٦٢ للهجرة .

(٣) العيبة : الكيس أو الصندوق . والزنفليجة : ينفس المعنى .

(٤) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ص ٢٤٣ .

الفصل الثالث

التنبؤ المحمي عند أمير المؤمنين (ع)

تكلّمنا في الفصل الأول عن خبر سَطِيح ، وقلنا أنه يشبه من حيث الشكل والمضمون خطب الملاحم المأثورة عن علي (ع) . وفي سبيل أن نبرهن على ما ذكرناه ، وإتماماً للفائدة ، فإننا سننقل مقاطعاً من عرض خطبه (ع) ، ونعلق عليها في الهامش كما فعلنا مع خبر سَطِيح .

١- ((... لكأني أنظر الى ضلّيل^(١) قد نَعَقَ بالشام ، وفحص براياته^(٢) في ضواحي كوفان . فإذا فغرت فَاغْرَتْهُ^(٣) واشتدت شكيمته^(٤) ، وثقلت في الأرض وطأته ، عضت الفتنة أبنائها بأنيابها ، وماجت الحربُ بأمواجها ، وبدا من الأيام كلُّوحها^(٥) ، ومن الليالي كدُّوحها^(٦) . فإذا أينع زرعه ،

(١) الضلّيل : هو الشديد الضلال المبالغ في الاضلال . وربما يشير به الى السفيناني (لعنه الله) .
(٢) قوله : نَعَقَ بالشام وفحص براياته ... الخ ؛ يعني أنه قد ابتداء دعوته في الشام (فالنعيق هو صوت الراعي بغنمه) ونصب له رايات في الكوفة ، كناية عن استيلاءه عليها .
(٣) فغرت فَاغْرَتْهُ : أي فتح فمه ، كناية عن شدة ولعه بالحرب .
(٤) اشتدت شكيمته : أي اشتد بأسه وقويت همته .
(٥) الكلوح : العبوس .
(٦) الكدوح : جمع كدح : الخدوش أو الجراحات .

توطئة إلى علائم الظهور (١٦٦)

وقام على يَنعه ، وهدرت شقاشقُه^(١) ، وبرقت بوارقُه^(٢) ، عُقدت راياتُ
الفتن المُعضلة ، وأقبلن كالليل المظلم ، وألبحر الملتطم . هذا ، وكم يخرق
الكوفة من قاصف^(٣) ، ويمرُّ عليها من عاصف^(٤) . وعن قليل تلتف القرون
بالقرون^(٥) ، ويحصد القائم ويحطم المحصود^(٦) .

٢- ((كأني به قد نعق بالشام^(٧) ، وفحص براياته في ضواحي كوفان ،
فعطف اليها عطف الضروس^(٨) ، وفرش الأرض بالرؤوس^(٩) . قد فغرت
فاغرتَه ، وثقلت في الأرض وطأته ، بعيد الجولة ، عظيم الصولة . والله!
ليُشردنكم في أطراف الأرض حتى لا يبقى منكم إلا قليل^(١٠) ،
كالكحل في العين ، فلا تزالون كذلك ، حتى تؤوب الى العرب عواذب

(١) الشقاشق : جمع شقاشقة : وهي شيء كالرثة يخرج البعير من فيه إذا هاج - وفيه إشارة الى مدى
عداوته وغضبه ، وقد ذكرنا في اباب (معركة قرقيسيا) أن السفيناني رجلٌ موتور يلطب ثأراً وهو عدو
للشيعة شديد العداوة ، وثأره معهم .

(٢) البوارق : السيوف - كناية عن الاسلحة .

(٣) قوله : وكم يخرق الكوفة من قاصف : لعل فيه إشارة الى ما ستعرض له هذه المدينة مسن دمارٍ عن
طريق القصف من قبل الطغاة . قال أمير المؤمنين (ع) في خطبة له ((كأني بك يا كوفة تمددين مد
الأديم العكاظي ، تعركين بالنوازل ، وتركين بالزلازل . وإني لأعلم أنه ما أراد بك جباراً سوءاً
إلا ابتلاه الله بشاغل ورماه بقاتل .)) الخطبة ٤٧ ص ٧٢ - ٧٣ (نهج البلاغة) .

(٤) العاصف : الريح الشديدة ، وهي كناية عن الفتن واغتن التي تتعرض إليها الكوفة في آخر الزمان .

(٥) التفاف القرون بالقرون : كناية عن الاشتباك بين قادة الفتنة وبين أهل الحق كما تشتبك الأكباش
بقرونها عند النطاح ، راجع باب الفتن .

(٦) نهج البلاغة ، الخطبة ١٠١ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٧) ربما هو السفيناني (لعنه الله) ، وهذه الخطبة زتلخطة السابقة تتحدثان عن نفس الشخصية كما يظهر
بالمقارنة .

(٨) الضروس : الناقة السيئة الخلق ، تعضُ حالبها . كناية عن شدة بغضه لأهل الكوفة .

(٩) جاء في بعض الروايات : ((. . . يظهر السفيناني ومن معه حتى لا يكون له همّة إلا آل محمد
(ص) وشيعتهم ، فيبعث بعثاً الى الكوفة ، فيصاب من شيعة آل محمد قتلاً وصلباً . . .)) (بحار

الأنوار ج ٥٢ ص ٢٢٢) وانظر معركة قرقيسيا من هذا الكتاب .

(١٠) أن السفيناني يطلب الشيعة لكي يقتلهم ، فيغيب الشيعة عنه وجوههم ، يتركون الكوفة فراراً . .
ومع ذلك فإنه يصيب من أهل الكوفة مقتلة عظيمة كما جاء في الأخبار .

(١٦٧) التنبؤ الملحمي عند أمير المؤمنين (ع)

أحلامها^(١) . فالزموا السنن القائمة والآثار البيّنة ، والعهد القريب الذي عليه باقى النبوة^(٢) واعلموا أنّ الشيطان إنّما يسّني لكم طُروفه لتتبعوا عقبه^(٣) .

٣- ((... ثم أتى بعد ذلك طالع الفتنة الرّجوف^(٤) ، والقاصمة الرّحوف ، فتزيغ قلوب بعد استقامة ، وتضل رجال بعد سلامة^(٥) . وتختلف الأهواء عند هجومها ، وتلتبس الآراء عند نجومها^(٦) . من أشرف لها قصمته ، ومن سعى فيها حطّمته . يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة^(٧) . قد اضطرب معقود الجبل ، وعمي وجه الأمر^(٨) . تفيض فيها الحكمة ، وتنطق الظلمة . وتدقّ أهل البدو بمسحلتها^(٩) ، وترضّهم بكلّكلها^(١٠) .

(١) إشارة الى أن الناس (العرب) قبل القائم (ع) تطيش عقولهم بسبب شدة المحن التي يتعرضون إليها ، وقد جاء في بعض الروايات أن الناس سوف تصيبهم فتنة تعرج فيها عقولهم . أنظر الملاحم والفتن ص ٢٣ ، ثم تؤوب إليهم تلك العقول حين خروج القائم (ع) فعن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال : ((إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع عقولهم وكملت بها أحلامهم)) . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٢٨ .

(٢) يوصي أمير المؤمنين بضرورة اتباع منهج أهل البيت (ع) ، للنجاة من الفتنة .

(٣) نهج البلاغة : ، الخطبة ١٣٨ ص ٢٠٢ .

(٤) تتحدث هذه الخطبة عن فتنة عظيمة في آخر الزمان أطلق عليها أمير المؤمنين (ع) (الفتنة الرّجوف والقاصمة الرّحوف) : أي أنها شديدة الرجفان والاضطراب وشديدة الزحف . كناية عن مدى هول هذه الفتنة وجليل وقوع المكاره فيها .

(٥) إشارة الى سنة التمحيص التي تعمل على تسقيط الناس عبر غربالها حتى لا يبقى منهم إلا أقل القليل . أنظر ما قلناه آنفاً في فصل الفتنة ص

(٦) اختلاف الأهواء والتباس الآراء هو من النتائج المترتبة على الاستخفاف بالدين ، وعدم الالتزام بالواجبات الشرعية .

(٧) يتكادمون تكادم الحمر في العانة : أي أن الناس يعرض بعضهم بعضاً (كناية عن جريهم وراء الأهواء والمصالح الشخصية) كأنهم حمير الوحوش التي يعرض بعضها البعض في الغابة .

(٨) وذلك لأن هذه الفتنة عمياء مشككة كما وصفها (ع) في الحديث الذي ذكرناه في باب الفتنة .

(٩) المسحل هو المبرد ، ومعنى أنها تدقّ أهل البدو بمسحلتها : هو أنها تكون شديدة التأثير فيهم أكثر من الباقيين . وأهل البدو : كناية عن العرب الغير متحضرين في البوادي ، أو كناية عن عموم العرب . والأول أسد ، وعلى هذا الأساس يجب توجيه قول الصادق (ع) : ((إتق العرب فإن لهم خبر سوء ، أما إنه لا يخرج مع القائم منهم أحد)) غيبة الطوسي ص ٢٨٤ . فالعرب هم الأعراب ، إذ كيف

توطئة إلى علائم الظهور (١٦٨)

يضيع في غبارها الوُحدان ، ويهلك في طريقها الرُكبان . تردُّ بمرَّ القضاء ،
وتجلب عبيط الدماء ، وتثلُم منار الدين ، وتنقُص عقد اليقين . تهرب
منها الأكياس^(٢) ، وتُدبرها الأرجاس^(٣) . مرعادُ مبراق^(٤) ، كاشفةٌ عن
ساق . تُقطعُ فيها الأرحام ، ويُفارق عليها الإسلام . بريها سقيم ، وظاعنها
مقيم^(٥) .

٤- ((ألا وإن للباطل جولة ، وللحق دولة . ألا وإنني ظاعنٌ عن قريب فارتقبوا
الفتنة الأموية ، والدولة الكسروية ، ثم تُقبل دولة بني العباس بالفرع
والبأس ، وتبنى مدينة يقال لها الزوراء ، بين دجلة ودجيل والفرات ،
ملعونٌ من سكنها . منها تخرج طينة الجبارين ، تُعلى فيها القصور ،

يصح أن لا يكون معه أحد من العرب وقد ورد في الأخبار أنه (ع) إذا قام ((أتته أبدال أهل الشام
وعصائب أهل العراق ونجباء أهل مصر ... الخ)) وهل أولئك إلاً عربياً .

(١) الرض : هو التهشيم ، والكلكل : الصدر . ولعل في هذه العبارة والتي سبقتها إشارة لا تخفى على
اللبيب ، وهي تحول أرض العرب في آخر الزمان إلى موطأ قدم للمعتدين . ولعل المسحل والكلكل
كناية عن المعدات العسكرية الثقيلة التي ترسل إلى أرض العرب طمعاً في خسرات بلادهم ومحاولة
للقضاء على معالم دينهم . فقد وردت رواية عن رسول الله (ص) تشير إلى هذا المعنى ، قال (ص)
: ((لا تقوم الساعة حتى تبعث نار من رومان فتضيئ منها أعناق الإبل ببصرى)) . محمد حسن
ميرجهاني ، نواب الدهور ص ١٣٧ .

(٢) الأكياس : جمع كيس . وهم عقلاء الناس وحلماؤهم . وهرب الأكياس ، دلالة على عدم
مواجهتهم للفتن ، بل إنسحابهم إلى الخط الثاني ، بلزم البيت والسكون . روي عن النبي (ص) :
((إذا رأيت الناس مرجت عهودهم (أي اختلطت) وخفت أماناتهم ، فالزم بيتك ، واملِك عليك
لسانك ، وخذ ما تعرف وجع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة بنفسك ، ودع عنك أمر العامة))
مختصر تذكرة القرطبي ، ص ١١٤ .

(٣) الأرجاس جمع رجس ، وهم أشرار الناس ، أولئك الذين يثيرون الفتن ويسعون في الأرض فساداً من
الظالمين والطواغيت وأضرابهم .

(٤) أي فيها رعد وبرق . وهذا الوصف الرائع ربما كان إشارة إلى الأسلحة التي تستخدم في زمان هذه
الفتنة ، لا سيما إذا انظم إلى هذا الوصف قوله بعد ذلك : (كاشفةٌ عن ساق ، تقطعُ فيها الأرحام)
فإن دلالتها على الأسلحة الحديثة يكون أمراً كبير الاحتمال . والله أعلم .

(٥) بريها سقيم وظاعنها مقيم . تعبير يراد به شمول تأثير تلك الفتن حتى كأن الناس في زمانها مرضى
لا يرى فيهم صحيح ، وكأن الظاعن منها أي المبتعد عنها ، مقيم فيها - أي لا ينجو منها أحد .

(٦) نهج البلاغة ، الخطبة ١٥١ ص ٢١٦ - ٢١٧ .

وتُسبَل الستور ، ويتعاملون بالمكر والفجور . فيتداولها بنو العباس . . . ثم الفتنة الغبراء^(١) ، والقلادة الحمراء^(٢) ، في عنقها قائم الحق^(٣) . ثم أسفر عن وجهي^(٤) بين أجنحة الأقاليم كالقمر المضيء بين الكواكب . وإن لخروجي علامات عشرة ؛ أولها تخريق الرايات في أزقة الكوفة^(٥) ،

(١) الفتنة الغبراء ، ربما تكون كناية عن امتلاء الدنيا ظلماً وجوراً نتيجة لارتكاب الناس للمعاصي والآثام ، فيطبق ذلك العصر الباطل والضلال ، كما يطبق الغبار آفاق الأرض . ويترتب عن ذلك خفاء الحق حتى يختلط كلياً بالباطل فيصعب تمييزه ، كما يصعب تمييز الأشياء في الجو المغبر . وقد جاءت الإشارة الى هذه الفتنة في حديث عن رسول الله (ص) قال فيه : ((لا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة ووزراء وأمناء خونة وقرآء نسقة سمتهم سمة الرهبان ولسي لهم رغبة ، فيلبسهم الله فتنة غبراء مظلمة يتهوكون فيها تهوك اليهود في الظلم)) والتهوك هو التحير . مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٣٣ .

(٢) القلادة الحمراء ربما هي كناية عن القتل أو الحروب ، والتعبير عن ذلك بالقلادة للتدليل على شدة ملازمة القتل لذلك العصر . ويظهر من قوله بعد ذلك : ((في عنقها قائم الحق)) أن ذلك يكون في عصر قريب من خروج المهدي (ع) . نسخة أخرى .

(٣) قوله (في عنقها قائم الحق) وفي (في عقبها) للإشارة إلى كثرة من يُقتل على يد الامام (ع) وعلى النسخة الثانية إلى المجلاء تلك الفتنة الشديدة على يد الامام المهدي (ع) . روي عن الباقر (ع) أنه قال : ((لو يعلم الناس ما يصنع القائم (ع) إذا خرج لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس . . .)) النعماني ، الغيبة ص ٢٣٣ (الطبعة المحققة) .

(٤) قوله : ((ثم أسفر عن وجهي . . .)) فيه احتمالان : الأول : للإشارة إلى رجعة أمير المؤمنين (ع) بعد القائم . الثاني : للإشارة إلى أن دعوة القائم هي نفس دعوته (ع) أو هو منه ، لذا يصح أن ينسب خروجه أو نفسه إليه . وعلى كل حال : فإن سياق العبارة بالنظر إلى ما قبله يرجح الاحتمال الأول ، وبالنظر إلى ما بعده يرجح الاحتمال الثاني ، لأنه يقول بعد ذلك : ((فإذا تمت العلامات قام قائمنا قائم الحق)) .

(٥) تخريق الرايات في أزقة الكوفة : فيها توجيهين استناداً إلى معنى ((تخريق)) . فإن هذه الكلمة إما أن تكون بمعنى ((تمزيق)) أو بمعنى ((مرور أو اجتياز)) .

التوجيه الأول : (حمل تخريق على المعنى الأول) أن هذه العلامة تشير إلى حدوث أمر في الكوفة يحمل الناس على تمزيق الأعلام والبيارق الموجودة في شوارعها . وربما كانت تلك الأعلام هو ما يرفع هذه الأيام منها فوق بعض الأبنية الحكومية .

التوجيه الثاني : (حمل تخريق على المعنى الثاني) وهو الأرجح عندنا : أن العلامة المذكورة تشير إلى حدث يكون في الكوفة يترتب عليه رفع الرايات أو الأعلام من قبل الناس فيجوبون بها في سكك الكوفة وأزقتها . وفي هذا التوجيه ما يمكن أن يستفاد منه حصول أعمال شغب أو انتفاضة أو تمرد ضد السلطة .

توطئة إلى علائم الظهور (١٧٠)

وتعطيل المساجد^(١)، وانقطاع الحاج^(٢)، وخسف^(٣)، وقذف^(٤) بخراسان^(٥)، وطلوع الكوكب المذنب^(٥)، واقتران النجوم، وهرج ومرج، وقتل، ونهب. فتلك علامات عشرة، ومن العلامة إلى العلامة عجب. فإذا تمت العلامات قام قائمنا قائم الحق^(٦).

-
- وعلى كلا الاحتمالين فإن استفادة انتفاضة جماهيرية في الكوفة أمرٌ محتمل جداً. إذ لا معنى لتمزيق الرايات أو اجتيازها إلا التعبير عن استنكار عام لوضع غير مقبول. وربما تكون هذه العلامة قد تحققت في هذه المدينة، فقد حصل شيء من هذا القبيل في الكوفة في آذار عام ١٩٩١ بل في أغلب مدن العراق.
- (١) أي إغلاقها من قبل السلطان أو انقطاع عمّارها من المؤمنين إما بسبب الخوف، أو بسبب تجنّب الفتنة.
- (٢) أي منع الحاج من أداء فريضة الحج. ولذلك عدة أسباب، منها: عدم سماح السلطان للناس بالسفر إلى الحج، أو عدم توفر المال الكافي نتيجة للفقر الذي يعم الناس حينذاك، فيمتنعون اضطراراً عن أداء هذه الفريضة، أو حصول أحداث سياسية بين دولة الحج (السعودية) وبين بعض الدول الأخرى، يكون على أثرها إصدار قرار يمنع بموجبه الحاج من السفر إلى الديار المقدسة في مكة أو على الأقل يتم تحديد عدد الحجاج بنسبة ضئيلة يصدق معها أن يقال: أن الحج قد انقطع (انقطاع الحاج). . . أو أسباب أخرى.
- (٣) الخسف، ربما كان كناية عن القصف الذي تتعرض له الدول حين حدوث الحروب وخاصة في هذا العصر. ودلالاتها على الخسف الطبيعي المسبب عن الزلازل ممكن، بل هو الأصل في تلك الدلالة.
- (٤) قذف بخراسان: حدوث كوارث طبيعية أو ما أشبه في إيران.
- (٥) وهو من العلامات المشهورة، وقد ذكرناه في سياق علائم زوال ملك بني العباس في الباب الأول من القسم الثالث وسيأتي.
- (٦) محمد حسن ميرجهاني، نواب الدهور في علائم الظهور ص ٣٧٧ - ٣٧٨.

القسم الثالث

تأملات في علائم الظهور

الباب الأول : أحداث وشخصيات

الباب الثاني : معركة قرقيسيا

الباب الأول

أحداث وشخصيات

الفصل الأول : بني العباس

الفصل الثاني : شخصيات مهمة وغامضة

الفصل الثالث : علائم قد تحققت في عصرنا

الفصل الأول

بنو العباس

أ- (الدولة الثانية لبني العباس)

يظهر من بعض الأخبار، أن لبني العباس في التاريخ دولتان : الأولى : وهي الدولة المعروفة التي تأسست عام ١٣٢ هـ على يد أبي مسلم الخراساني . وقد زالت هذه الدولة ، كما هو ثابت ، في عام ٦٥٦ هـ على يد المغول . الثانية : دولة تظهر في آخر الزمان ، تسير على نهج الدولة السابقة ويسير قادتها بسيرة خلفاءها ويتمجدون بأقوالهم وأفعالهم ويتعصبون لهم . ويتخذون من مقر خلافتهم (بغداد) عاصمة لهم .

وليست هنالك أية ضرورة في أن يكون حكام الدولتين من أصل واحد حتى يجوز تبرير وحدة التسمية : (بنو العباس) كما جاءت في الأخبار . وبعبارة أخرى ، فإن حكام الدولة الثانية المشار إليهم في الأخبار ببني العباس حيناً وببني فلان حيناً آخر لا يلزم أن يكونوا متحدرين من نسل الخلفاء في الدولة الأولى الذين يطلق عليهم بني العباس نسبةً إلى جددهم العباس بن عبد المطلب . فإن الارتباط النسبي وإن كان عاملاً مهماً في انتقال لقب قوم إلى من يخلفهم في نطاق علم الأنساب ، إلا أن الأصل في قيام دولة على منساج دولة أخرى ليس هو النسب وإنما العصبية ، فإذا تحققت العصبية بين طائفتين أو بين

دولتين صحت النسبة (أي وحدة التسمية) من دون إشكال . وربما كان في إطلاق تسميتين وإبهام أحدهما أعني (بني العباس وبني فلان) على حكام الدولة الثانية هو قرينة على إرادة العصبية دون النسب ، والله أعلم .

ولإثبات ما تقدم ، أي أن لبني العباس دولتين في التأريخ ننقل هذين الخبرين : روى الحسن بن إبراهيم ، قال : قلتُ للرضا (ع) أصلحك الله ، إنهم يتحدثون أن السفياياني يقوم ، وقد ذهب سلطان بني العباس؟ فقال : ((كذبوا إنه ليقوم وإن سلطانهم لقائم))^(١) ففي هذا الحديث إشارة واضحة الى تجديد قيام دولة بني العباس قبل ظهور السفياياني . وروى عن عبد الله بن أبي الأشعث ، قال : ((تخرج لبني العباس رايتان : إحداهما ، أولها نصر وأخرها وزر ، لا تنصروها لا نصرها الله . والأخرى ، أولها وزر وأخرها كفر ، لا تنصروها لا نصرها الله))^(٢) يشير بالراية الأولى ، التي تخرج لبني العباس الى راية أبي مسلم الخراساني مؤسس الدولة الأولى ، وكانت الدعوة فيها للرضا من آل محمد ، ولذا وصفت بأن أولها نصر ، أما الوزر الذي في آخرها فهو إشارة الى ما أفضت إليه هذه الدولة عند زوالها من خراب عم جميع بلاد الاسلام .

أما الدولة الثانية ، فقد وصف أولها بأنه وزر للإشارة الى أن الدعوة فيها - منذ البداية - لم تكن دعوة حق ، بل هي دعوة باطل . ويمكن لنا أن نصرب على ذلك أكثر من مثال : كأن تكون شعاراتها التي تنادي بها لا تستند الى مبدء إسلامي صحيح ، أو كأن تكون أهدافها علمانية أو قائمة على أساس فكر لا ديني . . . الخ . أما الكفر الذي في آخرها ، فلعله للدلالة على ما سوف تأول إليه تلك الدولة من الخروج الصريح عن الدين بمولاتها لأعداء الاسلام ، أو القضاء على الدعوة إليه من العلماء والفضلاء . . . وغير ذلك مما هو مشهود في توجهات هذه الدولة .

وتصف الأخبار ملك بني العباس بصورة عامة بأنه عسر لا يسر فيه ،

(١) المجلسي ، بحار الأنوار . ج ٥٢ ص ٢٥١ .

(٢) ابن طاووس ، الملاحم والفتن ، ص ٣٥ .

توطئة إلى علائم الظهور (١٧٧)

كناية عن تجبرهم وطغيانهم وشدة ولعهم بالملك . روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : ((ملك بني العباس عسر لا يسرف فيه ، دولتهم لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلسان لم يزيلوه ، ولا يزالون بتمرغون ويتنعمون في غضارة من ملكهم حتى يشذ عنهم مواليهم وأصحاب ألويتهم . ويسلط الله لهم علجا من حيث بدء ملكهم لا يمر بمدينة إلا فتحها ولا ترفع له راية إلا هدها ولا نعمة إلا أزالها . الويل لمن ناواه! فلا يزال كذلك حتى يظفر ، ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به))^(١) وفي رواية : ((يملك بنو العباس حتى ييأس الناس من الخير . . .))^(٢) وروي عن محمد بن بشير الهمداني ، قال : قلنا لمحمد بن الحنفية : جعلنا فداك ، بلغنا أن لآل فلان راية ، ولآل جعفر راية ، فهل عندكم في ذلك شيء؟ قال : ((أما راية بني جعفر فليست بشيء . وأما راية بني فلان ، فإن لهم ملكا يقربون فيه البعيد ويبعدون فيه القريب : عسر ليس فيهم يسر . تصيبهم فيه فزعات ورعدات ، كل ذلك ينجلي عنهم كما ينجلي السحاب ، حتى إذا أمنوا واطمأنوا وظنوا أن ملكهم لا يزول ، فيصيح بهم صيحة ، فلم يبق لهم راع يجمعهم ولا داع يسمعهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾^(٣))^(٤)

ب- (علائم زوال ملك بني العباس)

١- إختلاف بني العباس

تبين لنا من الأحاديث المتقدمة ، أن ملك بني العباس لا يمكن أن يزول

(١) النعماني ، الغيبة ، ص ١٣٣ .

(٢) المتقي الهندي ، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان ، ج ٢ ص ٧٤٣ ح ١٨٢ .

(٣) يونس : ٢٤ .

(٤) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ص ٢٧٠ .

بالقوة ، فلا يجدي في إزالته ثورة أو حرب وإن كانت تلك الحرب باشتراك عدة أقوام أو دول . ولكن تنقضي تلك الدولة فجأةً وتؤخذ على حين غرة ، روي عن الامام الصادق (ع) ((ان ذهاب ملك بني فلان كقصع الفخار ، وكرجل كانت في يده فخارة وهو يمشي ، إذ سقطت من يده وهو ساه فانكسرت ، فقال حين سقطت هاه ، شبه الفرع . فذهاب ملكهم هكذا ، أغفل ما كانوا عن ذهابه))^(١) ويبدو أن لذهاب ملك بني العباس علامات يمكن للمتتبع أن يحكم بملاحظتها أو يستدل على قرب زوال حكمهم . ومن تلك العلامات وأكثرها تكراراً في الأخبار : إختلافهم في الملك . روي عن الصادق (ع) ، أنه قال : ((لا يكون فساد ملك بني فلان حتى يختلف سيفاً بني فلان ، فإذا اختلفا كان عند ذلك فساد ملكهم))^(٢) - وعن الباقر (ع) ، قال : ((إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم ، فعند ذلك فانتظروا الفرج ، وليس فرجكم إلا في اختلف بني فلان . . . ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم . فإذا كان ذلك طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة وخرج السفياي))^(٣) وهذا الحديث بصدد اختلف بني العباس ، يدل على أن اختلفهم من المحتوم ، لأن خروج القائم ومن قبله السفياي متوقف على حصول ذلك الإختلاف ، كما هو واضح من عبارة الحديث .

وفي رواية أخرى ، نقلها عنه يعقوب بن السراج ، قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : متى فرج شيعتكم؟ قال : فقال : ((إذا اختلف ولد العباس ووهي سلطانهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم ، وخلعت العرب أعتتها))^(٤) ،

(١) النعماني ، الغيبة ، ص ١٣٧ .

(٢) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٧٢ .

(٣) الكليني ، روضة الكافي ، ص ١٧٧ .

(٤) أعتة جمع عنان ، وهو لجام الفرس . وخلع العرب أعتتها كناية عن التحرر من نير الأجنبي (الاستعمار) كما جاء في الإرشاد للمفيد : ((وخلع العرب أعتتها وتملكها البلاد وخروجها عن

سلطان العجم)) الإرشاد ص ٣٥٧ .

توطئة إلى علائم الظهور (١٧٩)

ورفع كل ذي صيصية^(١) صيصته ، وظهر الشامي ، وأقبل اليماني ، وتحرك الحسني ، وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة الى مكة بتراث رسول الله (ص) ((...))^(٢) .

٢ - هدم حائط مسجد الكوفة

ومن علامات زوال ملك بني العباس : هدم حائط مسجد الكوفة من موضع محدد . روي عن الصادق (ع) أنه قال : ((إذا هُدم حائط مسجد الكوفة (من) مؤخره مما يلي دار عبد الله بن مسعود ، فعند ذلك زوال ملك بني فلان . أما إن هادمه لا يبنيه))^(٣) ويتبين من هذا الحديث أن حائط مسجد الكوفة لا ينهدم من تلقاء نفسه بل يحصل ذلك بفعل فاعل ، إما لغرض العدوان وإما لأجل الترميم وأما لأجل الأول بحجة الثاني! غير أن الهدم يجب أن يحدث من موقع خاص ، وهو المشار إليه في الخبر ، أعني : ((مما يلي دار عبد الله بن مسعود)) وذلك عند مؤخر مسجد الكوفة . . .

ويتضح كذلك ، أن هادم الحائط لا يتسنى له ، بعد هدمه ، إعادة بناءه : ((أما أن هادمه لا يبنيه)) وربما كان في ذلك تلويح بأن الهدم يحصل بنية مسبقة لإعادة إعمار الحائط أو ترميمه . ومما يؤكد أن هذه العلامة تختص بالدولة العباسية الثانية دون الأولى حديث آخر مروى عن أبي عبد الله الحسين بن علي (ع) توجد فيه قرينة تدل على هذا الاختصاص ، قال (ع) : ((إذا هُدم حائط مسجد الكوفة مما يلي دار عبد الله بن مسعود ، فعند ذلك زوال ملك القوم ، وعند زواله خروج المهدي))^(٤) فقوله : ((وعند زواله خروج المهدي)) قرينة ناهضة لإثبات صحة كون المقصود ببني فلان هو الدولة الثانية حصراً .

وقد علق بعضهم على هذا الحديث بما يلي :
((لقد هدم الحائط وبني منذ بناء الكوفة الى وقتنا الحاضر - عشرات

(١) الصيصية : شوكة الخائك ، أو شوكة الديك . وهي كناية عن السلاح .

(٢) الكليني . روضة الكافي ص ١٨٩ .

(٣) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٧١ .

(٤) المتقي الهندي ، ج ٢ ص ٦٥٣ ح ١٢٧ .

المرات - فلم يحدثنا التاريخ أن ملك قوم زال بسبب هدم حائط أو بنائه ؛ لأن هذا من سنة الله في الحياة ، بل من سنته أن تتخذ الأسباب وتُهيأ المقدمات ، ولقد زال ملك أقوام كثيرين : الأمويين والعباسيين والمماليك والعثمانيين ، فلم نعلم حقيقة أن المهدي خرج بسبب ذلك ، وقد ورد هذا الكلام في كتب الشيعة على أنه علامة خروج المهدي . . .))^(١)

أقول : ظاهر هذا القول أن فيه تكذيب لأحاديث الشيعة ، وقد فات هذا الرجل حين أورد هذا التعليق الإشارة الى ما ورد في الحديث من أن الهدم الذي يكون علامة خروجه (ع) يحدث من موضع خاص في الحائط وهو دار عبد الله بن مسعود (ره) لا كل مما يلي دار ابن مسعود ، بل أن عدم ظهور المهدي يثبت أن الهدم لم يبتدأ من ذلك الموضع كما لا يخفى على الفطن اللبيب .

٣- الجسر ذو الطابقين

وهي من العلامات المهمة على قرب زوال دولة بني العباس الثانية ، فقد ورد في بعض الأخبار إنشاء جسر في بغداد يتألف من جسرين (طابقين) ويمدّ على نهر دجلة . روي عن الصادق جعفر بن محمد (ع) أنه سئل عن ظهور قائم أهل البيت (ع) ، فتنهّد وبكى ، ثم قال : ((يا لها من طامة ، إذا حكمت في الدولة الخصيان والنسوان والسودان ، وأحدث الإمارة الشبان والصبيان ، وخرّب جامع الكوفة من العمران ، وانعقد الجسران - فذاك الوقت زوال ملك بني العباس ، وظهر قائمنا أهل البيت (ع))^(٢) .

٤- بناء مدينة على شاطئ الفرات

جاء في خبر أورده الشيخ الصدوق في الإكمال أن بني العباس في آخر ملكهم يقومون ببناء مدينة على شاطئ الفرات ، فإذا تمّ بناءها لم يبق من مدة

(١) هامش كتاب البرهان للمتقي الهندي ص ٦٥٣ .

(٢) ابن طاووس ، الملاحم والفتن ، ص ١٩٨ .

توطئة إلى علائم الظهور (١٨١)

ملكهم إلا سنة واحدة ، وإليك الخبر : عن علي بن الحسين (ع) قال : ((إذا بنى بنو العباس مدينة على شاطئ الفرات كان بقاؤهم بعدها سنة))^(١) . أقول لعل المدينة المشار إليها في الحديث قد تم بناءها وأرجح أن تكون مدينة سياحية تبنى لترفيه بني العباس وخاصتهم .

٥- موت سفیه من آل العباس

وهي من علائم زوال ملكهم ايضاً ، روي عن أبي جعفر (ع) قال : ((يموت سفیه من آل العباس بالسر ، يكون سبب موته أنه ينكح خصياً فيذبحه ويكتم موته أربعين يوماً فإذا رسارت الركبان في طلب الخصي لم يرجع أول من يخرج الى آخر من يخرج حتى يذهب ملكهم))^(٢) أي أن الخصي يقوم بذبح هذا السفیه من بني العباس ثأراً لكرامته ، ثم يقوم بإخفاء جثته لمدة أربعين يوماً حتى ينكشف أمره ويهرب ، فيطلبه بنو العباس بتسيير الركبان ، أي بإرسال القوات ، وبينما يكون القوم منشغلين بالبحث عن الخصي يزول ملكهم . ويبدو لي أن السبب الحقيقي في زوال ملكهم هو حصول فراغ أو ثغرة في القوات الخاصة للنظام ، إذ في الخبر ما يدل على أن اولئك الركبان من خاصة أعوان النظام أو حرسه الخاص ، والله أعلم .

٦- النجم المذنب

من العلائم البارزة على زوال ملك بني العباس في دولتهم الثانية ، ظهور مذنب في السماء ، يخرج من ناحية المشرق ويقترّب من الأرض الى الدرجة التي يبدو كهيئة القمر في إضائته ليلة البدر ، وله ذنب يرى بوضوح . فإذا انعطف المذنب كاد أن يلتقي رأسه بذنبه كهيئة الطوق . روي ابن طاووس نقلاً عن نعيم بن حماد ، قال : ((علامة إنقطاع ملك ولد العباس حمرة تظهر في جوف السماء ، ونجم يطلع من المشرق يضيئ كالقمر ليلة البدر ثم ينعقد))

(١) الصدوق ، إكمال الدين ، ص ٦١٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص

(١) وفي رواية ثانية : ((يطلع نجم من المشرق قبل خروج المهدي له ذنب يضيئ لأهل الأرض كإضاءة القمر ليلة البدر)) (٢) وفي رواية ثانية : ((يطلع نجم من المشرق قبل خروج المهدي له ذنب يضيئ لأهل الأرض كإضاءة القمر ليلة البدر)) (٣) وذكر الشيخ المفيد في إرشاده : ((... وطلع نجم بالمشرق يضيئ كما يضيئ القمر ، ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه...)) (٤) وعن ابن مسعود ، قال : ((تكون علامة في صفر تبثء بنجم له ذنب)) (٥) .

ويذكر أن هذا المذنب قد ظهر على عهد ابي جعفر المنصور ، قال الوليد بن مسلم الذي يروي عنه نعيم بن حماد في كتاب الفتن : ((ورايت نجماً في سنيات بقين من سني أبي جعفر ، ثم إنعطف حتى التقى طرفاه ، فصار كطوق ساعة من الليل)) (٦) واستدرك الوليد بعد ذلك بقوله : ((والنجوم التي رأيناها ليست بالآيات ، إنما نجم الآيات نجم يتقلب في الآفاق ، في صفر أو في ربيعين أو في رجب . وعند ذلك يسير خاقان بالأتراك يتبعه روم الظواهر بالرايات والصلب)) (٧) يشير في الفقرة الأخيرة من كلامه الى بدء معركة قرقيسيا كما سنسمع في الباب القادم إنشاء الله تعالى .

-
- (١) ابن طاووس ، الملاحم والفتن ص ٤٣ .
 - (٢) ابن طاووس ، الملاحم والفتن ص ٤٣ .
 - (٣) نفس المصدر ص ٤٦ .
 - (٤) الشيخ المفيد ، الارشاد ص ٣٥٧ .
 - (٥) الملاحم والفتن ص ٤٤ .
 - (٦) المصدر السابق ص ٤٣ .
 - (٧) نفس المصدر ص ٤٦ .

الفصل الثاني

شخصيات مهمة وغامضة

١- الشيباني

عن جابر الجعفي ، قال : سألت أبا جعفر (ع) عن السفياني ، فقال : ((وأنى لكم بالسفياني حتى يخرج قبله الشيباني : يخرج بأرض كوفان ، وينبع كما ينبع الماء ، فيقتل وفدكم ، فتوقعوا بعد ذلك السفياني وخروج القائم (ع)))^(١) أن الشيباني هذا واحد من حكام دولة بني العباس الثانية ، ولقبه مشتق من كلمة (شيبان) : أسم من أسماء الشيطان. وقد ورد ذكر هذه الكلمة في سياق بعض الأخبار كناية عن بني العباس الأوائل . ففي خطبة اللؤلؤة لأمير المؤمنين (ع) : ((تقبل مملكة بني العباس بالرُوع والبأس . وتُبنى لهم مدينة يقال لها : الزوراء ، بين دجلة ودجيل . (ثم قال) : فتوالت فيها ملوك بني شيبان : اربعة وعشرون ملكاً . . .))^(٢) .

أما قول الباقر (ع) : ((يخرج بأرض كوفان)) فللدلالة على كون الشيباني عراقياً . إذ أن من المتعارف تسمية الأقليم أو القطر بأسم أشهر أو

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٥٢ ص٢٣٤ .

(٢) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج٦ ص٤٢٩ .

أكبر مدنه ، كما يقال ايضاً : ارض بابل . ولا ينبغي أن يفهم من هذه العبارة أن الشيبباني يخرج من مدينة الكوفة تحديداً ، كما يتبادر لأول وهلة . إذ لو كان المقصود الكوفة حصراً لاستعمل عبارة (يخرج من أرض كوفان) بدلاً من ((يخرج بأرض كوفان)) وبينهما فرق ، كما لا يخفى .

وقول الباقر (ع) : ((ينبع كما ينبع الماء)) مشعر بفساد أصل الشيبباني ، أي أنه متولدٌ عن سفاح ، وقد جاء في خبر روي عن أمير المؤمنين (ع) وصف لرجل يظهر في العراق تنطبق موصفاته مع الشيبباني وفيه تصريح بفساد أصله . نأخذ منه موضع الحاجة ، قال علي (ع) : ((ويقدمهم رجل أسود اللون والقلب ، رث الدين ، لا خلاق له ، مهجن زعيم عتل ، تداولته أيدي العواهر من الأمهات من شر نسل ...))^(١) .

أما قوله ((فيقتل وفدكم)) فللاشارة الى تعرضه لوجهاء الناس وإشرافهم بالقتل ، كالعلماء والفقهاء والأخيار ، وذلك لما يمثله هؤلاء من خط معاكس لنهجه ، ولما يشكلوه من خطر على سلطانه . ويمكن أن نستنتج نت لقب هذا الحاكم (الشيبباني) عدة صفات يتميز بها . مثل المكر والدهاء ، والخبث واللؤم ، وعداوة الدين ... كما يجوز أن نستدل منه ايضاً على فساد أصله ، علاوة على ما تمت الإشارة إليه ، وذلك لأن الشيبباني هو الشخص المنسوب الى الشيطان ، ومن أنحاء النسبة إليه الشركة منه لأبيه ، مما يشير الى فساد أصله . والله أعلم .

٢- عوف السلمي

تحدث أخبار الظهور عن رجل يدعى عوف السلمي ، يخرج بأرض الجزيرة^(٢) . وليس هنالك في الأخبار ما يدل على كونه حاكماً ، غير أنه رجل مهم ، كأن يكون ثائراً ، أو قائداً متمرداً على الحاكم وخارج عليه ... روى حذلم بن بشير ، قال : قلت لعلي بن الحسين (ع) : صف لي خروج المهدي ، وعرفني

(١) النعماني ، الغيبة ص ٧٤ .

(٢) الجزيرة : هي الارض الممتدة بين نهري دجلة والفرات ، قسم منها في سوريا وقسم في العراق . أنظر

ما ذكرناه في التعريف بها : هامش ص .

توطئة إلى علائم الظهور (١٨٥)

دلائله وعلاماته ، فقال : ((يكون قبل خروجه ، خروج رجل يقال له : عوف السلمي ، بأرض الجزيرة ، ويكون مأواه تكريت^(١) وقتله بمسجد دمشق ، ثم يكون خروج شعيب بن صالح^(٢) من سمرقند^(٣) ، ثم يخرج السفياي الملعون من الوادي اليابس ، وهو من ولد عتبة^(٤) بن يزيد بن أبي سفيان . فإذا ظهر السفياي إختفى المهدي ، ثم يخرج بعد ذلك))^(٥) .

قد وردت كلمة تكريت في بعض النسخ هكذا : بكريت^(٦) ، وفي أخرى : بكويت^(٧) ، فلا بد إذن من أن تكون إحداها صحيحة والباقي مصحفة . ويمكن أن نناقش المسألة في نقطتين .

النقطة الأولى : إن مكان خروج عوف السلمي ليس هو نفس مأواه ، فإن سياق العبارة يأبى ذلك ، لمحل (الواو) التي تفيد الترتيب . أي أنه يخرج من موضع بأرض الجزيرة ثم يأوي الى تكريت أو كويت أو كريت .

النقطة الثانية : قد يكون الأنسب بالمقام أن نعتبر كلمة (تكريت) هي الصحيحة ، والبقية مصحفة وذلك بالنظر الى الفعل : أوى ، الذي يتعدى بحرف الجر (إلى) لا بالباء ، كما قال تعالى : ﴿ قال سأوي الى جبل يعصمني من الماء ﴾^(٨) ولذا فإنه يصح أن نقول : مأواه تكريت ، أي محل إقامته ، كما يصح أن نقول : مأواه كويت ، أو مأواه كريت . أما مع حرف الباء فلا يصح إلا بتكلف . وبما أن بناء الكلمة يحتمل التصحيف لا التحريف : كما لو قلنا (مأواه

-
- (١) وهي من مدن العراق المهمة ، شمالي مدينة بغداد ، على نهر دجلة .
 - (٢) القائد العسكري الكبير الذي يوطئ للمهدي (ع) سلطانه ، يظهر قبيل المهدي بأثنين وسبعين شهراً على بعض الروايات ، وليس هو الخراساني ، بل هو قائده الخاص .
 - (٣) سمرقند : بلد مشهور بما وراء النهر ، وهي في جمهورية اوزبكستان الحالية .
 - (٤) في بعض الروايات : من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان ، انظر ما أوردناه في شأن السفياي في (معركة قرقيسياء) .
 - (٥) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٧٠ .
 - (٦) كريت : : اسم لموضعين أحدهما بين الكوفة وفيد في العراق والآخر جزيرة في البحر المتوسط .
 - (٧) كويت : دولة جنوبي مدينة البصرة ، على الخليج .
 - (٨) هود : ٤٣ .

كويت أو كريت) لسقوط حرف من الكلمة ، علمنا أن الإختيار الأنسب هو تكريت ولذلك أثبتناه في المتن .

وقد يكون خروج هذا الرجل التكريتي من العراق الى سوريا هو لغرض الفرار من خطر يتهدهده ، كما لو يكون مطلوباً أو مطارداً من قبل حاكم العراق آنذاك ، ولسبب من الأسباب : كالتمرد على النظام أو ما أشبهه . ويظهر من الحديث ايضاً ، أن السلمي سوف يتم إغتياله في دمشق بينما يكون ثاوياً في مسجدها . ولعل هذا الاغتيال تكون له بواعث سياسية أو أمنية ، إذ ربما كان بقاءه حياً في المنفى (سوريا) يثير المشاكل لبعض الجهات . وليس بالضرورة أن تكون تصفيته على أيدي النظام العراقي آنذاك ، فمن المحتمل احتمالاً كبيراً أن تكون تلك التصفية على أيدي منظمات أو جهات إستخباراتية دولية .

٢- عبد الله

تحدث الأخبار عن موت حاكم عربي يدعى : عبد الله ، يكون آخر حاكم يجتمع عليه الناس قبيل خروج الامام المهدي (ع) . روى أبو بصير ، قال : سمعتُ أبا عبد الله (ع) يقول : ((من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم . ثم قال : إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد ، ولم يتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله ، ويذهب ملك السنين ويصير ملك الشهور والأيام . فقلتُ : يطول ذلك؟ قال : كلا))^(١) وليس في الأخبار ما يشير الى كون عبد الله هذا من جملة حكام بني العباس في دولتهم الثانية . فإنه شخصٌ آخر غير ما ذكر في بعض الأخبار ، روي عن كعب الأخبار ، قال : ((الملك لبني العباس حتى يبلغكم كتاب قرئ بمصر : من عبد الله عبد الرحمان أمير المؤمنين ؛ فإذا كان ذلك فهو زوال مكلهم وانقطاع مدتهم . فإذا قرئ عليكم أول النهار لبني العباس : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، فانتظروا كتاباً يُقرئ عليكم : من عبد الله عبد الرحمان أمير المؤمنين ، وويلُ

توطئة إلى علائم الظهور (١٨٧)

لعبد الله من عبد الرحمان))^(١) فعبد الله المذكور في حديث كعب هذا هو آخر خلفاء بني العباس في دولتهم الأولى .
روى كعب الأحبار خبراً آخر في هذا الصدد ، جاء فيه : ((إذا ملك رجل من بني العباس يقال له : عبد الله ، وهو ذو العين^(٢) ، بها إفتتحوا وبها يختمون : وهو مفتاح البلاء وسيف الفناء . فإذا قرئ له كتاب بالشام : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، لم تلبثوا أن يبلغكم أن كتاباً قرئ على منبر مصر من عبد الله عبد الرحمان أمير المؤمنين))^(٣) من الثابت تأريخياً أن اسم أول خلفاء بني العباس هو عبد الله أبو العباس السفاح واسم آخر خلفاءهم هو عبد الله المستعصم بالله . والاشارة إلى هذا الأخير في خبري كعب المتقدمين ظاهر .

ويبدو لي أن عبد الله المذكور في حديث الصادق (ع) والذي يكون في .ته خروج القائم (عجل الله فرجه) هو الخليفة الذي يبشر بموته راكب الناقة اعلبة^(٤) في موسم الحج يوم عرفة . روي عن الصادق (ع) أنه قال : ((بيننا الناس وقوف بعرفات ، إذ أتاهم راكب على ناقة ذعبله ، يُخبرهم بموت خليفة ، عند موته فرج آل محمد وفرج الناس جميعاً))^(٥) وهناك قرينتين تشيران إلى أن الخليفة هذا هو عبد الله المذكور آنفاً :
القرينة الأولى : أن الحديثين بصدد الكلام عن موت حاكم في آخر الزمان .

القرينة الثانية : أن فرج آل محمد في الحديث الثاني تعبير هو آخر عن خروج القائم (ع) ، كما في الحديث الأول .
يضاف إلى ذلك أن الحديثين كلاهما مروى عن الصادق (ع) . وليس

(١) نفس المصدر ص ٢٧٠ .

(٢) ذو العين أي الذي يتدء اسمه بحرف العين .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٤) الذعبله : السريعة . والناقة الذعبله : تشير إلى إحدى وسائل النقل السريعة كالسيارة وغيرها .

(٥) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ص ٢٣٥ .

هنالك ما يساعدنا على تحديد جنسية هذا الحاكم فهل هو من جملة بني العباس في الدولة الثانية أم أنه حاكم عربي آخر؟ غير أن قول الصادق (ع) : ((بيننا الناس وقوف بعرفات ... الخ)) يشير الى أن نبأ موته لا يعلن عن طريق وسائل الاعلام ابتداءً ، بل يصل الى أسماع الناس عن طريق راكب الذعلبة ، ولا بد أن نفترض أن راكب الذعلبة هذا من سكان المملكة العربية السعودية ، وأنه ليس من جملة الحجيج المتجمعين بعرفات ، كما يتبادر لي من تدبر الحديث ، فإن صحَّ هذا التبادر أمكن الاستنتاج بكون الخليفة المذكور هو حاكم السعودية آنذاك . والتبرير الذي يقال في علة عدم إعلان موته حين حدوثه إلا عن طريق راكب الذعلبة ، هو أن هذا الخليفة أي الملك يموت في ظرف لا يستطيع معه إعلان نبأ الموت ابتداءً ، كأن يكون موته على أثر مرض يُلم به يستلزم أن يحدث بعد ذلك بفترة قصيرة ، فيكون راكب الذعلبة على هذا من خواصه أو طبيبه ، أو شخص ماله علاقة بهما . والله تعالى أعلم بحقيقة الحال .

وهناك شخصية مهمة وغامضة أخرى وهو المرواني أرجئنا بحثها الى الباب القادم : معركة قرقيسياء ، وذلك لإرتباطها بملابسات وظروف القتال حينئذ .

الفصل الثالث

علائم قد تحققت في عصرنا

١- عروج العقول

روي عن رسول الله (ص) أنه قال : ((تكون فتنة تعرج فيها عقول الرجال ، حتى لا يكاد يرى رجلاً عاقلاً))^(١) . وفي رواية أخرى ، ذكر رسول الله (ص) : ((هرجاً بين الناس يقتل الرجل جاره وأخاه وابن عمه . قالوا ومعهم عقولهم؟ قال : يُنزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان ، ويُخلف لهم هباء من الناس يحسب أحدهم أنه على شيء))^(٢) .

إن هذه العلامة قد تحققت في هذا العصر ، إذ لا يرى في الناس من بين ألف رجل ، عاقل واحد . وليس معنى العقل القدرة على أعمال الفكر أو سعة العلم ، بل العقل هو حسن النظر في عواقب الأمور ووضع الأمور في مواضعها الصحيحة . قيل لأمير المؤمنين (ع) : صف لنا العاقل . فقال (ع) : ((هو الذي يضع الشيء مواضعه . فقيل : فصف لنا الجاهل . فقال : قد فعلت))^(٣) يعني

(١) ابن طاووس ، الملاحم والفتن ، ص ٢٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٣ .

(٣) نهج البلاغة ، الحكمة : ٢٣٥ ، ص ٥٤٠ .

(١٩٠)علائم قد تحققت في عصرنا

أن الجاهل : هو الذي يكون بخلاف العاقل ، أي من لا يضع الشيء مواضعه .
ويستدل على عقل الرجل بدينه ، كما روى ابن عباس عن النبي (ص) أنه
قال : ((أساس الدين بني على العقل ، وفرضت الفرائض على العقل ، وربُّنا
يُعرف بالعقل ، ويتوسل إليه بالعقل . والعاقل أقرب إلى ربه من جميع
المجاهدين بغير عقل . ولثقال ذرة من برِّ العاقل أفضل من جهاد الجاهل ألف
عام))^(١) . وروى عنه (ص) ، قال : ((قُسِّمَ العقل على ثلاثة أجزاء ، فمن
كانت فيه كمل عقله ومن لم تكن فيه فلا عقل له : حُسن المعرفة بالله
تعالى ، وحُسن الطاعة له ، وحُسن البصيرة على أمره))^(٢) . وأين أبناء هذا
الزمان من كل ذلك؟

٢- الهلال لليلة أم لليلتين؟

من العلام التي تحققت في هذا العصر هو عدم اتفاق الناس على كون
الهلال الذي يشاهد أول الشهر أهو لليلة أم ليلتين؟
ولذلك ترى - على الدوام - وجود اختلاف بين بعض طوائف المسلمين
حول قضية رؤية الهلال حتى داخل القطر الواحد ، فمن قائل : الهلال لم يهل ،
ومن قائل : لا بل هو قد ولد ولكن تصعب رؤيته . ومن قائل : أن هذا الهلال
كبير لا يصح أن يكون لليلة بل هو لليلتين . . وهكذا . ويظهر من الأخبار أن
الهلال يُرى كبيراً في آخر الزمان حتى يظن من يراه أنه لليلتين ، وفي الحقيقة
هو لليلة واحدة .

روي عن رسول الله (ص) أنه قال : ((إنَّ من إقتراب الساعة أن يُرى الهلال
ليلتهُ ، فيقال : لليلتين . وأن يمر الرجل في المسجد فلا يصلي فيه ركعتين))^(٣)
وعنه (ص) : ((من أشرط الساعة إنتفاخ الأهلة))^(٤) .

(١) محمد الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ج ١ ص ٧ .

(٢) الصدوق ، الخصال ، ص ١٠٢ ، باب الثلاثة .

(٣) محمد حسن ميرجهاني ، نوائب الدهور في علائم الظهور ، ص ١٢٨ ، والملاحم والفتن ص ١٦٠ ،

(٤) نفس المصدر ص ١٢٨ .

توطئة الى علائم الظهور (١٩١).

٣- التحية على حسب المعرفة

روي عن النبي (ص) قال : ((لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة ، وأن هذا عرفني من بينكم فسلم علي . . .))^(١) وروي عن النبي (ص) قال : ((لا تقوم الساعة حتى يكون التسليم على الخاصة دون العامة))^(٢) ولقد تحققت هذه العلامة حتى أصبحنا نتشاكل عن تأدية تحية الاسلام رغم ما فيها من أجر وما يترتب عليها من تقوية الرابطة الاجتماعية والدينية بين المسلمين ، وحتى أصبح البعض يستعمل بدلاً عن قول : السلام عليكم تحية أخرى مستوردة من أعداء الاسلام ، ويلقيها على مسامعنا أحياناً بلغتها ، دون حياء ولا وازع من دين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٤- أقوام بصور الآدميين وقلوب الشياطين

روي عن رسول الله (ص) : ((سيجيء في آخر الزمان أقوام تكون وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين ، أمثال الذئاب الضواري ، ليس في قلوبهم شيء من الرحمة ، سفاكين للدماء ، لا يراعون عن قبيح ، إن تابعتهم واروك وإن تواريت عنهم إغتابوك ، وإن حدثوك كذبوك ، وإن إئتمنتهم خانوك . صبيهم عارم ، وشابهم شاطر ، وشيخهم لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر . الاغترار بهم ذل ، وطلب ما في أيديهم فقر . الحليم فيهم غاو ، والأمر بالمعروف متهم . المؤمن فيهم مستضعف ، والفاسق فيهم مشرف . السنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة . فعند ذلك يُسلط الله عليهم شرارهم ، ويدعو خيارهم فلا يستجاب لهم))^(٣) وهذا الخبر لا يحتاج إلى تعليق . وروي عنه (ص) قال : ((سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا ، لا يريدون به ما عند ربهم ، يكون يدنهم رياء ، لا يخالطهم خوف . يعمهم الله بعقاب ، فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم))^(٤)

(١) نور الدين ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج ٥ ص ٣٢٩ .

(٢) محمد حسن ميرجهاني ، نوائب الدهور ، ص ٢٣٣ .

(٣) نور الدين الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج ٥ ص ٣٢٥ .

(٤) محمد حسن ميرجهاني ، نوائب الدهور ، ٢٧١ .

(١٩٢) علائم قد تحققت في عصرنا

٥- المساجد للدنيا

روي عن النبي (ص) : ((يأتي في آخر الزمان أناس من أمتي يأتون المساجد ، يقعدون حلقة ذكرهم الدنيا وحب الدنيا ، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة))^(١) ، وهذا ما تحقق بالفعل في أيامنا ، فالناس يأتون إلى المساجد لا بهدف العبادة بل بهدف النزهة والتحدث بأمور الدنيا ، ولن تجد من بين العدد الكبير من يأتون المساجد إلا النزر اليسير من المؤمنين ، وبعض الناس يقومون باصطحاب نساءهم واولادهم ، فأما النساء فعرائس ، وأما الأولاد فبالس . . .

روي عن النبي (ص) أنه قال : ((سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرجال)^(٢) ، ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت^(٣) ، فالعنوهن فإنهن ملعونات . . .))^(٤) وفي رواية أخرى ، قال (ص) : ((يكون في هذه الأمة رجال يركبون على الميثر^(٥) حتى يأتوا أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف))^(٦) .

أن معنى كاسيات عاريات هو أنهن يلبسن ثياباً لا تسترهن فتبين من خلالها أعضائهن فكأنهن عاريات . وأما أسنمة البخت فاستعارة بليغة عما تضعه المرأة - في هذه الأيام - على رأسها ، كالقبعة أو ما أشبهه ، وربما دل ذلك على نوع من التسريجات التي تعلو فوق الرأس كسنام البعير . .

(١) نفس المصدر .

(٢) كناية عن المركبات الحديثة (السيارات) .

(٣) الأسنمة جمع سنام : حدبة في ظهر البعير ، والبخت : الإبل .

(٤) نور الدين الهيتمي ، مجمع الزوائد ، ج ٥ ص ١٣٧ .

(٥) الميثر : السروج العظيمة ، كناية عن المركبات الحديثة .

(٦) محمد حسن ميرجهاني ، نوائب الدهور ، ص ٢٦٥ .

توطئة الى علائم الظهور..... (١٩٣).

٦- الثياب المشتركة بين الرجل والمرأة

تتحدث أخبار آخر الزمان عن ظهور موضة الثياب المشتركة بين الجنسين ، حيث تلبس المرأة والرجل كلٌ منهما زياً واحداً ، وذلك قد تحقق في عصرنا حتى صرنا لا نستغرب من هذا الأمر ونعدّه من مقتضيات الذوق العصري والتطور الحضاري . روي عن النبي (ص) ، قوله : ((إذا ظهرت القلانيس المشتركة ظهر الزنا))^(١) والقلانيس جمع قَلْنِسوة وهي الثوب ، وربما كان سبب تأدية لبس الثياب المشتركة إلى تفشي الزنا ، هو أن الذي يشترك بين الرجل والمرأة يكون عاملاً مساعداً على حصول الاختلاط بينهما ، وهذا ما يشير إليه الحديث إشارةً بليغة لا تخفى على اللبيب ، فالقلانيس المشتركة التي يرتديها الجنسان تدلُّ على سقوط الحياء ، باعتبار أنه لا ضير لذيهما ولا أنفة فيما يتعلق بتشبه كلٍّ منهما بالآخر من حيث المظهر ، وإذا كان الأمر هكذا ، فلا ضير في اختلاطهما معاً . والاختلاط يحرض على الفجور ، كما لا يخفى . وقد جاء لعن هؤلاء على لسان النبي (ص) حيث روي عنه أنه قال : ((لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء))^(٢)

٧- حرب الخليج؟

روي عن الصادق (ع) أنه قال : ((يُزجر الناس قبل قيام القائم (ع) عن معاصيهم بنار تظهر في السماء ، وحمرة تجلجل السماء ، وخسف ببغداد ، وخسف ببلدة البصرة ، ودماء تسفك بها ، وخراب دورها ، وفناء أهلها . وشمول أهل العراق خوفاً لا يكون لهم معه قرار))^(٣)

الذي يتبادر إلى ذهني في توجيه هذا الحديث ، أنه يشير إلى حصول هجوم جوي على العراق ، حيث تقصف كلٌ من بغداد والبصرة ويحلّ بهما الدمار والخراب ولا سيما في البصرة . فالقصف الجوي قد عبر عنه في الحديث بلفظة الخسف ، وهما يدلان على معنى واحد ، وذلك يلاحظ ما يترتب على

(١)

(٢) نور الدين الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ص ١٠٣ .

(٣) الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ص ٤٠٨ ط نجف .

(١٩٤) علائم قد تحققت في عصرنا

كل منهما من نتيجة ، أعني انخساف الأرض . أما النار التي تظهر في السماء فربما تشير إلى الطائرات المغيرة ، فقد ورد خبر يمكن من خلاله استفادة هذا المعنى^(١) ، بينما تشير الحمرة التي في السماء إلى نيران المدافع الرشاشة المضادة للطائرات حيث تبدو السماء حين إطلاقها حمراء ولا سيما ليلاً ، والله أعلم . أما (شمول أهل العراق خوفاً لا يكون لهم معه قرار) فلعله إشارة إلى الهلع الذي يصيب سكان العراق على أثر هذا الهجوم مما يدفعهم إلى الفرار والتنقل من مكان إلى مكان خوفاً من خطر القصف الجوي .

والخبر المتقدم يرسم لنا صورة تكاد تكون طبق الأصل لما حدث بالفعل في العراق إبّان حرب الخليج الثانية . فقد دام الهجوم الجوي على مدن العراق حوالي أربعين يوماً بلياليها ، حتى أن شهوداً عياناً من أهل بغداد قد وصفوا لنا سماء بغداد في ليلة ١٦-١٧ / ١ / ١٩٩١ بأنها تحولت إلى قطعة حمراء بلون الدم بسبب كثافة ما تعرضت له من نيران المدافع المقاومة للطائرات والتي كانت تطلق بغزارة من جميع جهات العاصمة .

أما خسف بغداد والبصرة ، فالكل يعلم مدى ما حلّ بهما من تخريب على إثر العدوان وقد تمّ توثيق الدمار الذي تعرضتا له بأفلام التقطت بالأقمار الصناعية وعرضت في كافة أنحاء العالم . وقد شهدنا ما نجم عن هذا الهجوم من أضرار ليس فقط في الممتلكات ، بل أيضاً في الأرواح والمعنويات ، حيث هرع الناس إلى الفرار من المدن باتجاه الضواحي بأنفسهم وذرائعهم ناحية القرى والأرياف والمزارع ، وذلك لكي يدرأوا عن أنفسهم ذلك القصف العشوائي الذي كان يطال كل شيء ، حتى أننا شهدنا بأب أعيننا سقوط الصواريخ على الأحياء

(١) روي عن رسول الله (ص) : ((لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة ... تغشى الناس فيها عذاب أليم ، تأكل الأنفس والأموال ، تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام ، تطير طير الريح والسحاب حرها بالليل أشد من حرها بالنهار ، ولها بين السماء والأرض دوي كدوي الرعد القاصف ، هي من رؤوس الخلائق أدنى من العرش ، فقال حذيفة : يارسول الله ، أسليمة هي يومئذ على المؤمنين والمؤمنات ؟ قال : وأين المؤمنون والمؤمنات ؟ الناس يومئذ شر من الحمُر يتسافدون كما تتسافد البهائم ، ليس هناك رجل يقول لأحدهم مه مه .)) . الشيخ عبد الوهاب الشعراني مختصر التذكرة القوطية ص ١٣٧ .

توطئة الى علائم الظهور (١٩٥).

السكنية الآهله بما تسبب عنه هلاك العشرات بل المئات من أبناء شعبنا ، وأنا لله وإنا إليه راجعون .

٨- الحصار الاقتصادي على العراق

روي عن النبي (ص) أنه قال : ((يوشك أهل العراق أن لا يُجبي عليه قفيز ولا درهم . قيل : من أين؟ قال : من قبل العجم ، يمنعون ذلك . . .))^(١) وروي عن السائب عن أبيه ، قال : دخلتُ على عبد الله بن عمر في حائط^(٢) ، فقال ممن أنت؟ فقلتُ : من أهل العراق . قال : فحلف والله! (لا يستثنى) : ((ليخرُجنَّ منها حتى لا يملكون منها صاعاً ولا مدّاً))^(٣) .

القفيز : مكيال يكال به الطحين وما أشبهه ، ويقال ايضاً على المكيال ، أي الطعام الذي يُكال ، وهو هنا كناية عن المواد الغذائية عامة . أما الصاع والمد : هما مكيالان آخران ، يُشار بهما ايضاً إلى نفس المعنى المتقدم . والدرهم معروف وهو كناية عن الأموال النقدية . فمعنى عدم جباية القفيز والدرهم إلى العراق هو قطع الارزاق عن هذا البلد وتجميد أمواله ، وقوله : ((يمنعون ذلك)) للإشارة إلى كون تلك المقاطعة الاقتصادية لا تكون على إثر نقص طبيعي في الموارد ، وإنما بقرار يتم اتخاذه ((من قبل العجم)) وهم كافة الأقسام من غير العرب ، أو إشارة إلى عالمية هذه المقاطعة .

لقد تحقق ذلك بالضبط كما جاءت به الأخبار ، فقد فرض الحصار الاقتصادي الشامل من قبل كافة الدول وذلك على إثر حرب الخليج الثانية مباشرة ، وما زال الحصار قائماً حتى ساعة كتابة هذه الأسطر^(٤) . وهناك نكتة وردت في الخبر الذي ذكرناه عن ابن عمر تستحق الوقوف عندها قليلاً . وهي قوله : ((ليخرُجنَّ منها)) يلوح بالظاهرة التي نشهدها منذ أن بدء الحصار ألا

(١) محمد حسن ميرجهاني ، نوائب الدهور ، وذكره ابن طاووس برواية جابر بن عبد الله عن حذيفة بن اليمان في الملاحم والفتن ص ١٣٦ باختلاف يسير .

(٢) أي : في بستان .

(٣) ابن طاووس ، الملاحم والفتن ، ص ١٧٧ .

(٤) حزيران عام ٢٠٠٠ .

(١٩٦)علائم قد تحققت في عصرنا

وهي : هجرة العراقيين إلى الخارج ، ويقدر عدد العراقيين المتواجدين الآن عام (٢٠٠٠) في الدول الأخرى بحدود خمسة ملايين ، وأغلبهم من الكوادر المتقدمة والمثقفين والعلماء . . . وقد دعيت هذه الظاهرة : بهجرة العقول ، وهي تسمية لا تعدو الصواب ، وإن كان ما يزال في هذا البلد أضعاف تلك العقول ، مما يسبب للدول الكبرى المعادية للإسلام بعامة ولشيعة العراق بوجه خاص ، إخراجا شديدا .

وهناك - في بعض الأخبار - تفصيل لما حدث في العراق بعد الحرب ، وإرجاع سبب كل ذلك إلى حكام بني العباس في دولتهم الثانية : روى محمد بن مسلم ، قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : ((إن لقيام القائم علامات تكون من الله عز وجل للمؤمنين . قلت : وما هي جعلني الله فداك؟ قال : قول الله عز وجل : ﴿ولنبلونكم...﴾ يعني : المؤمنين ، قبل خروج القائم ﴿بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾^(١) قال : نبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بن فلان ، في آخر سلطانتهم ، والجوع : بغلاء أسعارهم ، ونقص من الأموال ، قال : كساد التجارات وقلة الفضل . ونقص من الأنفس ، قال : موت ذريع . ونقص من الثمرات : قلة ريع ما يزرع . وبشر الصابرين : عند ذلك بتعجيل خروج القائم))^(٢) .

٤- الطغاة وعداوة الشعوب

تحدث أخبار آخر الزمان عن ظهور نمط مستهتر من السلاطين والطغاة الجبابرة ، وتصفهم بالقهر والتسلط على مقدرات شعوبهم ظلما وعدوانا . ويكون مبلغ غطرسة هؤلاء أنهم يبتغون ليس فقط التسلط على أرزاق وحقوق المواطنين ، بل أيضا على ضمائرهم وعقولهم . حيث يجب على المواطن المسكين في سبيل أن يكون في منجى من جورهم أن يصدق أقوالهم وإن كانت كذبا ، وأن يحسن

(١) البقرة : ١٥٠ .

(٢) الصدوق ، اكمال الدين

توطئة الى علائم الظهور (١٩٧).

فعلهم وإن كان قبيحاً . وتلك المرتبة من الطغيان تتجلى بأبشع صورها في عصرنا الراهن . . . والكل يشهد بها ، والله من وراءهم شهيد .

روي عن رسول الله (ص) أنه قال ((يكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم ، يحدّثوكم فيكذبون ، ويعملون ويسبئون العمل . لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم وتصدّقوا كذبهم ، فأعطوهم الحق ما رضوبه ، فإذا تجاوزوا ، فمن قُتل على ذلك فهو شهيد .))^(١)

وروي عنه (ص) قال : ((خذوا العطاء ما دام عطاءً ، فإذا صار رشوة على الدين لا تأخذوه . ولستم بتاركيه ! يمنعكم الفقر والحاجة . ألا أن رحى الاسلام دائرة ، فدوروا مع الكتاب حيث دار ، ألا أن الكتاب والسلطان سيفترقان ، فلا تفارقوا الكتاب . ألا إنّه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم مالا يقضون لكم ؛ فإن عصيتموهم قتلوكم ، وإن أطعتموهم أضلّوكم . قالوا : يا رسول الله كيف نصنع ؟ قال : كما صنع أصحاب عيسى بن مريم : نُشروا بالمناشير وحملوا على الخشب . موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله .))^(٢)

وفي هذا الحديث الأخير جملة من الحقائق ينبغي لفت الأنظار إليها : الحقيقة الأولى : تفشي الفساد الإداري في مؤسسات ودوائر الأنظمة الطاغوتية آنذاك ، فالموظف يبتلى شاء أم أبى (بسبب الفقر والحاجة) بمدّ يده للرشوة .

الحقيقة الثانية : انفصال الدين عن الدولة ، كما هو ظاهر في قوله (ص) : ((أن الكتاب والسلطان سيفترقان .))

الحقيقة الثالثة : جور الحكام وغطرستهم وعدوانهم على الناس بالقتل والإضلال والتنكيل وغير ذلك .

الحقيقة الرابعة : الوصية بعدم الانحراف عن الدين ، وامتنال تعاليمه حتى إذا إنجر الأمر إلى التعرض لأصناف التعذيب أو القتل من قبل الطواغيت ،

(١) الحافظ نور الدين الهيثمي ، مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٢٨ .

(٢) نفس المصدر ج ٥ ص ٢٣٨ .

(١٩٨)علائم قد تحققت في عصرنا

فطاعة الله أمرٌ لا يمكن المساومة فيه .

١٠ - قتل العلماء

ورد في قسم من الأخبار ذكر المحنة التي يتعرض لها علماء الاسلام في آخر الزمان . وذلك بتنفيذ عمليات الاغتيال ضدهم ، وإهدار دماءهم من جانب أعداء الله والانسانية . وليس لهم من ذنب سوى أنهم حماة حوزة الدين ومنار رفعة علم اليقين . فياليت العلماء أخفوا علمهم وتصنعوا الجهل حتى يصونوا أنفسهم المقدسة عن أن تمتد إليهم أيدي المجرمين بالسوء .

روى عن النبي الكريم (ص) أنه قال : ((يأتي على الناس زمان يُقتل فيه العلماء كما يُقتل اللصوص ، فياليت العلماء تحامقوا في ذلك الزمان .))^(١) . إن هذه العلامة من المتحققات ، وقد شهدنا في هذا العصر العديد من مصاديقها ، حيث تم قتل عدد من العلماء بأساليب قذرة وجبانه من قبل مجموعة من الحثالة من أعوان الأنظمة الطاغوتية في بعض البلدان العربية ، لقد قُطع على العلماء الطريق وأخذوا غيلةً كأنهم لصوص قد هدرت دماؤهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد جاء وصف هذه الظاهرة على لسان الامام الصادق (ع) بقوله : ((يأتي على الناس زمان يصيبهم فيها سبطة يأرز العلم فيها كما تأرز الحية في جحرها . . .))^(٢) فسبطة : لفظة مشتقة من الفعل أسبَطَ : أي سكت خوفاً أو وقع فلم يقدر أن يتحرك^(٣) . وهي كناية عما يتعرض إليه الناس من التضييق والتنكيل من قبل الطواغيت ، وقوله : ((يأرز العلم فيها كما تأرز الحية في جحرها)) تعبير مجازي عن الإقامة الجبرية التي تفرض على العلماء في ذلك العصر أو عن عدم السماح لهم بنشر العلم فالفعل أرز يأتي بمعنى تقبُّض ، أي تقوقع على نفسه . فالعلماء بسبب ما يمتحنون به في ذلك العصر يلجأون إلى

(١) محمد حسن ميرجهاني ، نوائب الدهور ، ص ٥٥٨ .

(٢) النعمان ، الغيبة ص ٨١ .

(٣) أنظر المنجد مادة : أسبَطَ ، ومادة : أرز .

توطئة الى علائم الظهور..... (١٩٩)

بيوتهم ويمتنعون من الخروج ، كما تلجأ الحية إلى جحرها خوفاً من القتل .
هذا آخر ما نوردته في هذا الباب من علائم ما قبل الظهور ، ونرجى
التوسع فيها إلى فرصة أخرى إن شاء الله تعالى .

الباب الثاني

معركة قرقيسيا

معركة قرقيسيا

مهيد

لقد ذكرت أخبار الظهور حدوث معركة عظيمة قبيل خروج الامام المهدي (ع) ، معركة تباد فيها جيوش عن بكرة أبيها ، وتزلزل مدن وقرى كبيرة ، وتنهدم أبنية وحصون منيعة . . حقاً إنها تتركز في بقعة صغيرة من الأرض ، ولكنها عالمية بكل ما فيها : عالمية بأسبابها ونتائجها ، عالمية بغاياتها وأهدافها ، عالمية بعدد الدول المشاركة فيها ، وأخيراً عالمية في طرائق آلياتها وتجهيزاتها وأسلحتها .

إن أغلب الباحثين لم يستفرغوا وسعهم في تحليل صفحاتها ، ولا في تحديد فصولها . وربما كانوا معذورين في ذلك ، إذ أن إماطة اللثام عن وجه المفارقة والتعارض الظاهر في رواياتها ، أمر عسير ومهمة شاقة . كما أن النتائج التي من الممكن أن تتمخض عنها دراسة معمقة وموضوعية حول هذه المعركة ، ربما لا تنسجم مع ما تريده بعض الأطراف ، وما يُحبّذه بعض الأشخاص!

إن معركة قرقيسيا هي أكبر حدث عالمي على الاطلاق ، تندلع في أرض الشام قبيل الظهور المقدس لصاحب العصر (ع) . . فلا ينبغي إذن ، ومهما

(٢٠٤) معركة قرقيسيا

كانت الدوافع ، أن تهمل أو تُهمَّش ، . . . لقد حاولنا كشف بعض ما يرتبط بهذه المعركة الحاسمة من غموض ، ورسمنا ، طبقاً لما تجمع لدينا من أخبار ، (سيناريو) ما سوف يجري على مسرحها من أحداث . ولم يكن من غرض لدينا سوى سدّ هذه الفجوة التي تبدو في الهيكل العام لعلائم الظهور . . . نرجو أن نكون موفقين فيما توصلنا إليه من نتائج خدمة للحركة المهدوية وقيام دولة القسط والعدل - والله الموفق .

الموقع الجغرافي لقرقيسيا

يقول صاحب معجم البلدان في تحديد الموقع الجغرافي لقرقيسيا : ((بلدٌ على نهر الخابور ، وقرب رحبة مالك بن طوق ، على ستة فراسخ . وعندها مصب نهر الخابور في الفرات : فهي مثلث بين الخابور والفرات))^(١) أما رحبة مالك بن طوق فهي : ((رحبة تقع على الفرات بين الرقة (السورية) وعانة (العراقية) أحدثها مالك بن طوق في خلافة المأمون))^(٢) . ولقد التبس الأمر على الشيخ علي الكوراني (وفقه الله) ، في كتابه الموسوم (المهدون للمهدي) حينما حاول تطبيق هذه المعلومات على الخارطة الجغرافية للمنطقة . حيث ظن أن قرقيسيا بلدة حدودية واقعة بين كل من سوريا وتركيا والعراق ، قال في فصل صغير عقده لهذا الغرض بعنوان (الایرانیون ومعركة قرقيسيا) ما يلي : ((فهي - أي قرقيسيا - في شمال سوريا قرب الحدود السورية التركية العراقية ، وهي اليوم أطلال تقع بقربها مدينة دير الزور (السورية))^(٣) في حين أن مدينة دير الزور تقع في وسط شرق سوريا على نهر الفرات ، وهي تبعد عن تركيا بمئات الكيلومترات ، وعن الحدود العراقية بما يزيد على المائة وخمسين كيلو متراً^(٤) .

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م ٤ ص ٣٢٨ .

(٢) صفی الدین البغدادي ، مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٦٠٨ .

(٣) علي الكوراني ، المهدون للمهدي ، ص ٢٧٩ .

(٤) انظر الخارطة المرفقة بهذا الكتاب ص ، وراجع الخرائط التاريخية التي اعتمد عليها المستشرق

توطئة إلى علائم الظهور (٢٠٥)

الفرات وكنز الذهب

قبل أن نشرع بالخوض في تفاصيل هذه المعركة ، ينبغي أن نلفت الانتباه الى لبس آخر وقع فيه الشيخ الكوراني (حفظه الله) في كتابه المذكور . إذ عدّ حدث (إنحسار الفرات عن كنز من ذهب) كما جاء في بعض الأخبار ، سبباً مباشراً لنشوب القتال في قرقيسياء ، قال : ((أما سببها فهو الكنز الذي يُكتشف أو يظهر عند نهر الفرات أو في مجراه))^(١) ، حيث ظن أن اكتشاف الكنز في مياه المنطقة يكون سبباً مباشراً في إشعال فتيل المعركة ، وهذا الظن مرتكز على رايه السابق بصدد موقع قرقيسياء : فإن كون المنطقة حدودية هو التبرير المعقول لحصول النزاع ، قياساً على ما وقع في بعض المعارك في العصر الحديث والمعاصر ، مثل النزاع على قطعة أرض أو جزيرة في بحر مشترك . . . وهكذا .

ونحن لو تنزلنا ، وقبلنا أن يكون اكتشاف الكنز سبباً للنزاع ، إلا أنه ليس سبباً لهذه المعركة حصراً ، نعم ، إن صح خبر هذا الحدث ، فإنه يكون متزامناً مع المعركة لا سبباً لها . ان القول بسببية حدث (الإنحسار عن الكنز) في نشوب معركة قرقيسياء يفتقر الى تبرير أمرين ، وكلاهما مما لا يمكن تبريره إلا بتكلف ، وهما :

الأول : سلوك السفيناني بعد خروجه من المعركة منتصراً . إذ ورد في أخبار الظهور أن السفيناني بعد أن يحسم هذه المعركة لصالحه سوف يمضي قدماً في معاركه ويغزو العراق ، فذلك هو الهم الأكبر لديه - كما سوف يتضح^(٢) - فلو كان حدث الانحسار هو السبب المباشر لحدوث معركة قرقيسياء ، لأدّى حسم المعركة في سوريا الى توقف السفيناني عن مواصلة القتال سواءً على الجبهة العراقية أم التركية . ومنه يُعلم أن الهدف ليس هو الاستحواذ على

بروكلمان في كتابه (تاريخ الشعوب الاسلامية) المرفقة بين صفحة ٢٥٦ وصفحة ٢٥٧ من كتابه .

(١) علي الكوراني ، المهدون للمهدي ، ص ٢٧٩ .

(٢) انظر ص ١٦ من هذا الفصل .

الكنز ، وبالتالي فإنه من غير المرجح أن يكون سبباً للقتال .
الأمر الثاني : أن القرائن تشير الى أن هذا الكنز مما لا يقبل الانتفاع منه مباشرة . فقد روى الشيخ علي بن حسام المشهور بالمتقي الهندي في كتابه (البرهان في علامات مهدي آخر الزمان) الخبر هكذا : ((يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً))^(١) ويمكن أن يوجه هذا الحديث بتوجيهين :

التوجيه الأول : أن اللام ، في عبارة (فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً) ناهية ، فتكون العبارة ، طبقاً لذلك ، إنشائية ، أي أنها في مقام تحذير الناس ونهيهم عن أن يأخذوا شيئاً من ذلك الكنز الذي يحسر عنه الفرات . وعليه تكون علة المنع هي : حدوث أمر خطير يحول بين الناس وبين الأخذ المقذور لهم ، كالوباء أو حدوث زلزال ، أو ما أشبهه .

التوجيه الثاني : أن اللام ، في العبارة المذكورة ، نافية ، فتكون العبارة ، تبعاً لذلك ، خبرية ، أي أنها في مقام تقرير واقع هو : أنهم - بالفعل - غير قادرين على أخذ شيء . وعليه ، فيكون المانع في الكنز نفسه ، أي أنه ليس مما يمكن الأخذ منه مباشرة . وحينئذ يكون المراد من قوله : ((يحسر عن كنز من ذهب)) المعنى المجازي لا الحقيقي .

ونحن نميل الى ترجيح التوجيه الأخير ، إذ أن هنالك أخبار أخرى تؤيد كون الكنز محمولاً على المجاز لا الحقيقة ، ومنه الحديث الذي رواه المتقي الهندي في كتابه المشار إليه ، قال : ((لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، يقتتل عليه الناس ، فيقتل تسعة أعشارهم))^(٢) وهنا ، نلاحظ أن هذا الحديث استعمل عبارة (جبل من ذهب) عوضاً عن (كنز من ذهب) ، وذلك صريح في إرادة المعنى المجازي ، إذ كيف يجوز أن يحسر مجرى النهر عن جبل ؟ فإن قيل : لا دليل هنالك على ما ذكر في التوجيه الثاني من كون الكنز

(١) المتقي الهندي ، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان ، ج ٢ ص ٦٤٠ ح ١١٥ .

(٢) نفس المصدر .

توطئة إلى علائم الظهور (٢٠٧)

بما لا يمكن الأخذ منه مباشرة ، حتى وإن سلمنا لكم بصحة حمل المعنى على المجاز ، إذ لا موجب للتخصيص بذلك المذكور ، بل قد يستفاد من المجاز عكس ما ذكر في التوجيه ، فإن الجبل يحتمل أن يكون كنايةً عن عظم الكنز ، لا عن عدم جواز الأخذ منه مباشرة!

أقول : أن الذي أشكل به علينا إنما يصح لو كانت العبارة مجردة عن القرائن الأخرى ، كقرينة الاقتتال التي لا تناسب القول بعظم الكنز ، بل تناسب القول بندرته ، كما سنسمع .

ومعنى أن ذلك الكنز مما لا يمكن الأخذ منه مباشرة ، أنه شيء غير قابل للتناول أو الاستهلاك الأني المباشر . أي أنه الانتفاع به يفتقر إلى وقت وجهد أو تقنية عالية ، كأن يكون الكنز عبارة عن حقول ضخمة للبترول (الذهب الأسود) أو منجماً كبيراً لعنصر نفيس كاليورانيوم ونحوه ، أو كنزاً أثرياً ذا قيمة تاريخية عظيمة ، وما أشبه . ولأ مانع لدينا من كون الكنز - بالفعل - كنزاً من ذهب ، ولكن بتلك الصفة : أي مما لا يؤخذ منه مباشرة . كأن يكون منجماً تحت الأرض في مجرى النهر أو بالقرب منه .

ويبدو للناقد البصير أنه من غير المناسب في ظل التوجيه الذي أخذنا به أن يوجد ثمة داع معقول لحدوث القتال أو الاقتتال ، فضلاً عن فناء ذلك العدد الضخم من البشر بالفعل بسببه! ونرى : أن التبرير المقبول لحدوث هذا الاقتتال بين الناس ، بعد التسليم بعدم حصول الانتفاع بالكنز مباشرة ، هو أنه لا يكون بسبب نفس الكنز ، بل بسبب أمر آخر ، عند موقع الكنز . وبعبارة أخرى ، فإن الاقتتال بين الناس لا يحصل نتيجةً للمنازعة أو المباراة بينهم للأخذ منه ، بل يحدث في محل تواجد ذلك الكنز ، ولعلمة أخرى غير نفس اكتشافه هنالك . إذ لا يلزم أن نفهم من عبارة : ((يقتل عليه الناس)) أن الاقتتال يحصل بسبب اكتشاف الكنز في مجرى النهر أو انحسار النهر عنه ، فدلالة العبارة ليست سببية بالضرورة ، فإنه يصح أن تكون الدلالة ظرفية . وما علينا إلا أن ندعم هذا الرأي بدليل : روى صاحب كتاب البرهان : ((لا تنوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبلٍ من ذهب ، يقتل عليه الناس ، فيقتل من

كل مائة تسعة وتسعون . فيقول كل رجل منهم : لعلي أكون أنا الذي أنجو^(١) ومنه يتبين أن الاقتتال لا يكون من أجل الكنز أو معلولاً لاكتشافه في مجرى النهر ، طالما أن كل واحد من الناس يكون طالباً للنجاة . ومن المستبعد أن تكون النجاة المقصودة هي : النجاة بالفوز بالذهب ، فذلك بعيدٌ عن المتبادر ، إذ الطالب للنجاة إنما يطلبها لينجو من القتل ، كما هو واضح من سياق الخبر . وروي عن النبي (ص) أنه قال : ((يقتتل عند كنزكم ثلاثة ، ثم يجيء خليفة الله المهدي))^(٢) الحديث ، وفي هذا الخبر تصريح بالمقصود من عبارة ((يقتتل عليه الناس)) حيث أُستعمل الضرف عند بدلاً من حرف الجر على .

والنتيجة التي نصل إليها ، بعد هذه المناقشة ، أن انحسار الفرات عن كنز من ذهب ، كما ورد في الأخبار ، لا يكون هو السبب الرئيسي لمعركة قرقيسيا كما ظن الكوراني (حفظه الله) ، بل أن هنالك سبباً آخر لنشوب هذه المعركة ، نعم ، ان اكتشافه قد يكون من الاسباب الثانوية التي تؤثر على اتخاذ بعض الأطراف لقرار المشاركة في القتال . . بيد أننا لا نتوقع ان يكون (كنز الذهب) الذي هو في الأصل كنزاً سورياً ، محلاً للنزاع بين هذه الدولة ودول أخرى ، فان ذلك بعيد عن منطقتي النزاعات الإقليمية أو العالمية في الزمن المعاصر . اللهم إلا أن يكون الكنز أمراً حيويًا ، بحيث تؤدي السيطرة عليه أو التحكم به إلى حدوث مشاكل أو كوارث إنسانية وبيئية كبرى ، كأن يكون المقصود من (كنز الذهب) المياه مثلاً . بحيث يمكن تبرير النزاع بين الدول حتى وإن كان الكنز موجوداً في دولة معينة حصراً . غير أن هذا الاحتمال ، رغم وجاهته ، يستلزم ان يكون موقع الكنز هو دولة المنبع ، أعني تركيا ، لا سوريا ، فالتحكم في مياه نهر الفرات ومناسيبه أو تغيير وجهته ، إن إمكان ، فهو من شأن تركيا بلد المنبع . وعلى كل حال فالنقاش في هذا الموضوع طويل الذيل ، نكتفي منه بما ذكرناه ، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال .

(١) المصدر السابق .

(٢) نجم الدين العسكري ، المهدي الموعود المنتظر ، ج ٢ ص ١٨٥ .

توطئة إلى علائم الظهور (٢٠٩)

فتنة الشام ومفاوضات السلام

روى جابر الجعفي عن الامام الباقر (ع) أنه قال : ((يا جابر لا يظهر القائم حتى تشمل الشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه ، ويكون قتل بين الكوفة والحيرة ، قتلاهم على سواء . وينادي مناد من السماء))^(١) . تلك ثلاث علامات متتابعة من علائم الظهور ، قبيل خروج المهدي (ع) . ولا يهمنا - في هذا الموضع - سوى العلامة الأولى : فتنة الشام . وظاهر الحديث الشريف أن هذه

الفتنة تشمل جميع دول الشام.

وقد جاء في وصف هذه الفتنة وكيفية حدوثها الخبر التالي : ((تكون فتنة كأن أولها لعب الصبيان ، كلما سكنت من جانب طمت من جانب آخر ، فلا تنتهي حتى ينادي مناد من السماء ألا إن أميركم فلان ، ذلكم الأمير حقاً (يقول ذلك ثلاث مرات))^(٢) وفي رواية أخرى عن سعيد بن المسيب ((يكون بالشام فتنة كلما سكنت من جانب ضجت من جانب ، فلا تنتهي حتى ينادي مناد من السماء إن أميركم فلان (أي المهدي))^(٣) وعندما نتأمل في هذه الأخبار من زاوية تاريخية ، فلعلنا لا نجد شاهداً لها أصدق مما يسمى اليوم بـ (مفاوضات السلام) بين اسرائيل ودول المنطقة . ففي الخبر الأول هناك إشارة الى حدوث أزمة تسعى الأطراف لتجاوزها ((يطلبون فيها المخرج)) . وربما كان ذلك المخرج هو الحل الذي طرحه الصهاينة اليوم والذي يدعى بـ (مبدء الأرض مقابل السلام) . بيد أن الخبر يؤكد بأن لا مخرج .

أما الخبران الآخران فإنهما بصدد وصف حالة عدم الاستقرار المترتبة على حدوث تلك الأزمة ، إذ أن الفتنة لا تكاد تهدء وتسكن من جانب حتى

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٥٢ ص٢٩٨ .

(٢) السيوطي ، العرف الوردی ، ج٢ ص٥٧ .

(٣) نجم الدين العسكري ، المهدي الموعود المنتظر ، ج٢ ص٢٥٣ .

تهيج من جانب آخر . أما عبارة : ((كأن أولها لعب الصبيان)) ففيها إشارة الى عدم جدية بعض الأطراف فيما يطرحه من حلول لتجاوز الأزمة ، فهي بالنسبة إليه مجرد لعبة يسعى من خلالها الى قتل الوقت أو ملأ الفلاخ . وهذا ما نلاحظه في الاسلوب الذي يتبعه الصهاينة ، فإنهم غير جادين مطلقاً فيما يطرحوه ، فسرعان ما تتبدل وجهات نظرهم ومواعيدهم وموآثيقهم تبعاً للظروف ، إذ يقومون باختلاق الأعذار وإيجاد التبريرات للتنصل من التزاماتهم . . . وذلك لعب صبيان ، كما لا يخفى ، ولكن الى متى؟

روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : ((إذا اختلف رمحان بالشام فهو آية من آيات الله تعالى . قيل ثم مه؟ قال : ثم رجفة تكون بالشام يهلك فيها مائة ألف ، يجعلها الله رحمةً للمؤمنين وعذاباً على الكافرين . . .))^(١) أقول : لعل المقصود من اختلاف الرمحين هو ما ستسفر عنه تلك الأزمة ، أعني أزمة المفاوضات ، من نتيجة . إذ أن اختلاف الرمحين وحدث الرجفة هما كناية عن حصول الانفجار ونشوب الحرب . فعسى أن يكون قوله (ع) ((يجعلها الله رحمة للمؤمنين)) إشارة الى انتصار العرب ، وقوله : ((وعذاباً على الكافرين)) إشارة الى هزيمة الصهاينة ، ((. . . فإذا كان ذلك ، فانظروا الى أصحاب البراذين الشهب والرايات الصُفر نُقبل من المغرب ، حتى تحل بالشام ، فإذا كان ذلك ، فانظروا خسفاً بقربه من قرى الشام يقال لها : حرستا^(٢) . . .))^(٣) أقول : لعله يشير بالمقبلين من المغرب الى القوات الغربية التي يتم تحشيدتها على إثر حدوث الصراع بين الطرفين المختلفين في الشام ، والمعبر عنه بالرجفة . أما البراذين الشهب ، فلعلها - والله أعلم - كناية عن المدرعات والعجلات العسكرية ذات اللون الأشهب (لون التراب) . فالبراذين جمع برذون ، وهي في

(١) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٧٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٧-٢٧٨ .

(٣) حرستا : قرية كبير عامرة في وسط بساتين دمشق (الغوطة) على طريق حمص ، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ [مرصد الاطلاع ج ١ ص ٣٩٢] ، ووردت في أكثر النسخ بلفظة خرشتا وهو تصحيف إذ أن خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم [مرصد الاطلاع ج ١ ص ٤٦٠] .

توطئة إلى علائم الظهور (٢١١)

اللغة تعني : دابة الحمل الثقيلة^(١) . ومن المحتمل أن تشير الرايات الصفراء الى نصرانية أو لا إسلامية القوات المقبلة من الغرب ، إذ لعلها تلوح براية الفاتيكان ذات اللونين الأصفر والأبيض ، تسمية لها بأظهر جزئها .

وفي الحديث إشارة لطيفة ونكتة دقيقة ، قل من يلتفت إليها ، إلا أنه بمزيد من التأمل في الفرق بين مدلول كلمة (فانظروا) وكلمة (فانتظروا) يمكن تلمسها . . فإن الامام أمير المؤمنين (ع) قال اولاً ((فانظروا الى أصحاب البراذين . . الخ)) ثم قال بعد ذلك : ((وانظروا خسفاً بقرية . . حرستا)) للدلالة على الفور في الأولى وعلى التراخي في الثانية . ومعنى ذلك : أن تجمع القوات يحصل مباشرة بعد حصول الصراع المشار إليه ، بينما يحدث الخسف بقرية حرستا بعد ذلك بفترة قد تطول أو تقصر . والخسف ربما كان من مصاديقه القصف الذي نعرفه (جوي أو صاروخي) لأن ما يترتب عليه هو حدوث انخساف وانفلاق في الأرض . وقد أشرنا إلى ذلك مراراً من قبل في الفصول السابقة . ولم أتبين بالضبط لم يتم إختيار حرستا بالذات - حسبما جاء في الخبر - ولكن من المؤكد أن ذلك بسبب أهميتها (الستراتيجية أو العسكرية) فلعلها تكون مركزاً لقاعدة جوية أو ما أشبه . . .

وروي عن الامام الباقر (ع) أنه قال لجابر الجعفي : ((يا جابر ، إلزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك ، وما أراك تدرك : إختلاف بني فلان ، ومنادي من السماء ، ويجيئك الصوت من ناحية دمشق بالفتح ، وخسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية ، وتقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة ، وستقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة ، فتلك السنة فيها إختلاف كثير في كل الأرض من ناحية المغرب . . .))^(٢) هذه العلائم التي ذكرها الباقر (ع) تحدث في فترات متقاربة ، كما يفيد بذلك سياق ذكرها مترتبة ومعطوفة بالواو . فاولاً : ذكر الامام (ع) إختلاف بني فلان ،

(١) أنظر المنجد ، مادة (برذن) ، وفي رواية أخرى (فانظروا الى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة) أي المقطوعة الأذان والأذنان ، وهذا الوصف أقرب في الدلالة على ما ذكرناه . أنظر البحار ج٥٢ ص٢٥٣ .

(٢) الطوسي ، الغيبة ، ص٢٦٩ .

وقد أتينا - في فصل سابق - على ذكر ما هو المقصود منهم ومعنى إختلافهم . ثم ذكر - بعد ذلك - آية النداء : وهي إحدى العلامات الخمس المحتملة . وتقديمها في الخبر على علامة الصوت الآتي من دمشق لا يدل بالضرورة على تقدمها الزمني ، فالسياق كما أنه يفيد كون العلامات متتابعة كذلك يدل على تقاربها بغض النظر عن التتابع . بل قد يستفاد من أخبار أخرى التصريح بكون آية النداء متأخرة عن الصوت .

أن الصوت الذي أتى من ناحية دمشق بالفتح قد يكون المقصد منه ، والله أعلم ، صوت الاذاعة السورية الذي يُبث فيه من دمشق نبأ النصر . المعبر عنه - هنا - بالفتح . إلا أن ما تدل عليه كلمة الفتح أعم مما تدل عليه كلمة النصر ، إذ ربما يشير ذلك الى حصول هزيمة للعدو ينسحب على إثرها من اراضٍ عربية كان قد احتلها من قبل .^(١)

أما خسف الجابية ، فلعل فيه إشارة الى قصف القوات القادمة من الغرب لموقع حصين في مرتفعات الجولان السورية ، فالجابية هي إحدى القرى التابعة لها . ولست على يقين من مسالة إحتفاظ تلك القرية بأهميتها الكبيرة التي كانت تتمتع بها على عهد الدولة الأموية وما قبله .

فإن موقع الجابية - كما جاء في كتب التاريخ - من المواقع الاستراتيجية والعسكرية المهمة في بلاد الشام . ذكر بروكلمان في كتابه (تاريخ الشعوب الاسلامية) ما يلي : ((وكان مركز القيادة الاسلامية في الجابية ، في الجولان على مسيرة يوم واحد جنوبي دمشق ، وكانت الجابية مقر الأمراء الغسانيين من قبل ، وقد احتفظت بأهميتها العسكرية حتى عهد الأمويين))^(٢) ، وإن صح ظني ، فإن هذا القصف الذي يحدث للجابية يكون أثر هزيمة أخرى للعدو تلي هزيمته الاولى ، وفيه إشارة الى تحرير أرض الجولان المحتلة ، إن شاء الله تعالى .

(١) بينما كنا بصدد تنضيد هذا الكتاب ، تمكنت افواج المقاومة اللبنانية الباسلة من إحقاق الهزيمة بالعدو الصهيوني ، فانسحب من جنوب لبنان بتاريخ ٢٥/٥/٢٠٠٠ الموافق ٢٠ / صفر / ١٤٢١ هـ . فأحبينا الإشارة الى ذلك في الهامش للتوثيق .

(٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ،

توطئة إلى علائم الظهور (٢١٣)

أما (نزول أخوان الترك الجزيرة ، ونزول مارقة الروم الرملية) فإنه - وقبل كل شيء - يشير إلى ما يشبه الاتفاق بين الترك والروم ، أو على الأقل التوافق التكتيكي ، وذلك لتزامن النزولين . ويمكن أن تكون دلالة هذا التوافق نوعاً من الحلف بينهما . وقد ورد في بعض الأخبار ما يؤكد هذا المعنى فعن عمار بن ياسر (رض) أنه قال : ((ان دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان ، ولها أمارات ، فإذا رأيتم فالزموا الأرض وكفوا حتى تجيء أماراتها : فإذا استثارت عليكم الروم والترك ، وجّهت الجيوش ، ومات خلفيتكم الذي يجمع الأموال ، واستخلف بعده رجل صحيح فيخلع بعد سنين^(١) من بيعته ، ويأتي هلاك ملكهم من حيث بدء ، ويتخالف الترك والروم . . .))^(٢) فقله : ((فإذا استثارت عليكم الروم والترك)) يشير إلى وجود مثل هذا الاتفاق أو الحلف . واعتقد أن قوله بعد ذلك : ((ويتخالف الترك والروم)) هو تصحيف : ويتحالف . . . فإن صح هذا الظن فهو تصريح بالحلف لا يحتاج إلى تكلف توجيه .

وهناك توجيهين فيما يتعلق بالمقصود من أخوان الترك في الحديث المتقدم ، أعني حديث الباقر (ع) الأنف الذكر :

التوجيه الأول : أن أخوان الترك هم : الأتراك القاطنين في جمهورية تركيا الحالية ، وكلمة (أخوان) تشير إلى : أخوة الدين ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣) .

التوجيه الثاني : أن أخوان الترك هم : الروس ، وعليه فإن كلمة (أخوان) هنا للإشارة إلى الجوار . أعني كون الروس جيران الأتراك . أو أنها للإشارة إلى العرق أو الأصل الواحد ، فتشمل الأقاليم المنحدرين من هذا الأصل . فالأخوة هنا أخوة جغرافية وحضارية معاً .

ونحن نميل إلى ترجيح التوجيه الأول ، أعني : أن المقصود من قوله :

(١) أي : بني العباس .

(٢) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٨٧ .

(٣) الحجرات : ١٠ .

((أخوان الترك)) هم الأتراك ، وذلك بالاستناد الى قرينة قوله بعد ذلك :
((مارقة الروم)) . فكأن وضع (مارقة) في مقابلة (إخوان) هو للدلالة على تباين
المعتقدين ، إذ أن المروق من مصاديق الكفر بالمعنى الأعم . أما الروم فهم الأقسام
الذين يقطنون القارتين : أوروبا وأمريكا الشمالية . على الأرجح ؛ وذلك لوحدة
أصولهم وحضارتهم ، والله تعالى أعلم .

والجزيرة^(١) هي الأرض الممتدة بين نهري دجلة والفرات في كل من
سوريا والعراق . ونزول الأتراك في هذه المنطقة ربما كان لأجل فرض طوق
وتضييق خناق . أما نزول الروم الرملة^(٢) وهي مدينة في فلسطين المحتلة فربما كان
هو الآخر إحكاماً للطوق المفروض ، والله أعلم .

وربما أمكن الاستفادة من قول الباقر (ع) : ((فتلك السنة فيها اختلاف
كثير في كل أرض من ناحية المغرب)) أن الزعامة العسكرية تكون بيد الروم ،
وأن الأوامر تصدر من جهتهم . كما يمكن الاستفادة منه : أن الحروب والنزاعات
الاقليمية والعالمية تحدث كلها حينئذ بتخطيط مسبق من قبل الغرب ، كما هو
مشهود اليوم في عالمنا المعاصر .

أعظم معركة في التاريخ

روي عن أبي جعفر (ع) في حديثه مع مُيسر : ((يا ميسر ، كم بينكم
وبين قرقيسيا؟ قلت : هي قريب على شاطئ الفرات ، فقال : أما أنه سيكون
بها وقعة لم يكن مثلها منذ خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض . ولا

(١) قال صاحب مراصد الاطلاع : ((وهي التي بين دجلة والفرات ، وهي تجاور الشام تشتمل على ديار
مضر وديار بكر . سميت بالجزيرة ، لأنها بين دجلة والفرات ، وهما يقبلان من بلاد الروم وينحطان
متسامتين حتى يلتقيا قرب البصرة ، ثم يصبان في البحر . وهي صحيحة الهواء . فيها مدن جليلة
وقلاع وحصون كثيرة ، من أمهات مدنها : حران والرّها والرقّة ورأس عين ونصيبين وسنجار وخابور
وماردين وأمد وميافارقين والموصل ، وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه (مراصد الاطلاع ج ١
ص ٣٣٢) وقال ياقوت : ((فكانت الجزيرة أسهل البلاد إفتتاحاً ؛ لأن أهلها رأوا أنهم بين العراق والشام
، وكلاهما بيد المسلمين ، فأذعنوا بالطاعة . . .)) (معجم البلدان م ١ ص ١٣٥) .

(٢) الرملة : مدينة بفلسطين ، كانت قصبتها ، وكانت رباطاً للمسلمين وبينها وبين بيت المقدس اثنا
عشر ميلاً ، وهي كورة منها . (مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٦٣٣) .

توطئة إلى علائم الظهور (٢١٥)

يكون مثلها ما دامت السماوات والأرض : مأدبة للطير تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء . يهلك فيها قيس ولا يدعى لها داعية . وينادي مناد هلموا إلى لحوم الجبارين))^(١) .

ان أكبر رقم تم رصده للقتلى في الحروب هو أربعين مليون إنسان وذلك بحسب آخر الاحصاءات ، وكان ذلك في الحرب العالمية الثانية . ويحسب ما جاء في هذا الحديث فأن عدد الخسائر في الارواح سوف يتجاوز هذا الرقم بكثير . ولا يمكن بطبيعة الحال أن نتصور حدوث هذا الحجم الرهيب من القتلى في حرب تقليدية تستخدم فيها الأسلحة الاعتيادية ، لا سيما إذا انضاف إلى ذلك أن تلك الحرب لا تتجاوز تسعة أشهر كما جاء في الكثير من الروايات^(٢) ، وهي الفترة التي يعتلى فيها السفيناني سدة الحكم في بلاد الشام . والذي يؤيد صحة الاستنتاج بكون هذه المعركة غير تقليدية ، بالإضافة إلى ما تمت الإشارة إليه فيما يتعلق بعدد من يقتل فيها في فترة قصيرة نسبياً ، ما ورد في حديث رواه المتقي الهندي في كتاب البرهان يصف فيه طراز الأسلحة التي استخدمها السفيناني في حروبه بعدما يظهر في بلاد الشام . عن خالد بن سعيد ، قال : ((يخرج السفيناني وبيده ثلاث قضبات ، لا يقرع بهن أحداً إلا مات))^(٣) فالقضبات هي كناية عن السلاح المستعمل آنذاك ، ومفردتها قضبة : وهي الانبوبة من الجوهر ، (كما في مختار الصحاح) . أما لماذا هي ثلاث قضبات؟ فربما يشير إلى نوع تركيب ذلك السلاح الذي لا يشبه السلاح التقليدي المتعارف .

أما المقصود من قوله : ((مأدبة للطير تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء .)) ففيه أطروحتين :

الأطروحة الأولى : أن المعنى هو الظاهر من العبارة ، أي أن كثرة من

(١) الكليني ، روضة الكافي ، ص ٢٤٥ .

(٢) كما سيأتي إن شاء الله .

(٣) المتقي الهندي ، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان ، ح ١٢٨ ص ٢٥٤ ج ٢ .

يقتل من الناس في هذه المعركة سيحول دون إمكانية إخلائهم أو دفنهم ، فيبقى العدد الأكبر في الأرض الحرام ويصبحون وليمة للحيوانات البرية المفترسة من السباع والجوارح .

الاطروحة الثانية : ان المقصود من سباع الأرض هو الدبابات والدروع التي تقوم بتمزيق أشلاء المقاتلين ، وتطأ قتلاهم . والمقصود من طيور السماء الطائرات والقاذفات المغيرة على قطعات الجيوش المتصارعة ، حيث تقوم بالقاء حمولتها من القنابل والصواريخ فتحصد الناس وتحولهم الى ركام أو تجعلهم كعصف مأكول .

والاحتمالين المذكورين في هاتين الاطروحتين كلاهما وارد ، إلا أن الاحتمال الأول أقوى بقرينة المنادي الذي ينادي أن ((هلموا الى لحوم الجبارين)) ويظهر من بعض الأخبار أن ذلك المنادي هو وحي من الله تعالى للسباع والطيور ، روي عن أبي عبد الله (ع) قال : ((إن لله مآدبة بقرقيسيا يطَّلَعُ مُطَّلَعٌ مِنَ السَّمَاءِ فَيَنَادِي : يَا طَيْرَ السَّمَاءِ وَيَا سَبَاعَ الْأَرْضِ ، هَلَمُّوا إِلَى الشَّعْبِ مِنْ لَحْمِ الْجَبَّارِينَ))^(١) ، وورد في رواية أخرى عن الباقر (ع) أنه قال : ((إن لولد العباس وللمرواني لوقعة بقرقيسيا يشيب فيها الغلام الحزور ، ويرفع الله عنهم النصره ويوحي الى طير السماء وسباع الأرض : أن إشبعي من لحوم الجبارين ، ثم يخرج السفيناني))^(٢) .

ويمكن لنا أن نستنتج من هذا الحديث بالاضافة الى ما تقدم ، جملة من الفوائد كما تتضح معالم هذه الوقعة الكبرى :

الفائدة الأولى : إن قوات ولد العباس وقوات الرواني ، هما من الاطراف الرئيسية في هذه المعركة . وقد عرفنا ما هو المقصود بولد العباس في الفصل السابق ، أعني أنه الحاكم في العراق ، أما الرواني فإنه يُحتمل بشأنه احتمالات ثلاثة :

(١) المجلسي ، بحار الانوار ، ج٥٢ ص٢٤٦ .

(٢) نفس المصدر ، ج٥٢ ص٢٥١ .

توطئة إلى علائم الظهور (٢١٧)

الأول : أنه تصحيف (الروماني) ، أي قائد الروم ، أو تصحيف الماروني ،
أي رئيس النصارى المارونيين .

الثاني : أنه حاكم الأردن ، وهذا الاحتمال مبني على أساس ما ذكره
المسعودي في مروج الذهب ، قال : ((وبويع مروان بن الحكم . . . وذلك
بالاردن ، وكان أول من بايعه أهلها ، وتمت بيعته))^(١) فعلى ضوء ما اتبعناه في
تحديد المقصود من (بني العباس) حين يرد ذكرهم في علائم الظهور ، بالرغم من
إنقراض دولتهم في القرن السابع الهجري (عام ٦٥٦ هـ) على يد هولاءكو ،
كذلك يجوز أن نحذو في فهم ما هو المقصود من (المرواني أو بني مروان) نفس
الحذو ، باعتبار أن الاردن كانت دار ملكهم ومنبر خلافتهم الأول ، فيكون حاكم
الأردن ، في العصور التالية ، منسوباً اليهم ، أي يمكن أن نعدّه مروانياً . إلا أن في
هذا الاحتمال تكلف واضح ، قد لا نكون مضطرين اليه .

الثالث : أنه رجل ينتسب الى مروان بن الحكم ، أي أنه من نسله يظهر
في آخر الزمان في بلاد الشام ، كما أن السفيناني من نسل أبي سفيان ولا يظهر
إلا في قبيل خروج المهدي (ع) .

الفائدة الثانية : إن عبارة : ((أن لولد العباس وللمرواني لوقعة . . .)) لا
تدل بالضرورة على أنهما خصمان يقاتلان ضد بعضهما البعض في هذه
الواقعة . بل هما - على الأرجح - حليفان يقاتلان معاً جنباً الى جنب ضد
عدو مشترك . ويمكن اثبات صحة هذه النتيجة من خلال التأمل في قرينة
((ويرفع الله عنه النصر)) ، إذ بناءً على ما جاء في الأخبار فإن هذه المعركة لا
بد أن تنتهي بوجود طرف منتصر وهو السفيناني وحلفاؤه - كما سوف يأتي -
فعدم كون المرواني وولد العباس منتصرين لهو دليل على تحالفهما وكونهما في
الخندق المقابل لخندق السفيناني المنتصر . وهناك حديث يشهد بصحة هذا
الاستنتاج ، ورد عن الصادق (ع) أنه قال : ((إذا صعد العباسي أعواد منبر

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٩٤ .

مروان أدرج^(١) (ملك بني العباس))^(٢) فصعود العباسي على أعواد منبر مروان قرينة ناهضة على تحالف الطرفين ، لأنه دليل على التقارب والتواد . وذلك أمر يشهد بمثله التأريخ في أخبار الملوك والرؤساء . فمن المتعارف عند هؤلاء أنهم حينما يرومون تقريب شخص معين ويظهرون مدى حُظوته لديهم يقومون بإجلاسه معهم على المنبر أو سرير الحكم ، تشريفاً وتفخيماً لشأنه .

هناك نكتة انقدحت في ذهننا ونحن بصدد تفسير هذا الحديث ربما كان من الأفضل عدم تجاوزها وهي : أن عبارة ((أعواد منبر مروان)) ربما كانت تلويحاً بجبال عمان الأربعة وذلك إذا ما أخذنا بالاحتمال الثاني المذكور في الفائدة الأولى باعتبار أن المرواني هو حاكم الأردن . والله أعلم بالصواب .

الفائدة الثانية : يستفاد من آخر فقرة من الحديث الذي نحن بصددده : ((ثم يخرج السفيناني)) أن هذا الأخير لا يشارك إبتداءً في معركة قرقيسيا ، وإنما يدخل في القتال بعد ذلك ، عندما يحتدم الصراع بين الأطراف الأخرى . وفي دخوله الحرب يحصل تحول خطير في موازين القوى ينجم عنه حسم المعركة على يديه . روى جابر الجعفي عن الباقر (ع) في حديث له طويل ، نقتبس منه موضع الحاجة ، قال (ع) : ((... ثم لا يكون له همة (أي للسفيناني) إلا الاقبال نحو العراق . ويمر جيشه بقرقيسيا فيقتتلون بها ، فيقتل من الجبارين مائة ألف...))^(٣)

السفيناني ومعركة قرقيسيا

يتضح من دراسة الاخبار التي تتحدث عن السفيناني ، أنه قائد عسكري كبير يستولي على الحكم في بلاد الشام على أثر انقلاب مخطط له مسبقاً من قبل جهات أجنبية ، وذلك من أجل تنفيذ مهمة كبرى في منطقة الشرق الأوسط ، وهي المنطقة المتفجرة من العالم ، ولتحقيق جملة من

(١) أدرج : زال أو انقرض . من الفعل (درج) أي مضى لسبيله . المنجد .

(٢) النعماني ، الغيبة ص ١٤١ ط حجرية .

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ .

توطئة إلى علائم الظهور (٢١٩)

الأهداف ...

ولا بد لنا ، قبل كل شيء ، أن نحدد ملامح هذه الشخصية لكي نتعرف على بعض صفاتها ونوازعها وتطلعاتها .

روي عن أمير المؤمنين (ع) قال : ((يخرج ابن أكلة الأكباد من الوادي اليابس (١) ، وهو رجل ربعة وحش الوجه ضخمة الهامة بوجهه اثر الجدري ، اذا رايتة حسبتة اعور ، اسمه عثمان وابوه عنيسة ، وهو من ولد ابي سفيان حتى يأتي ارض ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها))^(٢) .

وروي عن الباقر (ع) ، قال : ((السفياني احمر ازرق اشقر لم يعبد الله قط ، ولم ير مكة ولا المدينة قط . يقول : يارب ثاري والنار ، يارب ثاري والنار .))^(٣) ويظهر من هذا الحديث ان السفياني رجلاً موتور يطلب ثاراً ، وفي رواية أخرى عن علي (ع) : ((لو رأيت السفياني رأيت أخبث الناس : أشقر أحمر أزرق ، يقول : يارب ثاري ثاري ثم النار . ولقد بلغ من خبثه أنه يدفن أم ولد له وهي حية مخافة أن تدل عليه))^(٤) ويبدو من بعض الأخبار أن ثار السفياني مع كل من شيعة آل محمد (G) وبني العباس .

روي عن أبي جعفر (ع) في حديث طويل : ((... ويظهر السفياني ومن معه حتى لا يكون له همة إلا آل محمد (ص) وشيعتهم ، فيبعث بعثاً الى الكوفة ، فيصاب بأناس من شيعة آل محمد قتلاً وصلباً...))^(٥) وعن الصادق (ع) : ((كأنني بالسفياني او بصاحب السفياني قد طرح رحله في

(١) وهو واد في ناحية مدينة دمشق ، روي عن أمير المؤمنين بخبر آخر ، قوله : ((السفياني من وند خالد بن يزيد بن أبي سفيان ، رجل ضخمة الهامة بوجهه آثار جدري ، بعينه نكتة بيضاء . يخرج من ناحية دمشق في واد يقال له الوادي اليابس ...)) أعلام الوري ، ص ٤٥٧ ، باب علامات خروج

(٢) الصدوق ، إكمال الدين ج ٢ ب ٥٧ ص ٦٥١ ح ٩ .

(٣) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ، ص ٢٥٤ .

(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ب ٥٧ ص ٦٥١ ح ١٠ .

(٥) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ص ٢٢٢ .

رحبتكم بالكوفة ، فنادى مناديه : من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم . فيثب الجار على جاره ، ويقول : هذا منهم ، فيضرب عنقه فيأخذ ألف درهم))^(١)
وروي عن النبي (ص) ، أنه ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق وأهل المغرب ، قال : ((فبيناهم كذلك إذ يخرج عليهم السفلياني من الوادي اليابس في فور ذلك من المدينة الملعونة ... فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويفضحون أكثر من مائة امرأة ، ويقتلون ثلاثمائة كبش من بني العباس ...))^(٢) وعن الباقر (ع) : ((لا بد أن يملك بنو العباس ، فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم ، خرج عليهم الخراساني والسفلياني ... هذا من ههنا وهذا من ههنا ، حتى يكون هلاكهم على أيديهما . أما إنهما لا يبقون منهم أحداً أبداً))^(٣) .

أما مسألة عمالة السفلياني للغرب فهي كذلك ثابتة في كثير من الأخبار : روي عن بشر بن غالب : ((يقبل السفلياني من بلاد الروم متنصراً ، في عنقه صليب ، وهو صاحب القوم))^(٤) ، وعن أمير المؤمنين (ع) : ((يخرج في سبعة نفر مع (كل) رجل منهم لواء معقود ، يعرفون به في النصر ، يسير بين يديه ثلاثين ميلاً ، لا يرى ذلك العلم أحد يريد به إلا إنهزم))^(٥) وفي هذا الخبر الأخير إشارة الى تلقي السفلياني الدعم من سبعة دول كبرى وذلك بقرينة اللواء المعقود فإنه رمز للدولة كما نعرفه هذه الأيام . ويتضح هذا التوجيه أكثر بالتأمل في الخبر الآتي :

روي المتقي الهندي في البرهان نقلاً عن ابن حماد في كتاب الفتن : ((يؤتى السفلياني في منامه ، فيقال له قم فاخرج ، فيقوم فلا يجد أحداً ، ثم يؤتى الثانية ، فيقال له مثل ذلك . ثم يقال له في الثالثة : قم فاخرج

(١) نفس المصدر ص ٢١٥ .

(٢) الطبرسي ، مجمع البيان ، ج ٤ ص ٣٩٨ .

(٣) المجلسي بحار الأنوار ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ج ٥٢ .

(٤) الطوسي الغيبة ، ص ٢٧٨ .

(٥) أبي الفضل الطبرسي ، أعلام الوري ، ص ٤٥٧ .

توطئة إلى علائم الظهور (٢٢١)

فانظر الى باب دراك . فيحدرُ في الثالثة الى باب دراه ، فإذا هو بسبعة نفر ، وتسعة معهم لسواء . فيقولون : نحن أصحابك . فيخرج إليه صاحب دمشق فيلقاه ، فيقاتله ، فإذا نظر الى رايته إنهمز))^(١) وهذا الخبر مكتوب بهيئة رمزية ، وحله ، حسبما نعتقد هو أن بلاد الشام في عصر السفيناني سوف يحدث فيها ثلاثة إنقلابات أو تغيرات في السلطة ، وهي المعبر عنها : بالأولى والثانية والثالثة في الخبر المتقدم ، وذلك بتخطيط من جهات أجنبية وهي السبقة المذكورة . وأن السفيناني سوف يعتلي سدة الحكم في الثالثة مع احتمال أنه يكون مشاركاً في أحداث الأولى والثانية ، والله أعلم . ويظهر من الأخبار أن تلك الانقلابات أو التغيرات الثلاثة تؤدي الى خراب بلاد الشام . فعن أبي جعفر الباقر (ع) في حديث جابر الذي نقلنا قسماً منه أنفاً ، قال : ((فأول أرض تخرب الشام ، ، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات : راية الأصهب ، وراية الأبقع ، وراية السفيناني))^(٢) فالاختلاف المذكور هنا قد يعني : أن أصحاب تلك الرايات يخلف بعضهم بعضاً على تولي منصب رئاسة الدولة ، ولا يعني بالضرورة التصارع أو التنازع وإن استلزم ذلك من جهة أخرى .

تكون الحرب في قرقيسياء مستعرة ، حينما يت

ولى السفيناني زمام الأمور في بلاد الشام ويخضعها تحت سلطانه ، فعن علي (ع) : ((. . . إذا ملك كور الشام الخمس : دمشق ، وحمص ، وفلسطين ، والأردن ، وقنسرين ، فتوقعوا عند ذلك الفرج . . .))^(٣) ويظهر من بعض الأخبار ، أنه يبادر فور سيطرته على أرض الشام بتتبع الحركات والأحزاب الثورية التي تتركز خصوصاً في فلسطين أو بالقرب من حدودها . وقد أشير الى تلك الحركات بعبارة (أهل المشرق) كما في هذا الخبر : ((يباع السفيناني أهل الشام ، فيقاتل أهل المشرق فيهم من فلسطين حتى ينزلوا مرج الصُفر^(٤) ، ثم

(١) المتقي الهندي ، البرهان ، ح ١٢٩ ص ٦٥٥ .

(٢) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٦٩ .

(٣) الصدوق ، إكمال الدين ، ج ٢ ص ٦٥١ .

(٤) مرج الصُفر : موضع بدمشق (مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٢٥٤) .

يلتقون فتكون الدائرة على أهل المشرق حتى ينزلوا الثنية^(١) ثم يقتتلون فتكون الدائرة على أهل المشرق حتى يأتوا الحص^(٢) ثم يقتتلون فتكونا لدائرة على أهل المشرق حتى يبلغوا المدينة الخربة يعنى قرقيسيا ، ثم يقتتلون فتكون الدائرة على أهل المشرق حتى ينتهوا الى عاقرقوفا^(٣) ثم يقتتلون فتكون الدائرة على أهل المشرق . فيحوز السفياياني الأموال^(٤) وقد بنينا وجهة النظر بكون المراد من أهل المشرق (الحركات والأحزاب التي تعمل ضد إسرائيل) إستناداً الى الدعم المادي والمعنوي الذي تتلقاه الحركات من دولة المشرق كما لا يخفى على أحد ، والله أعلم بحقيقة الحال .

ويظهر أن السفياياني يدخل في معركة قرقيسيا الى جانب الروم وهم أسياده الذي مهدوا له السيطرة على دول المنطقة ، أو يكون هو واجهة الروم في تلك المعركة ، من دون أن يشترك الروم فيها مباشرة . ويظهر من بعض الأخبار أن الحلف الذي يبرمه مع الترك ضد المسلمين في هذه الواقعة ، سوف ينحل بعد أو أثناء معركة قرقيسيا ، فقد روي عن الحكم بن نافع : ((يقاتل السفياياني الترك ، ثم يكون استئصالهم على يد المهدي . . .))^(٥) ولا بد لنا أن نفترض أن مقاتله السفياياني للترك إما أن تكون إبان المعركة أو في نهايتها أو على إثرها مباشرة ، لأن فترة حكم السفياياني كما صرحت بها الأخبار قصيرة لا تتجاوز التسعة أشهر ، فحركته كلها اعتباراً من أول ظهوره ومطالبته بالسلطة وحتى آخر عهده لا تزيد على خمسة عشر شهراً ، ومن غير المتحتمل أن تكون مقاتلته للترك خلال الستة أشهر الأولى قبيل توليه للسلطة في الشام ، لأنه في تلك الفترة يكون منشغلاً بتدبير المؤامرات وإثارة الفتن ، فمتى يتسنى له فرصة مقاتلتهم؟

(١) الثنية : (وهي ثنية العقاب) : هي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد الى دمشق من حمص (نفس المصدر ج ١ ص ٣٠١)

(٢) الحص : موضع بنواحي حمص (المصدر السابق ج ١ ص ٤٠٦) .

(٣) وهي عقرقوف بالقرب من بغداد .

(٤) ابن حماد ، الفتن ، ص ٧٩ (مخطوط) .

(٥) ابن طاووس ، الملاحم والفتن ، ص ٤١ / المتقي الهندي ، البرهان ، ص ١٥٣ ص ٦٩٤ .

توطئة إلى علائم الظهور (٢٢٣)

فعن أبي جعفر (ع) يسأل بعض أصحابه : ((كم تعدون بقاء السفيناني فيكم؟ قال : قلت : حمل امرأة : تسعة أشهر . قال : ما أعلمكم يا أهل الكوفة!))^(١) وعن الصادق (ع) : ((أن السفيناني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة ، ثم قال : أستغفر الله حمل جمل ، وهو من الأمر المحتوم الذي لا بد منه))^(٢) وعنه (ع) : ((السفيناني من المحتوم ، وخروجه من أول خروجه الى آخره خمسة عشر شهراً : ستة أشهر يقاتل فيها ، فإذا ملك الكور الخمس ، ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً))^(٣)

أن أكبر الخسائر في هذه المعركة سوف تكون من نصيب الترك ، فقد روي في بعض الأخبار : ((ترد الترك الجزيرة حتى يسقوا خيلهم من الفرات ، فيبعث الله عليهم الطاعون فيقتلهم فلا يفلت منهم إلا رجل واحد))^(٤) والمراد من الطاعون ليس بالضرورة المرض المعروف ، بل ربما كان كناية عن الموت السريع الذي يحصل باستعمال بعض الأسلحة ذات الدمار الشامل كالسلاح الكيماوي والذري . فقد روي عن الصادق (ع) في حديث مهزم الأسدي أنه قال : ((... يا أبا محمد ، أنه لا بد أن يكون قدام ذلك طاعونان : الطاعون الأبيض والطاعون الأحمر . قلت : جعلت فداك ، أي شيء الطاعون الأبيض وأي شيء الطاعون الأحمر؟ قال (ص) : الطاعون الأبيض : الموت الجارف ، والطاعون الأحمر : السيف ...))^(٥)

وروي عن النبي (ص) أنه قال : ((لترك خرجتان خرجة منها خراب أذربايجان ، وخرجة يخرجون في الجزيرة ... فيهم ذبح الله الأعظم لا ترك

(١) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٧٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٧٣ .

(٣) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٢ ص ٢٤٨ .

(٤) ابن طاووس ، الملاحم والفتن ، ص ٤٠ .

(٥) الغيبة ، النعماني ، ص *

بعدها))^(١) وهذه الخسائر التي سوف يمني بها الترك في هذه المعركة تضاف الى ما تتكبدته قوات ولد العباس والمرائوني ، كما أسلفنا . والحصيلة النهائية لتلك الخسائر يصعب تصورها . فعن علي (ع) : ((لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلاث ويموت ثلاث ويبقى ثلاث))^(٢) وفي رواية أخرى : ((لا يخرج المهدي حتى يقتل من كل تسعة سبعة ، ومنها قتل النفس الزكية))^(٣)

السفياني والدعم العربي

يتلقى السفياني علاوة على الدعم الغربي دعماً من بعض نصارى العرب القاطنين في بلاد الشام . وقد وردت الإشارة الى هؤلاء في أخبار الظهور من خلال (قبيلة كلب) ، تلك القبيلة التي كانت نصرانية على عهد الأمويين في بلاد الشام . روي عن رسول الله (ص) قال : ((يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق ، وعامة من يتبعه من كلب . فيقتل حتى تبقر بطون النساء ، ويقتل الصبيان ، فيجتمع له قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلة . . .))^(٤) وسبب هذا الدعم الذي يتلقاه السفياني من قبيلة كلب أي نصارى العرب ، حسب ما جاء في الأخبار ، هو نصرانية والدته . . .

روي عن الباقر (ع) في حديث طويل ، نقتبس منه موضع الحاجة : ((. . . وأن أهل الشام يختلفون عند ذلك على ثلاثة رايات : الأصهب والأبقع والسفياني (. . .) ومع السفياني أخواله من كلب . . .))^(٥)

أقول : أن الذي حدث بخصوص يزيد وتلقيه الدعم من الدولة البيزنطية في العصر الأموي سوف يتكرر في آخر الزمان حذو النعل بالنعل مع السفياني . فقد كانت والدته يزيد (لعنه الله) نصرانية من قبيلة كلب ، وقد تزوجها معاوية

(١) محمد حسن ميرجهاني ، نواب الدهور في علائم الظهور ، ص ١٢٢ .

(٢) المتقي الهندي ، البرهان ، ح ١١٩ ص ٦٤٤ .

(٣) نفس المصدر ، ح ١٢٠ ص ٦٤٥ .

(٤) نفس المصدر ، ح ١٢٣ ص ١٤٨ .

(٥) المجلسي ، بحار الأنوار ، ح ٢٥ ص ٢٢٣ .

لتحقيق هدفين :

الهدف الأول : هدف سياسي ، إذ أن الدولة الأموية على عهد معاوية كانت تجابه غزواً مستمراً من قبل الروم (الدولة البيزنطية) آنذاك ، وهي مجاورة لسوريا من الشمال . . فزواج معاوية من أم يزيد (لعنه الله) كان عاملاً مساعداً للتخفيف من وطئة ذلك الغزو والتقليل من مخاطره ، لا سيما بعد أنه أنجبت له هذه المرأة ولياً للعهد . ومن الثابت تاريخياً أن يزيد (لعنه الله) بعد أن ولي الخلافة من أبيه أخذ بالتقرب الى البيزنطيين ، ولذا تجد باستمرار بعض سفراء هذه الدولة في بلاطه ، وهو يجعلهم ويفضي إليهم بالموودة ويتلقى منهم المشورة ، يقول بروكلمان : (. . .) . . . وإذ قد إحتك هؤلاء السوريون دهرأً صالحاً بالكنيسة المسيحية وبالامبراطورية الرومانية ، فقد تعودوا الخضوع للنظام الذي يقتضيه قيام الدولة . ولقد اعتبروا معاوية الذي جعل مقر حكمه في دمشق الوارث الشرعي لأمرائهم القدماء من آل جفنة ، وكانت إمرأته سيدة ارستقراطية كيسة من قبيلة كلب اليمانية وهي أقوى القبائل في سورية . . . وبذلك ضمن معاوية لإبنه يزيد ، ولي العهد ، تأييد ذوي قرباه) ^(١) يعني النصارى .

الهدف الثاني : هدف ديني ، فقد وجد معاوية بزواجه هذا لولي عهده أما تنشأه على بغض الاسلام ومحاربتة ، وهكذا كان لمعاوية ما أراد فإنه ما أن إعتلى يزيد كرسي الملك بعد أبيه ، حتى جهز الجيوش لقتل الحسين بن علي (ع) رجل الاسلام الأول وجعجع بعياله هتكاً وسبياً ، وأفعاله الشنيعة هذه وغيرها معروفة لا داعي لذكرها هنا .

وهكذا ، فإن التاريخ يعيد نفسه ، حيث ورد في الأخبار أن السفيناني يقوم بدور مشابه للدور الذي قام به يزيد من قبل ، وسوف يتلقى الدعم كسلفه من قبيلة كلب (أي النصارى) وما أكثرهم في بلاد الشام!

يميل بعض المؤرخين الى اعتبار العداوة بين عرب الشمال (قيس) وبين عرب الجنوب (كلب) ظاهرة قائمة على أساس الجنس والدين معاً ، فعرب

(١) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٢٣ .

الشمال القيسيون وهم شرقيون خلص وقد كانوا أسبق من غيرهم في اعتناق الاسلام ، بينما عرب الجنوب الكلبيون فقد كانت تسري في عروقهم دماء غربية مختلطة ، كما أن قسم كبير منهم بقي على نصرانيته التي كانوا عليها في العصر الجاهلي .

وذكر صاحب كتاب (معجم قبائل العرب) : ((أن قيس شعب عظيم ينتسب الى قيس بن عيلان بن مضر . . . وتشعبت قيس الى ثلاث بطون : كعب وعمر وسعد ، وغلب اسم قيس على سائر العدنانية حتى جعل في المثل في مثابل عرب اليمن قاطبة))^(١) وقال بصدد قبيلة كلب : ((بطن من قضاة ، من القحطانية ، وهم بنو كلب ابن وبرة ، وكانوا ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام ، وينزل خلق عظيم على خليج القسطنطينية . . . وقد اتخذوا في الجاهلية بدومة الجندل صنماً يدعى وداً ، ودخلوا في دين النصرانية ، ثم في الاسلام))^(٢) وذكر بروكلمان : ((أن قبائل عرب الشمال القيسية التي نزل بعضها ، كغطفان ومضر وغيرهما ، في سورية الشمالية وفي الجزيرة والعراق ، لم تكن مرتاحة الى محاباة معاوية الأول نفسه لبني كلب اليمانيين ، وهم يؤلفون القبيلة الرئيسية في قضاة النازلين بين تدمر والبلقاء))^(٣)

لقد ورد في أخبار الظهور وعلائمه ذكر هاتين القبيلتين كثيراً ، ومن الصعب أن نحمل اسميهما على نفس المعنى الذي يعرفه النسابون ، فإن ذلك أمر متعذر بعد حصول التحولات السكانية الكبرى في هذا العصر والعصر السابق عليه ، ونحتاج أن نفهم من معنى اسم (كلب) واسم (قيس) وجهاً آخر ، وهو الذي ذكرناه ، فالمقصود بقبيلة كلب حيثما وردت في الأخبار : العرب النصارى ، ومن قيس : العرب المسلمون . وشاهدنا على ذلك ما جاء في نصرانية السفيناني أو تنصره ، كما مر ، والمحاذاة التاريخية بين شخصية ونشأة

(١) عمر كحالة ، معجم قبائل العرب ، ج ٣ ص ٩٧٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٣ ص ٩٩١ - ١٩٩٢ .

(٣) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٣٠ .

توطئة إلى علائم الظهور (٢٢٧)

السفياني وبين شخصية ونشأة يزيد ، والله تعالى أعلم .

ماذا بعد قرقيسياء

يظهر من الأخبار أن السفياني بعد أن يغزو العراق على أثر معركة قرقيسياء ، تكون له وقعات ومعارك كبيرة مع أهل المشرق ، فما أن يفرغ من القضاء على بني العباس حتى يبادر بالهجوم على دولة إيران ، وهي الدولة الممهدة التي ورد ذكرها في كثير من الأخبار ، تمهد لظهور المهدي (ع) . . أخرج نعيم بن حماد عن أبي جعفر (ع) ، قال : ((يبعث السفياني جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد ، فيبلغه فزعة من وراء النهر من أرض خراسان ، عليهم رجل من بني أمية . فتكون لهم وقعة بقومس^(١) ، ووقعة بدولاب^(٢) الري ، ووقعة بتخوم زرنج^(٣) . فعند ذلك تقبل الرايات السود في خراسان ، على جميع الناس شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال ، يسهل الله أمره وطريقه . ثم تكون له وقعة بتخون خراسان . ويسير الهاشمي في طريق الري ، فيسرح رجل من بني تميم من الموالي يقال له : شعيب بن صالح الى اصطخر^(٤) الى الأموي ، فيلتقي هو والهاشمي ببضاء^(٥) اصطخر ، فيكون بينهما ملحمة عظيمة ، حتى تطأ الخيل الدماء الى ارساغها . ثم تأتيه جنود من سجستان عظيمة ، عليهم رجل من بني عدي ، فيظهر الله أنصاره

(١) قومس : كورة كبيرة واسعة بها مدن وقرى ومزارع ، في ذيل جبل طبرستان ، قصبتها دامغان ، بين الري ونيسابور ، وبسطام من مدنها (مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١١٣٤ .

(٢) دولاب : من قرى الري . (مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٥٤١ .

(٣) وردت في المصدر : زرننج ، وهو تحريف . لأن زرننج : قرية من قرى الصعيد بأعلاه ، من شرقي النيل . كما وردت في كتاب الفتن بلفظة : زرنج ، وهو تصحيف . وزرنج هذه : مدينة ، هي قصبة سجستان الكورة المعروفة (مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٦٦٣) .

(٤) اصطخر : بلدة بفارس ، يقال : ان كور فارس خمسة أكبرها وأصلها كورة اصطخر (مراصد الاطلاع ج ١ ص ٨٧) .

(٥) ببضاء : مدينة مشهورة بفارس ، وهي أكبر مدينة باصطخر ، وسميت بالببضاء لأن لها قلعة ببضاء تبين من بعد (مراصد الاطلاع ج ١ ص ٢٤٢) .

وجنوده . ثم تكون وقعة بالمدائن ، بعد وقعة الري ، وفي عاقرقوفا^(١) صليبة^(٢) يخبر عنها كل ناج . يكون بعدها ذبح عظيم ببابل ووقعة في أرض نصيبين^(٣) ، ثم يخرج على الأقوص^(٤) قوم من سوادهم : وهم العُصب^(٥) ، عامتهم من الكوفة والبصرة ، حتى يستنقذوا ما في يديه من سبي كوفان^(٦) .

ويلاحظ في هذا الحديث ، أن السفيناني سوف يغزو إيران ، ويتوغل في عمق أراضيها حتى يصل قريباً من طهران (الري) . فيسلم الهاشمي وهو حاكم إيران آنذاك رايته الى رجل اسمه : شعيب بن صالح ، فيتمكن هذا القائد الفذ من إنزال أفدح الهزائم بجيش السفيناني حتى يردّه على أعقابهِ ، فينسحب الى الشام . ويبدو من الخبر المتقدم أن الهزائم التي يتلقاها السفيناني على يد شعيب بن صالح هزائم منكّرة بحيث (تطأ الخيل الدماء الى أرساغها) ويظهر من الخبر ، ان لأهل العراق في إلحاق الهزيمة بجيش السفيناني دور بارز ، حيث يتاح لهم بعد سلسلة من المعارك ، اثناء ملاحقة السفيناني وطرده من المنطقة ، الفرصة في استنقاذ ما في يده من الأسرى العراقيين الذين كان قد أسرهم خلال غزوة على بلاد المشرق عبر الأراضي العراقية .

ونستطيع ان نخمن طبقاً لما ورد في الأخبار وبقرينة ((وهم العُصب)) في الخبر المذكور : أن القتال ضد السفيناني وتحقيق الانتصارات عليه إنما يكون بدعم من الإمام المهدي (ع) أو على الأقل بإيعاز منه . بل ربما كان هو (عجل)

(١) عقرقوف ، وهي بالقرب من بغداد .

(٢) وفي بعض النسخ : صلحية وصنية . وربما إشارة الى جهاز للاتصالات أو رادار ، بواسطة يتم نقل ما يجري من الملاحم بين السفيناني وشعيب الى الجهات المستفيدة .

(٣) نصيبين : مدينة عامرة في بلاد الجزيرة على جادة القوافل من موصل الى الشام وبينها وبين سنجان تسعة فراسخ . (مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٣٧٤) .

(٤) في بعض النسخ : الأحوص .

(٥) العُصب جمع عصب ، وهم عصاب العراق من أصحاب المهدي (ع) كما جاء ذكرهم في الأخبار .

(٦) المنشي الهندي ، البرهان ، ح ١٤١ ص ٦٧٠ .

توطئة إلى علائم الظهور (٢٢٩)

الله فرجه) نفسه من المشاركين في تلك الملاحم المذكورة كما هو صريح عدد من الأخبار .

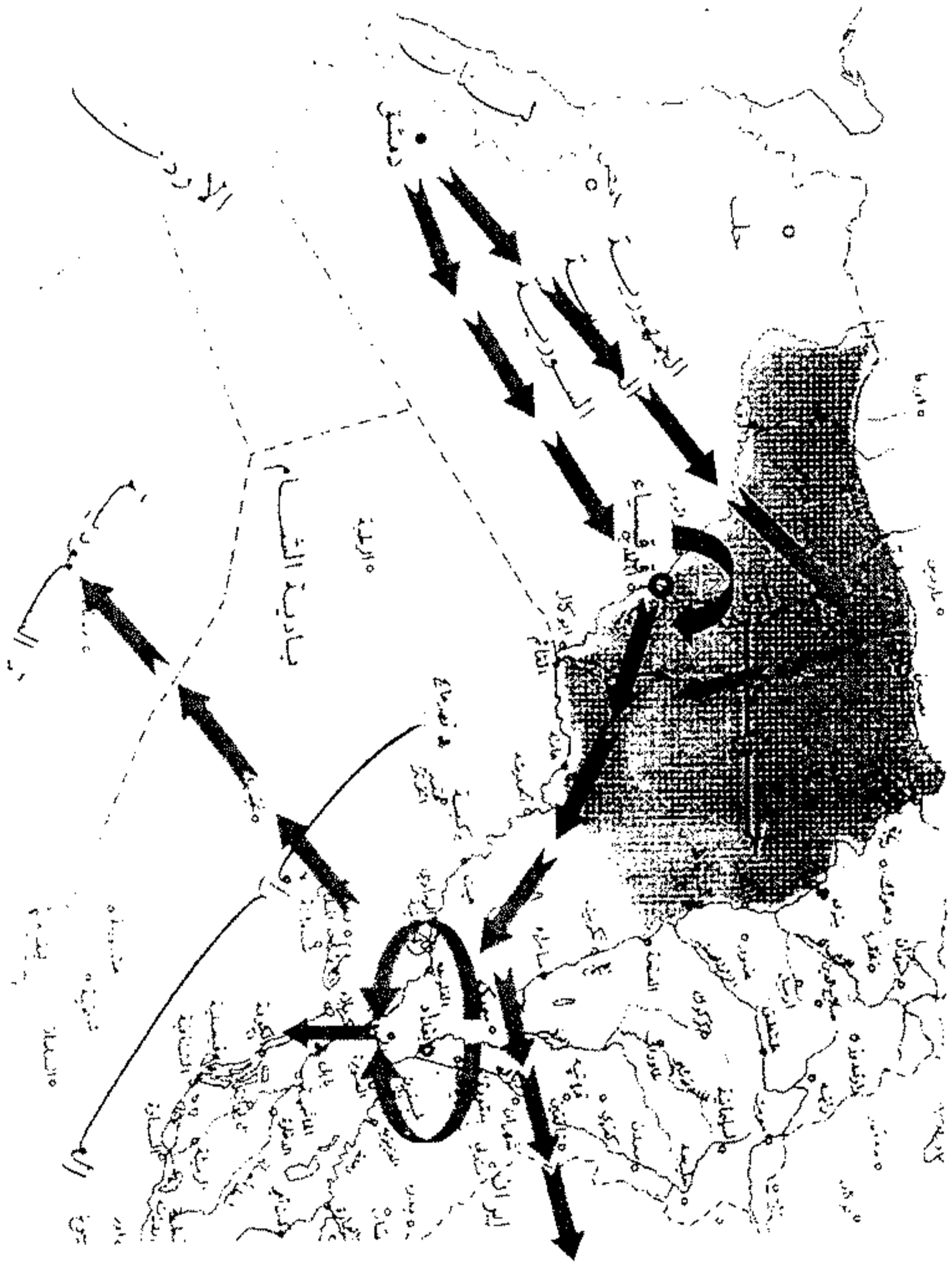
وفي رواية أخرى : ((يبعث السفيناني خيله وجنوده ، فيبلغ عامة المشرق من أرض خراسان وأرض فارس ، فيثورون بهم أهل المشرق فيقاتلونهم ، وتكون بينهم وقعات في غير موضع . فإذا طال عليهم قتالهم إياه ، بايعوا رجلاً من بني هاشم ، وهو يومئذ في أهل المشرق^(١) ، فيخرج بأهل خراسان على مقدمته رجل من بني تميم ، مولى يقال له : شعيب بن صالح . أصفر قليل اللحية يخرج إليه في خمسة آلاف ، فإذا بلغه خروجه شايعه فيصيره على مقدمته ، لو استقبل بهم الجبال الرواسي لهدها . فيلتقي هو وخيل السفيناني فيهزمهم))^(٢) .

هذا آخر ما نذكره في هذا الباب حول معركة قرقيسيا وقد تركنا التوسع فيها مع ذكر باقي علائم الظهور التي تليها مباشرة الى كتابنا الموسوم بعام الفتح والذي سوف نعمل على نشره قريباً ، إن شاء الله تعالى .

(١) يشير الى أن الهاشمي رجل من أهل خراسان ، ولذا سمي بالخراساني في بعض الأخبار .

(٢) المتقي الهندي ، البرهان ، ح ١٤٢ ص ٦٧٣ .

تحرکات جيش المسفیان



أهم المصادر

- ١- القرآن الكريم
- ٢- تفسير البرهان : تأليف السيد هاشم الحسيني البحراني (١١٠٧ هـ) -
تصحیح محمود بن جعفر الموسوي الجزائري - دار الكتاب للطباعة والنشر - قم .
- ٣- تفسير العياشي : تأليف الشيخ أبي النضر محمد بن مسعود بن عياش
السلامي السمرقندي ، المكتبة العلمية الاسلامية - طهران .
- ٤- تفسير القمي : تأليف أبي الحسن علي بن ابراهيم القمي (٤٠٣ هـ) -
تصحیح السيد الطيب الموسوي الجزائري النجف الأشرف ١٣٨٧ هـ .
- ٥- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال - للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن
علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١ هـ) - طبعة النجف .
- ٦- جامع الأخبار : تأليف الشيخ تاج الدين محمد بن محمد الشعيري (من
اعلام القرن السادس) منشورات الرضي - قم .
- ٧- الخرائج والجرائح : تأليف الشيخ أبو الحسن سعيد بن هبة الله المشهور
بقطب الدين الراوندي (٥٧٣ هـ) تحقيق مؤسسة الامام المهدي (٤)
١٤٠٩ هـ - قم .
- ٨- الخصال : تأليف الشيخ الصدوق ، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري .
مؤسسة النشر الاسلامي - قم ١٤٠٣ هـ .
- ٩- الدر المنثور في التفسير المأثور : تأليف عبد الرحمن جلال الدين السيوطي -
بيروت دار الفكر .
- ١٠- دلائل الامامة : تأليف أبي جعفر بن جرير بن رستم الطبري (من اعلام
القرن الخامس) منشورات الرضي - قم .
- ١١- شرح نهج البلاغة : تأليف ابن أبي الحديد (٦٥٦ هـ) تحقيق محمد أبي
الفضل ابراهيم دار إحياء الكتب العربية - مصر .

توطئة إلى علائم الظهور (٢٣٢)

١٢- الاحتجاج : تأليف الشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (٥٨٨ هـ) تحقيق السيد محمد باقر الموسوي الخراساني . نشر المرتضى ، مشهد ١٤٠٣ هـ .

١٣- الصافي في تفسير القرآن : تأليف الشيخ محمد بن محسن المشتهر بالفيض الكاشاني (١٠٩١ هـ) منشورات الأعلمي - بيروت .

١٤- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة : تأليف أحمد بن حجر الهيتمي المكي ، تخريج عبد الوهاب عبد اللطيف - مكتبة القاهرة - مصر

١٥- عقد الدرر : تأليف يوسف بن يحيى بن علي الشافعي (من اعلام القرن السابع) دار الكتب العلمية - بيروت .

١٦- علل الشرائع : تأليف الشيخ الصدوق ، تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم المكتبة الحيدرية ، النجف الاشرف ١٣٨٥ هـ .

١٧- الغيبة - تأليف الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) ، تقديم العلامة الشيخ أغا يزرک الطهراني ، مطبعة النعمان - النجف الاشرف .

١٨- الغيبة : تأليف الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني (من اعلام القرن الرابع طبعة حجرية وأخرى محققة بتحقيق علي أكبر الغفاري ، مكتبة الصدوق- طهران .

١٩- الكافي : تأليف ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (٣٢٩ هـ) دار الكتب الاسلامية طهران .

٢٠- كامل الزيارات أو كامل الزيارة : تأليف الشيخ ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (٣٦٧ هـ) تصحيح الشيخ عبد الحسين الأميني ، مكتبة المرتضوية النجف الاشرف ١٣٥٦ هـ .

٢١- كمال الدين وقام النعمة : تأليف الشيخ الصدوق ، طبعة النجف .

٢٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : تأليف علاء الدين علي المتقي بن

(٢٣٣) أهم المصادر

حسام الهندي (٩٧٥ هـ) ضبط وتصحيح الشيخ بكري حياتي - دار
الرسالة بيروت ١٤٠٥ هـ .

٢٣-الاختصاص : للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٤١٣ هـ)
تحقيق علي أكبر الغفاري منشورات النشر الاسلامي ١٤٠٢ هـ .

٢٤-البرهان في علامات مهدي آخر الزمان - للمتقي الهندي ، تحقيق جاسم
بن محمد مهلهل الياسين . شركة ذات السلاسل للطباعة والنشر
والتوزيع ١٤٠٨ هـ .

٢٥-مجمع البيان في تفسير القرآن : تأليف الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن
الطبرسي تصحيح السيد هاشم الرسولي - دار إحياء التراث العربي -
بيروت .

٢٦-مجمع البحرين : تأليف الشيخ فخر الدين الطريحي (١٠٨٥ هـ) تحقيق
أحمد الحسيني - نشر مرتضوي ، طهران ١٣٦٢ هـ .

٢٧-المحاسن : تأليف الشيخ أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي
(٥٢٧٤ هـ) تصحيح وتعليق السيد جلال الدين الحسيني المحدث - دار
الكتب الاسلامية - قم .

٢٨-مختصر بصائر الدرجات : تأليف الشيخ حسن بن سليمان الحلبي (من
علماء القرن السابع) منشورات الحيدرية - النجف الاشرف ١٣٧٠ هـ .

٢٩-مشارك أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين : تأليف الشيخ رجب البرسي
بيروت .

٣٠-مصباح الشريعة المنسوب الى الامام الصادق (ع) منشورات الأعلمي -
بيروت .

٣١-معاني الأخبار : تأليف الشيخ الصدوق ، تصحيح علي أكبر الغفاري -
مؤسسة النشر الاسلامي ١٣٦١ هـ .

٣٢-نهج البلاغة ، للامام علي (ع) ، تحقيق السيد جعفر الحسيني ، دار
الثقلين - قم ١٤١٩ هـ .

توطئة إلى علائم الظهور (٢٣٤)

- ٣٣- الارشاد : للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ، منشورات المكتبة الحيدرية النجف الأشرف ١٣٩٢ هـ .
- ٣٤- ينابيع المودة : تأليف الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (١٢٩١هـ) تقديم السيد محمد مهدي الخرسان - مكتبة بصيرتي - قم .
- ٣٥- مختار الصحاح : تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٣٦- المنجد : تأليف الأب لويس معلوف ، المطبعة الكاتوليكية للآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٣٥ م .
- ٣٧- الميزان في تفسير القرآن : تأليف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٣٩٠ هـ .
- ٣٨- مفاتيح الجنان ، تأليف الشيخ عباس القمي ، طبعة أنصاريان - قم .
- ٣٩- نوائب الدهور في علائم الظهور : تأليف محمد حسن ميرجهاني طباطبائي - طهران ١٣٨٣ هـ .
- ٤٠- جواهر البلاغة : تأليف السيد أحمد الهاشمي - طبعة بيروت .
- ٤١- شرح قطر الندى وبل الصدى : تأليف أبي محمد جمال الدين بن هشام (٧٦١ هـ) مطبعة السعادة - مصر ١٣٨٣ هـ .
- ٤٢- دروس تمهيدية في القواعد الرجالية : تأليف باقر الايرواني - قم ١٤١٧ هـ .
- ٤٣- الباراسيكولوجي ظواهر وتفسيرات : تأليف سامي أحمد الموصلي - دار الحرية - بغداد .
- ٤٤- إعلام الوري بأعلام الهدى : تأليف الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٨٨ هـ) منشورات المكتبة الحيدرية النجف الأشرف ١٣٩٠ هـ .
- ٤٥- الامام المهدي المنتظر وأدعياء البابية والمهدوية : تأليف السيد عدنان البكاء - دار الحرية - بغداد - طبعة الغدير - بيروت ١٩٩٩ .
- ٤٦- المصلح الغيبي والحكومة العالمية الواحدة : تأليف السيد حسن الأبطحي - بيروت .

(٢٣٥) أهم المصادر

٤٧-منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر : تأليف لطف الله الصافي - طهران ١٣٧٣ هـ .

٤٨-تاريخ الغيبة الكبرى : تأليف الشهيد السيد محمد صادق الصدر (١٩٩٩ - ١٤١٩ هـ) طبعة بيروت ١٣٩٥ هـ ،

٤٩-المهدون للمهدي : تأليف الشيخ علي الكوراني ، طبعة بيروت .

٥٠-تاريخ الشعوب الاسلامية : تأليف المستشرق كارل بروكلمان . ط بيروت .

٥١-معجم البلدان : تأليف الشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي دار صادر - بيروت ١٣٤٧ هـ .

٥٢-مرصد الاطلاع : تأليف صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (٧٣٩ هـ) دار إحياء الكتب العربية . مصر ١٣٧٣ هـ .

٥٣-معجم قبائل العرب : تأليف عمر رضا كحالة - المكتبة الهاشمية - دمشق ١٣٦٨ هـ .

٥٤-الملاحم والفتن : تأليف السيد رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (٦٦٤ هـ) منشورا مؤسسة الأعلمي . بيروت ١٣٩٨ هـ .

٥٥-إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب : تأليف الشيخ علي اليزدي الحائري (١٣٣٣ هـ) بيروت لبنان .

٥٦-المهدي الموعود المنتظر : تأليف الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد العسكري بيروت ١٣٩٧ هـ .

٥٧-قرة العيون في المعارف والحكم : تأليف الفيض الكاشاني . تحقيق محسن عقيل طبع مع كتاب (الحقائق في محاسن الاخلاق) في مجلد واحد بيروت ١٤٠٩ هـ .

٥٨-الامام الصادق : تأليف محمد أبو زهرة طبعة القاهرة مصر .

٥٩-مصاييح الأنوار : في حل مشكلات الأخبار : تأليف العلامة السيد عبد الله شبر (١٢٤٢ هـ) مطبعة الزهراء - بغداد .

توطئة إلى علائم الظهور (٢٣٦)

٦٠- وسائل الشيعة : تأليف الشيخ محمد الحسن الحر العاملي (١١٠٤ هـ) -
تصحيح وتحقيق الحاج الشيخ محمد الرازي - دار إحياء التراث العربي
بيروت ١٣٤٧ هـ .

٦١- تفسير الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري (ع) طبعة حجرية .
٦٢- رجال الكشي : تأليف أبي عمرو محمد بن عبد العزيز الكشي - كربلاء
المقدسة .

٦٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر : تأليف أبي الحسن علي بن الحسين بن علي
المسعودي (٣٤٦ هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مصر ١٣٧٧ هـ .
٦٤- الفهرست : تأليف أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) .
المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف ١٣٨٠ هـ .

٦٥- رجال الطوسي : تأليف أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) .
المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف ١٣٨٠ هـ .

٦٦- أمالي الصدوق : تأليف الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن
بابويه القمي (٣٨١ هـ) . منشورات الأعلمي بيروت .
٦٧- تاريخ الأمم والملوك : تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري مطبعة
الاستقامة القاهرة ١٣٥٨ هـ .

٦٨- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان : تأليف أبي الحسن علي بن الحسين بن
علي المسعودي (٣٤٦ هـ) طبعة مصر .

٦٩- البرهان على وجود صاحب الزمان : تأليف السيد محسن الأمين العاملي
، المطبعة الوطنية - الشام ١٣٣٢ هـ .

٧٠- روضة الواعظين : تأليف الشيخ محمد بن الفتال النيسابوري (٥٠٨ هـ) -
تقديم السيد مهدي الخراسان ، منشورات الرضي - قم .

٧١- مختصر تذكرة القرطبي : تأليف الشيخ عبد الوهاب الشعراني المكتبة
التجارية الكبرى - مصر .

٧٢- حلية الأبرار : تأليف العلامة السيد هاشم البحراني ، مؤسسة المعارف

(٢٣٧) أهم المصادر

الإسلامية - قم ١٤١٥ هـ .

٧٣-قرب الإسناد : تأليف عبد الله بن جعفر الحميري (من علماء القرن الثالث الهجري) طبعة الخيدرية النجف الأشرف ١٣٦٩ هـ .

٧٤-بحار الأنوار الجامعة لدرر الأخبار : تأليف الشيخ محمد باقر بن محمد تقى المجلسي (١١١١ هـ) المكتبة الاسلامية . طهران ١٣٦٦ هـ .

٧٥-بصائر الدرجات في فضائل آل محمد : تأليف الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (٢٩٠ هـ) تصحيح وتعليق ميرزا محسن كوجة باغي . منشورات الأعلمي - طهران .

٧٦-مجمع الزوائد : تأليف نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي (٨٠٧ هـ) مكتبة القدسي - مصر ١٣٥٣ هـ .

الصفحة

الموضوع

٥	الإهداء
٧	المقدمة
١٧	القمس الأول : نقد منهجي في علم الرواية
١٩	الفصل الأول : التعامل مع الروايات
١٩	فهم عبارة الرواية
٢٤	طرق التعامل مع الروايات
٢٨	المجاميع الروائية الكبرى
٣٢	حسم النزاع
٣٤	الأصل المغني عن السند
٣٦	عرض المشكل العلمي على الحديث
٣٧	عرض الروايات على كتاب الله
٤٣	الفصل الثاني : الروايات والتحقق
٤٣	التصنيف العام للروايات
٤٤	التصنيف الخاص للأخبار
٤٧	المحتوم والموقوف
٥٥	الفصل الثالث : البداء في الأخبار .
٦٣	الفصل الرابع : موازين معرفة المحتوم
٦٤	طريقة ميزان القرائن
٦٦	طريقة ميزان البنى
٦٧	خاتمة في مقابلة الأحاديث
٦٩	الباب الأول : التوقيت
٧١	الفصل الأول : النهي عن التوقيت
٧٦	كذب الوقتون
٧٩	الفصل الثاني : التوقيت والبداء
٨١	أخبار التوقيت الصحيحة .

٨٧	الفصل الثالث : أَلغاز التوقيت
٨٨	خبر رحمة بن صدقة
٩٠	خبر أبي لبيد المخزومي
٩٦	تقاويم أخرى
٩٧	خبر أبي محمد الحسن العسكري (ع)
٩٩	الباب الثاني : الفتن والسنن
١٠١	الفصل الأول : الفتن والتمحيص
١١٠	أساليب المقاومة للفتن
١١٣	الفصل الثاني : غربال التمحيص
١١٩	الفصل الثالث : الإعداد والتعبئة
١٢٢	إنتظار الفرج والصبر
١٣٠	الترقب إستنفار للمؤمنين
١٣٥	الباب الثالث : التنبؤ بالمستقبل
١٣٧	الفصل الأول : حقيقة التنبؤ
١٥١	الفصل الثاني : الإخبار بالمغيبات نقلاً عن الأصول
١٥٦	المرجعية التدوينية وهدفها
١٦٥	الفصل الثالث : التنبؤ الملحمي عند أمير المؤمنين (ع)
١٧١	القسم الثالث : تأملات في علائم الظهور
١٧٣	الباب الأول : أحداث وشخصيات
١٧٥	الفصل الأول : بني العباس
١٧٥	الدولة الثانية لبني العباس
١٧٧	علائم زوال ملك بني العباس
١٧٧	اختلاف بني العباس
١٧٩	هدم حائك مسجد الكوفة
١٨٠	جسر ذو الطابقين
١٨٠	بناء مدينة على شاطئ الفرات
١٨١	موت سفيه من آل العباس

١٨١	النجم المذنب
١٨٣	الفصل الثاني : شخصيات مهمة وغامضة
١٨٣	الشخصيصباني
١٨٤	عوف السلمي
١٨٦	عبد الله
١٨٩	الفصل الثالث : علائم قد تحققت في عصرنا
١٨٩	عروج العقول
١٩٠	الهلال لليلة أم لليلتين ؟
١٩١	التحية على حسب المعرفة
١٩١	أقوام بصور الأدميين وقلوب الشياطين
١٩٢	المساجد للدنيا
١٩٣	الثياب المشتركة بين الرجل والمرأة
١٩٣	حرب الخليج
١٩٥	الحصار الإقتصادي على العراق
١٩٦	الطغاة ومعاداة الشعوب
١٩٨	قتل العلماء
٢٠١	الباب الثاني : معركة قرقيسيا
٢٠٣	تمهيد
٢٠٤	الموقع الجغرافي لقرقيسيا
٢٠٥	الفرات وكنز الذهب
٢٠٩	فتنة الشام ومفاوضات السلام
٢١٤	أعظم معركة في التاريخ
٢١٨	السفياني ومعركة قرقيسيا
٢٢٧	ماذا بعد قرقيسيا
٢٣١	أهم المصادر